

المركز القومي للترجمة



المشروع القومي للترجمة

اثنتا عشرة مسرحية مختارة

من المسرح اليوناني الحديث



الطبعة الثانية

ترجمة:

نعيم عطية

2/141

إهداء ٢٠١٠
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

**اثنى عشرة مسرحية مختارة
من المسرح اليونانى الحديث**

المركز القومي للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: ١٤١ / ٢

- اثنتا عشرة مسرحية مختارة من المسرح اليوناني الحديث

- نعيم عطية

- الطبعة الثانية ٢٠٠٩

هذه ترجمة مختارات من المسرح اليوناني

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة.

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.

E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524-2735426 Fax: 27354554

اثنى عشرة مسرحية مختارة من المسرح اليونانى الحديث

ترجمها عن اليونانية وقدم لها:
نعيم عطية



٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١٠٦٣٣ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولي: 0 - 293 - 479 - 977 - 978
طبع بمطابع مصر للطيران

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

إهداء

إلى الراحل العزيز

الناقد الكبير فؤاد دواره

تحية لإسهامه في خدمة المسرح المصري ودفعة له
بكلماته المضيئة المتأنية نحو الكمال والإجادة

ن . ع

اتجاهات المسرح اليونانى الحديث

خضعت الأعمال الدرامية «للمدرسة الأثينية الجديدة» لتأثير المسرح الأوربي المعاصر، وبالأخص للمدرسة الواقعية التي بدأت بالسيادة على المسرح الحديث . وهذا الذى حدث فى المسرح حدث فى القصة والرواية أيضا . وعلى الرغم من أن بعض الأعمال الدرامية الحديثة قد توفرت لها مقومات الأعمال الجيدة إلا أنها لم ترقَ إلى المستوى العالى الذى وصل إليه الشعر اليونانى الحديث بل ولا حتى إلى المستوى الأدنى الذى بلغته القصة والرواية اليونانية الحديثة .

وقد بدأت الأعمال الدرامية الحديثة فى اليونان بالاعتماد على الموضوعات الفكهة العاطفية وقدمت أعمال كوميدية خفيفة الظل ، بخلفية من العادات والتقاليد الشعبية ، تتخللها بعض الأغاني . وقد احتذى المسرح اليونانى الحديث فى ذلك بمسرح الفودفيل الفرنسى . وفى عام ١٨٨٩ طعم إيفانجيلوس باندوبولوس مسرحية «الطحانون» ببعض الأغاني ، فراق ذلك للجمهور فأقبل مقدمو الأعمال المسرحية اليونانية على الاحتذاء بذلك . أكثرين من مسرحيات الحب والغناء . وكان فى طليعة من برز فى هذا المضمار الأثنى ديمتريوس كوروميلاس (١٨٥٠ - ١٨٩٨) الذى يعتبره الكثيرون مؤسس المسرح اليونانى الحديث وبالأخص ؛ لأنه كما سئى حالا ، لم يكتف بالكوميديات العاطفية الخفيفة ، بل قدم أيضا دراميات عاطفية . وقد لقيت مسرحيته «حظ مارولاس» استحسان الجماهير ، وظلت تُقدَّم على المسرح الأثنى لسنوات عديدة . وقد كان ممن أسهموا فى تأليف أعمال الفودفيل اليونانى ديمتريوس كوكوس (١٨٦٧ - ١٨٩١) الذى كتب «المعلم ليناردوس» و«القبطان ياكوميس» و«قيشارة العجوز نيقولاس» وقد أعجب الجمهور اليونانى بهذه الأعمال فى حينها .

وقد كان ديمتريوس كوروميلاس أول من قدم فى الأدب المسرحى اليونانى الحديث المسرحية العاطفية غير الفكاهية ، معتمدة على قصة حب شجنية تتخللها الأغاني ، وترتكز على خلقية من المقومات الشعبية . وهو ما يعد مواكبة للقصة والرواية التى رأيناها تبدأ بالتحرك من خلال العادات والتقاليد الشعبية . وكانت أولى مسرحيات هذا النوع الذى قدمه كورميلاس مسرحية «حبيب راعية الأغنام الصغيرة» وهى من أبداع الأعمال المسرحية ولا زالت تؤثر فى كثير من العامة حتى عند تقديمها اليوم . ومن الأعمال الطيبة أيضا فى هذا المضمار «التعويذة» لسيروس بيريسياذيس (١٨٦٤ - ١٩١٢) و «خايدو الحسناء» و«ذيمولا بائعة الألبان» لباناغوس ميليسوتيس (١٨٥٤-١٩٠٤) .

ومن تأثيرات المسرح الفرنسى أيضا تلك المسرحيات الانتقادية ، وليس بلازم أن تكون قوية البنيان دراميا ، والتى تُعنى أولاً وأخيراً بالترفيه عن الناس بالسخرية من أبرز الأحداث والشخصيات ، وعلى الأخص السياسية ، ولا تعتمد هذه المسرحيات فى كتابتها إلا على خفة ظل كتابها وموهبتهم على إضحاك الجماهير . ويرجع كثير من الباحثين هذا النوع من المسرحيات إلى منبع إغريقى قديم هو مسرحيات أرسطوفانيس الذى أثر بدوره على المسرح الفرنسى منذ ما يقرب من ثلاثمائة عام . ومن أبرز ماكتب فى المسرح اليونانى الحديث من هذا القبيل «الأحداث الأثينية» من تأليف باميس انينو ، ويورغيوس تسوكويولوس ، وبوليفيوس ديمتر اكوبولوس . وقد ظلت هذه المسرحية تقدم بنجاح حتى أوائل الحرب العالمية الأولى . وكان المؤلفون يعمدون إلى إضافة مشاهد جديدة أو إلى حذف مشاهد سابقة لتلائم المسرحية مجريات الأمور .

ثم يجيء ديمتريوس فيرنارذاكس (١٨٣٣-١٩٠٧) وكان يعمل أستاذاً جامعياً ، وكتب للمسرح اليوناني الحديث تراجيديات تاريخية ، منها «ماريا ذوكسابونتى» و«ميروبي» و«فاوستا» وغيرها . وقد تأثر فيرنارذاكس بشيكسبير ، واستخدم كثيراً من موضوعاته فصاغها فى قوالب يونانية . وقد بلغ به القول إلى حد الاعتراف «بأننا عانينا كثيراً من استعباد شيكسبير لنا ، فلم نتأثر بمشهد أو بموقف لديه بل بفنه عموماً . على أن النقاد يقولون عن مسرحيته «ميروبي» أنها العمل الذى تخلص من إحياءات شيكسبير وإن كان قد ارتبط بفن يوريديس . على أن أكبر أعمال فيرنارذاكس المسرحية ولاشك هو «فاوستا» حيث يتجلى المؤلف شاعراً للعواطف الجامحة ، ولكن فيرنارذاكس فى هذا العمل الذى بدت فيه جهوده الشخصية فى الحوار والمواقف والصراعات الخشنة لا يتعدى إطار التراجيديات اليونانية القديمة ، فإن فاوستا تحكى محاولات زوجة الإمبراطور قسطنطين للإيقاع بكريستو ابن زوجها من زوجته السابقة فى حبائل غرامها الأثم . ولكن الابن يرفض رغم أن الأب يسىء الفهم وتحت اعتقاده الخاطيء يأمر بقتل الابن ، وتبوح فاوستا للإمبراطور بزلتها وبراءة الابن على فراش الموت ، بعد أن يكون قد سبق السيف العزل .

وقد لقيت هذه التراجيديات التى أحكم كتابتها نجاحاً منقطع النظير عند تقديمها حتى أن فرقتين كبيرتين قدمتاها فى الوقت ذاته بأثينا .

ويعتبر فيرنارذاكس أكبر المتحدثين بلسان العصر الذى كتب فيه ، ولكن لغته الفصحى جعلت أعماله صعبة المضى قدماً . وربما لو أتيح إدخال تبسيطات على لغته الجسيمة لأمكن أن يمضى فيرنارذاكس وعلى الأخص فى مسرحيته «فاوستا» و«ميروبي» ليقدم حتى اليوم ، ولكنه على

أى حال طواه التاريخ وظل نقطة مضيئة على الطريق الطويل الشاق
للمسرح اليونانى الحديث .

وإذا كانت الأعمال المسرحية السابقة قد كتبت شعرا ، فإن فاسيلي
فاسيلياذيس كتب مسرحيته «غالاتيا» نثرا ، ومع ذلك فقد احتوت على
قدر كبير من الوقار والدرامية التى جعلت هذه المسرحية تدرج فى برامج
العديد من الفرق المسرحية حتى إلى عهد قريب . ثم نصل إلى أنطونيوس
ماتيسيس (١٧٩٤ - ١٨٧٥) صديق ذيونيسيوس سولوموس الذى كتب
مسرحية «زهرة الريحان» (فاسيليكوس) ربما على وجه التقريب عام ١٨٥٦ .
وقد توافر فى هذا العمل كل عيوب الأعمال المسرحية لهذه الحقبة كلها :
المونولوجات الطويلة ، الديالوجات المملوطة ، خلط غير مبرر بين المضحك
والمأساوى ، ولكن يمكن على أى حال أن نقول عن هذه المسرحية - كما
قال عنها كسينوبولوس - إنها كانت بداية طريق طويل نحو مسرح الصراع
بين حياة جديدة تصارع حياة فى طريقها إلى الاندثار . وقد كان فيها من
التصوير الأخلاقى لعادات الناس ما فيه الكفاية . فضلا عن أنها رسمت
الطريق لما عرف بعد ذلك بالمسرح الاجتماعى .

على أن أكثر المحاولات جدية لإنعاش الأدب المسرحى اليونانى
الحديث وبعث الحياة فيه جاءت من الاحتذاء بالمدرسة الواقعية فى أوروبا ،
وإن اتخذت الأعمال المؤلفة فى هذا المضمار شكل الكوميديات . وبذلك
صارت الكوميديا الواقعية هى الصيحة الجديدة للمسرح اليونانى الحديث .
على أن الواقعية مالبثت أن اتخذت فى المسرح اليونانى - كما اتخذت فى
المسرح الأوروبى - مسارات أخرى اجتماعية ونفسية . وقدمت بذلك أعمال
مسرحية يونانية جيدة لازالت تعلق بالأذهان وتستأهل الإشارة إليها بالتقدير .

وقد كتب يانيس كامبسيس (١٨٧٢ - ١٩٠٢) مسرحيات اجتماعية محتذيا فيها حذو النرويجى إيسن والألماني هوبتمان . وترجم لسترنبرج . وفى مقدمة ما كتبه «مهزلة الحياة» و«أسرار الزواج» وقد انشغل فى مسرحياته الأولى بالأمراض الاجتماعية المتوارثة ثم سعى فى مسرحياته الأخيرة إلى الخروج عن دائرة «الطبيعية» الخائفة . وفى مسرحيته اللاحقة «خاتم الأم» يصور كامبسيس حياة الشاعر كوستاس كريستاليس الذى مات فى أسوأ ظروف العمل فى أثينا ليكتب قصائده ليلاً وسراً دون أن يكف عن أن يحلم بجمال الطبيعة وشموخ الجبال فى قريته البعيدة . وتعتبر هذه المسرحية من أفضل المسرحيات اليونانية التى استخدم فيها أسلوب سترنبرج فى خلط الأحلام بالواقع .

ثم يجىء غريغوريوس كسينوبولوس (١٨٦٧ - ١٩٤٥) الذى كتب بالإضافة إلى قصصه ورواياته أعمالاً مسرحية عديدة بعضها كوميدية وبعضها مأساوية : كما أنه أعد بعض قصصه إعداداً مسرحياً وأحالتها إلى أعمال للمسرح . وفى كثير من مسرحياته كما فى رواياته استخدم الصراع الذى شهدته زاكيتوس مسقط رأسه فى منتصف القرن الماضى بين الطبقة الراقية المهذبة المنحدرة وبين الطبقة الصاعدة من الأجلاف الذين لم ينصقلوا بعد، فكانت أعماله صراعاً بين التهذيب والفظاظة . كما عالج كسينوبولوس فى مسرحه مشاكل اجتماعية وأخرى نفسية طرحها أمامه معاناة الحياة اليونانية المعاصرة له وبالأخص فى العاصمة أثينا . وكانت أقدم مسرحياته بعنوان «الأب الروحى» ويعتبرها بعض مؤرخو المسرح أول مسرحية اجتماعية يعرفها المسرح اليونانى الحديث .

وبمسرحية «الأب الروحي» - التى يسدل بها الستار على عهد بأسره من المسرحيات التاريخية والاسطورية - يدخل كسينوبولوس إلى عالم المسرح . وبمسيرته «سر الكونتيسة فاليرياناس» (١٨٠٤) يضع كسينوبولوس قدمه على طريق المسرحيات التى ستجلب له المجد والشهرة . ولكن الطريق كان لازال أمامه طويلاً ولم تنجح «الرمزية» التى انطوت عليها المسرحية أن تشير انفعال الناس أو تعاطفهم وفى هذا العمل نجد الكونتيسة تضطر حفاظاً على مبادئها ومستوى أسرتها الرفيع أن تضحى بحياتها متحيرة . وبهذه الطريقة وحدها تظل محتفظة بعلو قامتها وشمورها . ولكن الكثيرين لم يستسيغوا هذه النهاية التى وإن احتوت على مقومات رمزية إلا أنها بدت مفتعلة وغير مقنعة .

ثم كتب كسينوبولوس عن الحياة اليونانية المعاصرة بسماتها التى تميزها، بحيث لا يتردد القارئ فى أن يجزم بأن ما يقرأه مسرح يعرض الحياة اليونانية المعاصرة بلحمها ودمها ، ولكل شعب فى حياته سمات تميزه . وهو ما كان لكسينوبولوس فضل المسارعة إلى التنبه إليه والتقاطه فى مسرحه . وشخصيات كسينوبولوس ليست هى الشخصيات التى نقابلها ونلتقى بها كل يوم فى الطرق والميادين العامة وحلبة الصراع من أجل الحياة فحسب ، بل هم أولئك الذين لا يمكن أن نقابلهم إلا فى اليونان ذاتها . وقد عنى كسينوبولوس على الأخص بالتفاصيل النفسية لشخصياته ، مع تبسيط الشكل المسرحى التقليدى . وتبدو مسرحياته وطيدة البنيان ، تسرى فى أرجائها نفحة من البساطة المحببة ، بفضل لغة حوارها البارع .

وقد استقى كسينوبولوس بعض مسرحياته من أعمال أخرى له قصصية وروائية مثل «الصخرة الحمراء» ويطلتها فوتينى ساندري . كما أن ستيلاً

فيولاندى أيضاً استقيت من عمل قصصى له . وهنا نجد صراعاً بين شخصيتين شديدتى العناد : الأب والابنة التى تموت فى غرفة ضيقة كان قد سجنها أبوها فيها . وفى مسرحيته «راحيل» (١٩٠٩) يتصدى كسينوبولوس لموضوع تاريخى . أما فى مسرحية «الفتنة» فنجد خادمة جميلة تطيح بعقول الرجال جميعاً فى أحد البيوت الكبيرة ، وهو موضوع أخى عليه الدهر وشرب كما يقولون ، ولكن موهبة كسينوبولوس المسرحية زودته بما جعله وثيقة اجتماعية وأخلاقية وشهادة على عصر .

وفى «سبت الأرواح» (١٩١١) تبدو السيطرة للموتى على الأحياء . ماتت «جميلة» الأخت الكبرى لقسطندى ، ولكنها لازالت تتواجد وتتحيا فى ذلك القصر الريفى الرحيب . لازال أهلها يذكرونها ويحاولون اتباع مشيتها وما أوصتهم به . بل إن ماريا زوجة قسطندى تراها وتشعر بها تراقبها وتتعبها . إنه شبح جميلة التى كانت حال حياتها تسمم حياة ماريا ، حتى دفعت بها إلى أن تقتلها بأن تسللت ليلة موتها إلى غرفتها وفتحت شباكها خلصة حتى قضت برودة الليل على المريضة التى كانت تعاني من الحمى .

وتطارد «جميلة» بعد موتها ماريا وتعذبها . وفى الذكرى السنوية لوفاها تستيقظ ماريا مبكراً كى تهرب إلى قريتها ومسقط رأسها تاركة بيت زوجها المسكون بروح غريمته . وتكون ماريا قد اتفقت مع عشيقها ليجيروا على أن يعد لها الجواد الذى ستهرب به ، لكن زوجها يشعر بها ويفضح خديعتها ، فتتهار وتعتزف له بأنها قتلت أخته ، فتلقى من زوجها القتل جزاءً . إنها مسرحية من فصل واحد تحمل من سمات أحلام سترندبرج الكثير ، وتتخللها رقصة الأرواح التى تفصل بين شطريها وتضفى عليها مزيداً من الفتنة المستقاة من قوة الخيال .

وفى «الملاك» (١٩١١) يصور لنا كسينوبولوس الحياة الاجتماعية لأسرة أثينية . وفى هذه الأسرة يتقدم من يخطب الابنة الكبرى ولكن الابنة الصغرى تخطفه من أختها ، فتبين بذلك عن خبث ودهاء يستتران وراء قناع من البراءة المصطنعة . وفى مسرحيته «المدللة» يقترب كسينوبولوس من موضوع مسرحيته السابقة «الملاك» فإن إيماجاسبارى بطة مسرحية و«المدللة» لا تلبث أن تكتشف أنها ليست الابنة الوحيدة لأبيها الذى كان قد رزق بابنة أخرى هى تيريزا من رواجه الأول . فتغار منها إيماء ، ولكنها تكتم غيرتها هذه حتى يأتى اليوم الذى تخطف المدللة من تيريزا خطيبها . وتبين تيريزا عن شخصيتها القوية ، فتغادر المنزل وقد أحست بهزيمتها إزاء عواطف أختها الضارية . وفى عام ١٩١٣ كتب كسينوبولوس مسرحيته الكوميديّة الاجتماعية الأخلاقية «وردة لافاندى» . وفى «شرف الأخ» المستقاه من روايته - «التلاميذ» يسط كسينوبولوس بانوراما اجتماعية أخلاقية لعصره . وفى مسرحيته «الإنسانى» نجد محاميا كبيرا يكتشف أن أهله قد أخفوا عليه أنه مصاب بسرطان سيقضى عليه بعد سنوات قليلة وآلام مريرة . فتتصارع بداخله غريزة البقاء وغريزة الموت ، وهما متشابكان كثيراً فى أعماق الإنسان وبشكل مخيف . ثم يرضخ المحامى الكبير فى النهاية للموت ويسلم نفسه للآلام بعد أن يزوج ابنة أخته بتلميذه وخليفته فى مكتبه . ويموت قرير العين قائلا عن الموت والألم إنهما وحدهما طريق الإنسان .

وقد ألف كسينوبولوس - كما يقول الناقد الكيس ثريلوس - أن يغزل مسرحياته فى براعة بخيوط قصة غرامية . ولعله يستفيد فى ذلك بذكرىات من سنوات شبابه الأولى . ثم يغمس هذه القصة فى بيئة اجتماعية يمضى فى تعقب طباعها وضغوطها وقيمها الأخلاقية .

ويحدثنا كسينوبولوس عن تجربته المسرحية بصفة عامة ، ويفسر لنا لماذا هجر «المسرح الذهني» أو «مسرح الأفكار» بعد أن فشلت تجربته الأولى في مسرحيته (الكونتيسا فالوياناس) فيقول :

«جعلنى هذا الفشل أفكر طويلا دون أن أفقد ثقتى بأهمية المسرح . وتبينت أننى كنت قد سرت فى طريق مسدود . كنت أواجه الجمهور بأعمال تتجاوز قدرات فهمه المحدودة ، بل ولا يحس بها أيضا . وبالتالي لا يحبها . إن الفن ، أيا كان هذا الفن ، فى جوهره يعتد بالمستوى الاجتماعى لمن يُصنَعُ لهم هذا الفن . فإذا لم ينجح فى التلاقى بصفوة عقول من فى العصر فإن العمل يكون غير مجد ، مجهدا بلا طائل ، ولا داعى له . ولن يصير على الاستمرار فى مثل هذه الأعمال إلا من كان مجنوناً ، أو عبقرىا متعديا إطار زمانه ، لن يشهد نجاح أعماله حال حياته» .

ولما كان كسينوبولوس من غير المجانين والعباقرة ، ولا حتى من محبى «الفن للفن» فقد سعى لحل المشكلة فتساءل

«ماذا على كاتب مسرحى يريد أن يواجه الجمهور الأثينى فى أخريات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين - ماذا عليه أن يقدم دون أن يخرج أيضا عن إطار ما يعتبر فنا ؟»

وقد عذّبته هذه المشكلة خمس سنوات كاملة . وبعد ذلك وجد سبيله بأن استقى من قصصه ورواياته الرائجة موضوعات وأبطالاً لمسرحه . وقد كان ذلك الاتجاه مفيدا للمسرح اليونانى الحديث ، الذى منذ مسرحية «فاوستا» لفيرنارذاكيس لم يكن قد عرف أعمالا جادة ناجحة حقاً .

ثم يأتى سيروس ميلاس (١٨٨٣ - ١٩٦٦) . وقد كانت مسرحيته «ابن الظلال» أو أن شئنا . . ابن الضلال . . صراعاً مريراً وميلودرامياً لرجل يرتكب أبشع الشرور من أجل الزواج بالمرأة التى يحبها . وعندما يصل فى النهاية إلى الحصول على موافقتها على الزواج تكون نهايته قد دنت . فقد زلزلته الأخيرة واعترف لها بكل ما فعله وعاناه من أجل الظفر بها . وعندما يستبد الرعب بقلب المرأة منه وتقرر إبلاغ السلطات عنه ، يلقي بنفسه فى اليم مفضلاً الانتحار على أن تقتص منه السلطات لجرائمه . وقد اتصف هذا العمل بالخيال الجامح والمشاهد الدرامية العنيفة مما لفت إليه أنظار النقاد .

ثم كتب ميلاس مسرحيته «القميص الأحمر» وفيها تقع تراندا فيليا زوجة رئيس العمال ستافرو فى غرام أخيلياس وهو فتى يتقن فنون الغزل . فيتعارك الزوج والعشيق ويقتل الزوج العشيق لكنه يطعن نفسه أيضاً منهايا حياته لتبقى المرأة الأثمة أمام جمهور النظارة سبياً للشقاء كله .

كما كتب ميلاس «البيت الخرب» الذى احتذى فيه بهويتمان وجوركى ولكنه يظل عملاً شجنياً يتأرجح بين «الطبيعية والرمزية» . ومن مسرحيات ميلاس أيضاً «الأبيض والأسود» حيث نعجب ببطلتها الفتاة العانس . ولكن ميلاس أيضاً يعمى إلى السخرية الانتقادية مصوراً شخصية طبيب يهجر الطب ليعلم الناس الرقص كعلاج من أدواء المجتمع ، وشخصية الأخ الذى بدلاً من أن يقتل أخته ليمحو ما ألحقته به من عار ، يكتفى بأن يسلمها المسدس وخطاباً مكتوباً على الآلة الكاتبة ، كلمة لوم وعتاب . كما كتب ميلاس مسرحية كوميدية ناجحة بعنوان «بابا المعلم» وفيها يحكى عن شاب يحاول أن يتخلى عن حرفة أبيه حتى يرقى إلى طبقة اجتماعية أعلى ، فيتعثر حاله ويتدهور مادياً ومعنوياً . ولا يجد له مخرجاً إلا فى

العودة إلى الوقوف بجوار أبيه العصامي الشريف الذي يكسب لقمته بكده وشقائه . وقد حفلت هذه المسرحية بحيوية دافقة من المواقف التي تبث الضحك إلى القلوب من خلال كشف العيوب الإنسانية والرزايا الاجتماعية .

وفي مسرحيته «ليلة بالعمر كله» أو «الحياة ليلة» نجد الأب يريد أن يزوج ابنته من رجل غني لاتبه ابنته لمجرد أن يحصل على أربعين ألف دراهمة يسد بها ما اختلسه من خزينة الشركة التي يعمل بها صرافا . وإزاء رفض الفتاة وعنادها يحاول الجميع الإسراع بإجراء مراسم الزواج . ولكنها تطرد الزوج وتهرع إلى رئيسها في العمل وتبيع نفسها له مقابل الأربعين ألف دراهمة التي يدفعها لقاء ليلة متعة يقضيها معها . وهكذا على حد منطق الفتاة ومنطق ميلاس الذي يتصف بالسخرية الانتقادية الاجتماعية تؤثر أهون الضررين فتبيع ليلة واحدة من عمرها بدلا من أن تبيع العمر كله ! .

وأبطال ميلاس في مسرحياته الانتقادية الاجتماعية يأكل قلوبهم قلق دفين ، وتتأجج فيها ثورة حارقة للعمل على تصحيح الأوضاع ، ولكن الظروف الاجتماعية المحيطة بهم على الدوام أقوى منهم ، فلا يتوصلون إلى شيء ذي بال .

ولكن سيروميلاس ما يلبث أن يهجر المسرح الاجتماعي بمسرحيته «يهوذا» إلى المسرح التاريخي الذي سيقدم من إطاره أفضل أعماله . ومن أحسن الأعمال في الأدب المسرحي الحديث في اليونان مسرحية ميلاس التاريخية بعنوان «بابا فليساس» التي تحكي حياة هذا المناضل الشعبي وميته البطولية . وقد حفلت بالتصوير الحي للأشخاص والمواقف .

أما بانديليس هورن (١٨٨١ - ١٩٤١) فقد عنى منذ مسرحيته الأولى عام ١٩٠٨ أن يتبع انهيار الأسر والأفراد بسبب الضغوط التي تجلبها المقتضيات الجديدة للحياة العصرية . وفى مسرحيته «البنت الصغيرة» عام ١٩٢١ وهى أفضل مسرحياته نراه يتابع الانحدار الأخلاقى لشابة من الطبقة العاملة راسما فى الوقت ذاته لوحة عريضة للحياة الاجتماعية والأخلاقية بأثينا فى عصره . وتدور أحداث هذه المسرحية فى فناء عمارة قديمة أهلة بالسكان فى حى شعبى من أحياء أثينا ، وهو حى البلاكا . ويسبح العمل كله فى طوفان من الاتجاه الطبيعى بكل مبالغاته فى إبراز فظاظة الحياة فى الحضيض . ولكن هورن مالبث أن خرج من أسرار الطبيعية إلى ما هو أرحب منها فى مسرحية «فلاندور» حيث يقدم قصة هوى جامع . وقد اتصف هورن بأنه كاتب متدفق غزير الإنتاج وذو قدرة على الابتكار ودقة الملاحظة ، وإلمامه عميق بالبيئات الشعبية التى يكتب عنها .

وقد كتب بافلوس نيرفاناس (١٨٨٦ - ١٩٣٧) مسرحيته المسماة «المهندس المعماري مارثاس» حيث نجد هذا البطل موقنا بأنه يستطيع بإخفاء الحقائق المؤسسية أن يكفل للناس تفادى اضطرابات الحياة . ولكن القدر له بالمرصاد . كافح كفاحا مريرا وبنى بيته على عمد ثابتة حلت محل أنقاض وخرائب . وعندما قتل أخوه فى كريت جعل أمه التى كانت ستلحق به لو علمت بالنبا الفاجع - جعلها تعيش من بعده ثلاث سنوات من السعادة . وبسط أمام عينيها الهرمتين أحلى الأكاذيب . وعندما أغمضت عينيها الإغماضة الأخيرة تركت أجمل الدعوات لابن ما كان له فى الحياة وجود . وعندما جاء القدر ليضرب ضربته التالية فأنبأ الطبيب أن أباه مقضى عليه بالموت ، لم يبد عليه حزنا أو وجوما ، وراح كى يخفى النبا يحضر حفلة راقصة بهيجة راقصة . وعندما بلغه نبا الخراب المالى الذى حل بحميه

والموت الذى حاق به أخفى النبا عن زوجته ، وخرج معها فى رحلة بحرية غرقا فيها . وهكذا جنب زوجته التعاسة وحقق لها موتا لا مفر منه ولكنه مجرد عن أحزان الحياة وتعاسات الحقيقة .

ومن أعمال نيرفاناس المسرحية أيضاً «الأم ذات الخمسة أبناء» و«عصفور الجنة» (١٩٠٨) و«عندما تنكسر القيود» . وفى كل هذه الأعمال تسود روح شاعرية وإحساس عميق بالجمال . وكثيرا ما يعوض سحر البيان نقائص الدراما .

وقد كان كوستيس بالاماس أكبر شعراء اليونان المحدثين قد كتب مسرحية وحيدة بعنوان «ست الحسن والكمال» وتحكى عن فتاة فى قرية إلى جوار البحر عند - ميسولونجى ، وتتميز هذه الفتاة بجمالها وطيبة قلبها ، لكنها تسقط فريسة لشهوات الناس ودناءتهم ، وقد عجزوا عن تقديرها حق التقدير . وهذه المسرحية الوحيدة لبالاماس تعتبر من أبداع المسرحيات وأكثرها شاعرية فى مجال المسرح اليونانى الحديث كله . ويجد فيها بعض النقاد عيوباً فى البناء الدرامى لكن ما من أحد ينكر قوتها الشاعرية .

كما كتب الشاعر زخارياس باباندونيوس مسرحيته «قسم الميت» وقد حفلت بالمشاهد الخيالية والقيم الأخلاقية . كما كتب المسرحية الشعرية كل من افتاليوتيس ، وفوتيريديس ، وبوريوتيس .

وبالإضافة إلى هؤلاء يمكن أن نشير من المحدثين إلى تانجويولوس الذى كتب أعمالاً مسرحية اجتماعية ذات نزعة اشتراكية مثل مسرحياته «أحياء وموتى» و«أغلال» و«عند الباب الخارجى» كما كتب ديمتريوس بوغريس مسرحيته «أفراح الخطوبة» و«الغولة» كما يجدر بالإشارة إلى ثيودوروس سينوذينوس وإنجلوس ترساكيس وليدوريكيس الذين كتبوا

مسرديات كوميدية وأخرى جادة . كما كتب إيموس مورياتينيس كوميديات كثيرة ناجحة كانت أفضلها «الحياة إلى الأبد» وتحكى عن العطش الإنسانى إلى اكتشاف أكسير الشباب ، بل أن هذه المسرحية تعتبر من أفضل الكوميديات فى المسرح اليونانى الحديث بأسره . ومن كوميديات مورياتينيس أيضاً «البيت العصرى» و«سيد العالم» وقد عرف عن كوميديات هذا الكاتب لذعة الأسلوب وقسوة المعالجة .

وجدير بالذكر أيضاً أن الكاتب المسرحى نيقولاوس لاسكاريس كتب مؤلفاً عن «تاريخ المسرح اليونانى» يعد مرجعاً هاماً فى الموضوع .

ويجدر أن نشير هنا أيضاً إلى ديميتري بساثاس ، الذى إذا قيل عن آخرين من كتاب المسرح أن أعمالهم تقرأ أكثر مما تشاهد ، فإن العكس هو ما يصدق عن مسرحه ، فإن شخصياته المسرحية تتمتع بحضور كبير ، ومشاهدة أعماله لا تبعث لدى المشاهدين قدراً كبيراً من الضحك فحسب ، بل وأيضاً تدفع إلى كثير من التأمل ، وإعادة التقسيم ليس للمواقف الاجتماعية فحسب ، بل وللعلاقات الإنسانية بصفة عامة . ولهذا حق أن يقال عن بساثاس إنه ورث الكثير عن أريستوفان الكاتب الإغريقى الكبير .

أما الشاعران المجيلوس صيقيليانوس ونيقوس كازندزاكيس فقد كتبا التراجيديات بموضوعات تاريخية وأسطورية . ويشك البعض فى قيمة أعمال هذين الكاتبين من حيث الصلاحية للتقديم على خشبة المسرح ، ولكن مامن أحد يشك فى عمق الأفكار التى احتوتها هذه التراجيديات . ولهذا كانت هذه الأعمال جديرة بالتأمل والدراسة ، وبخاصة أن بعض ما انطوت عليه من شخصيات وأحداث ذات دلالات عالمية . وأهم تراجيديات صيقيليانوس هى «سيفيلا» وتستقى مادتها من زيارة نيرون

لليونان و«ديدالوس فى كريت» و«المسيح فى روما» و«موت ذيوجينيس» .
أما تراجيديات كازندزاكيس فنشير منها إلى «نيكيفوروس فوكاس» و«المسيح»
و«اوذيسياس» . كما عنى جورج ثيوتوكا بالحكايات الشعبية ذات العمق
الفلسفى الإنسانى واستطاع أن ينهض بالعطاء الشعبى إلى مستوى مشكلات
الإنسان المعاصر . واختار منها على سبيل المثال حكاية رئيس البنائين ،
وبنى عليها عملاً مسرحياً حديثاً بعنوان «جسر آرتا» وقد استفاد ثيوتوكافى
كتابتها أيضاً بالمرح الأوروبى وبالأخص مسرح شكسبير وطعم أيضاً
مسرحيته بكثير من المشاهد الغنائية .

على أن المسرح اليونانى الحديث عرف بعد الحرب العالمية الثانية جيلاً
اعتز أفرادهم بأنهم «أوروبيون» أكثر من أى شىء آخر ، وتقبلوا عطاء المسرح
الأوروبى الحديث على أنه شىء يخصهم هم أيضاً ، وأنه ليس شيئاً غربياً
عنهم . أى أنهم رفضوا أن يتباعدا عن تياراته ، وذلك بأعراض لا يبرره
سوى وجوب أن تتجه انظارهم إلى تراثهم الإغريقى العريق دون سواه .
وفى طليعة هؤلاء الكتاب اليونانيين سبعة هم ديمترى كسمائيدس الذى
قدمت أولى مسرحياته عام ١٩٥٧ ، وفاسيليس زيوغاس الذى قدمت أولى
مسرحياته عام ١٩٦٠ وكوستاس مورسيلاس الذى قدمت أولى مسرحياته
عام ١٩٦٣ ولولا اناغنوستاكى التى قدمت أولى مسرحياتها عام ١٩٦٥
وبافلوس ماتيسيس الذى قدمت أولى مسرحياته عام ١٩٦٧ وستراتيس
كاراس الذى قدمت أولى مسرحياته عام ١٩٦٨ ويورغوس سكورتيس الذى
قدمت أولى مسرحياته عام ١٩٧٠ وكانت بعنوان «المريبات» و«شظايا
«الموسيقى» عام ١٩٧٢ «القاراقوز كاد أن يكون وزيراً» عام ١٩٧٣ و«شظايا
وأشلاء» عام ١٩٧٦ ثم «إلى أين يذهب الأوتوبوس» عام ١٩٧٨ . وقد
اعتبر هؤلاء الكتاب أن مشكلات الإنسان المعاصر هى مشكلاتهم هم

بدورهم . كما اعترفوا بأن المسرح الأوربي كان له تأثيره الكبير على المسرح اليوناني المعاصر الذي ترجم وقدم على خشبته الكثير من أعمال شيكسبير وإيسن وسترنبرج وغيرهم . فليس من الصواب فى شىء السير فيما سار فيه غالبية أسلافهم ومعاصريهم من أن التجربة الوحيدة التى يجب أن يعتد بها كاتب المسرح اليوناني الحديث هى المسرح الإغريقى بتقاليده وانشغالاته وطقوسه التليدة .

وقد كانت مشاكل المسرح اليوناني الحديث أكثر تعقيدا من المشاكل التى قد تعترض سائر ضروب الفن والأدب . ذلك أن تأثير المسرح الإغريقى لا يقاوم . وعندما استيقظت أوربا من عصر النهضة والمسرح الإغريقى مستحوذ على الاهتمام هناك أيضا . وفى اليونان بدلا من أن يضحى المسرح الإغريقى القديم مجرد تراث ، أصبح عقبة أمام تطور المسرح الحديث إزاء المطالبة بأعمال تحاكي أعمال ذلك المسرح .

إن المسرح يحتاج أكثر من أى ضرب آخر من ضروب الفن إلى الاستقلال . إن لم يكن يحتاج أيضاً إلى الحرية ، وذلك فضلا عن احتياجه إلى جمهور على قدر من التفتح ، يشغل بالجداد من مشاكل الانحلاق والاجتماع والسياسة . وليس من العويص أن نتبين أن تدهور المسرح الإغريقى جاء تبعا لانحطاط الأحوال المدينة أثينا . وحتى عندما سادت المسيحية الإمبراطورية الرومانية ، فإن ذلك لم يتح للكاتب . إن كان قد وجد أصلا الحرية أن يعبر فى أعماله المسرحية عن آراء وأفكار تعارض العقيدة السائدة ، دون أن يعرض نفسه لمتاعب غير مرغوب فيها . ولقرون طويلة لم يكن من الحكمة فى الدولة الرومانية أن يعلن الكاتب أفكارا معارضة . وعندما تحولت الدولة الرومانية إلى المسيحية استمر الوضع على ما كان عليه . وكل ما حدث أن ظهرت

أعمال مستوحاة من الإنجيل والتسوية . ولعل الجمهور الذى كان يهتم بالمرح فى الدولة الرومانية المسيحية كان على ما يبدو مشاطرا لدولته فى تصورهما للحقيقة . وبعبارة أخرى . لم يكن ذلك الجمهور من قبيل الجمهور المعتز بحريته الذى سمح لإيسن أولشو أن يقدم على خشبة المسرح نقده الجاد لعادات العصر وأخلاقياته .

وقد كان نتيجة ذلك عدم وجود المسرح فى الدولة البيزنطية ، وكانت الجناح الشرقى من الإمبراطورية الرومانية ، فيما عدا الأعمال الدينية ، كما لم يكن للمسرح وجود ملحوظ فى غرب أوروبا حتى نهاية العصور الوسطى للأسباب ذاتها .

وقد كان لكريت عطاء مسرحى أبان ارتباطها بإمارة البندقية ، ولكن مع الاحتلال التركى للجزيرة عام ١٦٦٩ أخرس كل شئ . وعلى أى حال فقد أثرت تلك الأشراق الكريتية القصيرة الأدب اليونانى بأعمال مثل «تضحية إبراهيم» و«ايروفيلى» ولئن كانت هذه الأعمال ما عادت تقدم على المسرح ، فعلى الأقل يقرأها محبو المسرح . وإذا كانت قد عجزت عن إرساء دعائم حركة مسرحية إلا أنها أثرت التراث المسرحى اليونانى .

وفى هذا كله تقول لولا اناغنوستاكى ، وهى واحدة من الكتاب السبعة الذين قامت على أكتافهم حركة المسرح اليونانى الحديث فى الخمسينات من هذا القرن : «كانت حركة المسرح الحديث فى اليونان بحاجة إلى أن تجاهد ضد التقاليد المسرحية القومية التى زعم بأنها لا تزال موجودة . أن المسرح الإغريقى القديم بكل عظمتة شكل عبئا جسيما وقف فى وجه الإبداع المسرحى أكثر من دفعه إلى التطور . وقد كان التلويع بهذا المسرح العريق ، الذى أصبح ذا طابع سياحى جذاب أيضاً ، للكاتب المسرحى المعاصر كتحد

ومعيار ، يصيب الحركة الابداعية بنوع من الإحساس بالعجز والشلل ، وقد كان الأخرى أن يكون بلوغ عظمة هذا المسرح خاتمة مطاف أكثر منه بداية طريق . فعندما تشحذ الحركة المسرحية الحديثة قواها الإبداعية فقد تصل إلى عظمة مماثلة لعظمة هذا المسرح التقليد . إما البدء بتقليده والتبعية له فليس من شأنه إلا التردى فى العقم والفشل ، وذلك على الأخص لأن المسرح ظاهرة اجتماعية ترتبط بالظروف الثقافية والفكرية والسياسية لمجتمع فى لحظة من لحظات تاريخه ، فإذا تغيرت معالم تلك اللحظة ، وبخاصة إذا كان قد مضى عليها آلاف السنين ، فإن إعادة التجربة وعصرنتها لا توصل إلى شىء ذى بال . لذلك فقد قررنا نحن كتاب المسرح الحديث فى اليونان أن ندير ظهورنا للمسرح الإغريقى ، مع تقديرنا على أى حال للتجربة بذاتها ولذاتها . ومنذا الذى يستطيع ألا ينحنى تقديرا أمام هذا المسرح التقليد ؟ إن موضع فخارنا أننا كنا من الشجاعة والإخلاص لفكرة المسرح حتى أننا رفضنا ذلك الأتمودج القومى المهيّب . »

وعقب ثورة ١٨٢١ تجلّى مثل جديد على عدم التواصل والانفصام فى التاريخ الحضارى اليونانى . فقد مضى كتاب المسرح لسنوات عديدة يكتبون أعمالهم بلغة فصيحى كانت عنوانا على العقيدة الرسمية السائدة من أن الدولة اليونانية الحديثة هى الوريث الشرعى للحضارة الإغريقية القديمة ، ولكن العطاء الشعبى فى مجال الفن والأدب جلب معه حقيقة أخرى مؤداها أن اليونان الحديثة هى مزيج من إسهامات متنوعة . وباستثناء عمل أو عملين لأنطونيوس ماتيسيس وفيراندينيو تظل أعمال العشر سنوات التالية لشورة الاستقلال للأسف غريبة عن الفكر اليونانى الحديث ، ويفصلها سور من لغة عجفاء تفتقد النبض الذى يجعلها قادرة على إيصال ما تحتويه من مشاعر وأفكار . وفى أواخر القرن التاسع عشر مع غلبة اللغة

الشعبية بدأت تظهر على المسرح أعمال لكتاب جادين . وفى هذا المقام يسجل بالاماس فى «رسالته إلى إيسن» أنه لو قُدِّر أن تزهر عندنا حركة مسرحية جديدة بالتقدير عاجلاً أو آجلاً فلن يكون ذلك إلا على أيدي كتاب يتسبون إلى إيسن أكثر مما يتسبون إلى فيرنارذاكيس أورانجافى ، وهما من كتاب ما بعد ثورة الاستقلال .

ولكن عند هذه النقطة بدت المشكلة الدقيقة للعتاء المسرحى الحديث ، وهى مشكلة ما كان لها من حل إلا إقصاء اللغة غير الشعبية ، وهو ما لم يفعله كتاب المسرح اليونانى الحديث فحسب ، بل وأدباء اليونانية الحديثة أيضاً . هذا ما فعله بانديليس هورن وسبيروس ميلاس وكسينوبولوس ألمع أسماء المسرح اليونانى فى الثلاثين سنة الأولى من هذا القرن ، وقد تابع هؤلاء جميعا المسرح الأوروبى ويمموا شطره . وهذا ما فعله أيضاً بالاماس فى عمله المسرحى الوحيد «ست الحسن والكمال» الذى وإن كان قد كتبه عام ١٩٠٢ إلا أنه لم يقدم على المسرح إلا عام ١٩٣٥ أى بعد ثلاثة وثلاثين عاماً من كتابته .

ويقول الناقد توماس دوليس عن الكتاب السبعة الجدد أنهم يجلبون إلى المسرح اليونانى أملاً فى عطاء جديد . وأياً ما كان الحكم على حركة هؤلاء الكتاب إلا أنهم يذكروننا على أى حال بذلك الجيل اللامع من كتاب الرواية الذين ارسوا دعائم «الرواية اليونانية الحديثة» فى الثلاثينات من هذا القرن .

والذى يجمع بين هؤلاء الكتاب أنهم أوروبيون يتحركون - مع بعض الفوارق فيما بينهم - فى إطار الحضارة الأوربية الرحبية وشاركون فى الحركة الأوربية لا كمترجمين أو مقلدين عن بعد ، فينتظرون أن يأتى

غيرهم بالجديد من الأفكار والأساليب كي يكتفوا باقتفاء خطاهم ، بل أنهم يبدون في كثير من الأحيان أكثر جرأة وإقداماً وثقة بما يفعلون ، من رفاقهم الطليعيين في المسرح الأوربي والأمريكي . على أن الشيء الذي قد يكون مثير أسف بحق - على حد قول الناقد توماس دوليس - أن يتضح بعد ذلك أن مجتمعهم لا يستطيع ، لاعتبارات كثيرة ، أن يتابعهم في تجربتهم الفنية والإنسانية ، ولكن عندئذ سوف نكون من جديد إزاء التجربة المكررة دوماً ، تجربة الفنان الذي يجد بلده أضيق بكثير من أشواقه وتطلعاته .

لقد قدمت أعمال هؤلاء الكتاب الجدد على مسارح عديدة في أثينا ، منها «المسرح الحر» و«المسرح التجريبي» و«مسرح العصر الجديد» ومسرح «المسيرة» بل وأيضاً «المسرح القومي» ذاته ، لكن المسرح الذي تبنى أعمالهم بحق هو «مسرح الفن» لصاحبه المخرج الطليعي كارولوس كون ، الذي ناصر هذه الاتجاهات بكل قوته ، ولم يكتف «مسرح الفن» بأن قدم أعمال الجيل الجديد من الكتاب ، بل صار أيضاً مركزاً لتجمعهم ومعملاً لتجاربيهم .

لولا أنا غنوستاكي

لقاء في الليل

قدمت «لقاء فى الليل» أول مرة ، مع مسرحيتى «المدينة»
و«الاستعراض» فى سهرة واحدة بعنوان «المدينة» على مسرح «الفن» بأثينا
فى مايو عام ١٩٦٥ .

الشخصيات

- ميمى :** فى حوالى الأربعين من عمره ، من النظرة الأولى إليه
يبدو عليه «عدم الاكتراث» ، وعصبيته لاتبدو لها دلائل
خارجية قوية .
- صوفيا :** فى السادسة عشر من عمرها . لا تهدأ حركتها ،
صفيقة ، تكاد تكون عدوانية الطابع ، وفيها شيء
شيطانى نفعى داخل تفاهة وجودها اليومى .
- العجوز :** عجوز رقيقة حنون . حركتها بطيئة متشنجة .
-

(غرفة ذات أثاث غير متجانس ، من بقايا مختلف المستأجرين الذين مروا بها في أزمان متفرقة .
أريكة فسيحة ، منضدة سرير ، دولاب لأدوات المائدة ، مدفأة حديدية . في الوسط منضدة عليها
مصباح كهربائي بغطاء مهذب الحواشي . الثور مضاء . دولاب صغير ذو أرفف ، وبضعة كراس . الباب
الرئيسي إلى اليمين يطل على العتبة . وعندما يفتح يبين المعراجي والدرجات الأولى لسلم يقود إلى
الطابق الأعلى .

على اليسار باب آخر يقود إلى المطبخ .

عندما يفتح الستار تبدو العجوز مولية الجمهور ظهرها ، منحنية على الدولاب الصغير ذي
الأرفف . تسمع موسيقى منبعثة من أرغن صغير . تستدير العجوز ببطء نحو الجمهور . يتضح الآن إنها
تمسك ساعة قديمة تصدر عنها الموسيقى . ترفع الساعة ببطء إلى أذنها . تبسم ابتسامة خفيفة . تخفض
الساعة عن أذنها وتوقف الموسيقى . ويقطعة من قماش تمسك بها في يدها تنطف الساعة . ثم تشرع
بحركات بطيئة عقيمة في تنظيف الأثاث . تستدير وتنظر إلى المصباح المضيء . ترفع قليلا يدها بمسكة
بقطعة القماش ، كما لو كانت تريد أن تنظفه ، ولكنها تعدل عن ذلك وتغمض عينيها قليلا ، وتخفض
يدها . بحركات وثيدة تكاد تكون آلية تمضي إلى المدفأة الحديدية ، وتحاول أن توقدها .

يدق الجرس . وبدأت الخطوات تذهب إلى الباب وتفتحه . تدخل صوفيا . ترتدى معطفا سميكاً
ومندبلاً على رأسها ، وتحمل حقيبة يد ، وحقيبة سفر كبيرة) .

العجوز : (بملوية ، مبتسمة ابتسامة واهية ، وبصوت ناعم) مساء الخير ،
تفضلتي .

صوفيا : (دون أن تتحرك . بارتباك قليل) من يسكن هنا ؟

العجوز : (على ذات حالها) تفضلتي . إنه ينتظرك . ينتظرك أنت .
(تخطو صوفيا داخلة) تأتين من بعيد ؟ (تنظر إلى الحقيبة) ضعي
حاجاتك هنا . تبدين متعبة . لحظة ، سوف أناديه .

(تمضى خارجه من باب المطبخ . تجيل صوفيا بصرها فيما حولها . تخلع
المنديل وتنفض شعرها . تعود العجوز بمظهرها السابق) .

العجوز : سيحضر بعد دقيقة ، أما أنا فسأبادر بالانصراف . ربت
الغرفة . وأوقدت لكما المدفأة . بعد قليل سيسرى
الدفاء . (تجيل بصرها فيما حولها) يطيب الجلوس هنا . أما
أنا فسأصعد إلى فوق . أقيم بالطابق الأول ، مع ابنتى .
نحن وحيدتان . (تقترب منها قليلا ، كما لو كان تريد أن تتفحصها)
كم أنت جميلة ؟ ابنتى دميمة . تغلق الباب على نفسها ،
وتجلس طوال النهار فى غرفتها . لا تريد الخروج لأنها
دميمة . هى دميمة ، ابنتى المسكينة الصغيرة (يدخل ميمى
من الباب الأيسر) .

ميمى : (إلى صوفيا) آه ، جئت ؟

صوفيا : أخيراً ! اعتقدت أننى لن أجد البيت أبداً .

العجوز : إنى أنصرف . أنصرف (تذهب حتى الباب . تردد ، تلتفت نحوهما
متسمة) . ستخبز ابنتى فطيرة الليلة . أنها تخبز فطيرة
يوم الأحد . طعمها لذيذ جداً . إذا أردتما ، ولم يكن
لديكما ما تفعلاانه ، تعاليا فى التاسعة لنشرب الشاي ،
ولتتذوقا الحلوى التى تصنعها ابنتى (تنخفض رأسها وتهزها كما
لو كانت تشجعهما) تعاليا . .

(تخرج)

صوفيا : من هذه ؟

ميمى : (بحركة مبهمة) عجوز تقيم بالطابق الأول . . تأتي من وقت لآخر لترتب الشقة . تقولين ، وجدت البيت بمشقة ؟

صوفيا : (ثائرة الأعصاب) مشقتى لا تكفى الكلمات لوصفها . (نجيل نظرها فيما حولها من جديد) يالها من غرفة كريهة . . . تقيم فى أقصى الدنيا ، هيه ؟ كل هذه الأزقة الضيقة ، متاهة حقيقية . وبالسخف تلك الفكرة ، فكرتك ألا أجىء معك ، بل انتظر نصف ساعة قبل أن أتحرك قادمة .

ميمى : لم أكن أريدهم أن يرونا .

صوفيا : هل عليك أن تقدم حسابا لأحد ؟

ميمى : لا أحب الأقاويل . ليس للناس من عمل سوى ترديد الأقاويل .

صوفيا : ولهذا وجب على أن أتحمل كل هذه المشاق ، تحت المطر ، باحثة عن بيتك ؟

ميمى : رسمت لك موقعه .

صوفيا : لا أفهم مثل هذه الرسوم . لا أجد طريقى على هديها بسهولة . لو كنت ذكرت لى اسمك على الأقل لسألت أحدا عنك .

ميمى : أرجو ألا تكونى قد سألت .

صوفيا : أى نكتة هذه . عم أسأل ؟ عم إذا كان يسكن بالقرب من هنا شاب طويل القامة يرتدى بلوفر ، واذكر لمن أسأل أوصافك ؟

ميمي : هيا ، اخلعي معطفك كي يجف من البلل . (ينحنى على المدفأة محاولاً أن يشعلها من جديد) .

صوفيا : بالطبع سأخلعه ، وسأخلع أيضاً جوربي وحذائي . إني مبتلة تماماً . انغرست في الوحل حتى ركبتني . (تجلس أمام المدفأة ، وتشعر في خلع حذائها) ما الذي سول لك أن تسكن في هذا الحى ؟ أهذه شوارع ؟ ألا يضعون على الأقل مصباحاً يرى المرء على ضوءه أين يطاء قدمه ، وإن كنت أعتقد أن مدينتكم كلها ليست أفضل من هذا الحى . إنها لم تعطني انطباعاً حسناً قط . قل لى ، أهى مطيرة هكذا مطراً لا ينقطع على الدوام ؟ منذ وطئت قدمي مدينتكم ، وهذا الجو السيء لم يتوقف . إسمع ، أليديك شىء من الملابس تعطينيه كي ارتديه ؟ سترة ، بيجاما مثلاً ؟ (ينفض ميمي ، ويخرج من الباب الأيسر . بينما تمضى صوفيا تقول) لا أريد أن افتح حقيتي من أجل ليلة واحدة . (في هذه الأثناء تكون قد خلعت معطفها وحذاءها وجوربها . تخرج من جيب المعطف الكبيرين خفين قطنيين وترتديهما . يحضر لها ميمي ثوباً نسائياً) من صاحبة هذا الثوب ؟

ميمي : زوجتي . اختلط ثوبها بأشيائي .

صوفيا : زوجتك ؟ أنت متزوج ؟

ميمي : (يلتفت إلى الثوب) كنت .

صوفيا : (تذهب إلى جواره وهي ترتدى الثوب) آه ، لماذا تقول كنت ؟ هل ماتت ؟

- ميمى : افترقنا .
- صوفيا : بالطلاق؟
- ميمى : (مجاهداً كي تشتعل اللدنة) كلا .
- صوفيا : إذن ، أنت متزوج . أفهم الآن السبب فى هذه
الاحتياطات . أرجو ألا اتعرض لمتابع ، أنا فى غنى
عنها .
- ميمى : (يستدير وينظر إليها) أى متابع ؟
- صوفيا : من أين لى أن أعرف ؟ للشيطان سيقان كثيرة . ربما
كلفت زوجتك أحدا بأن يتعقبك ، كي تحملك أنت
مسئولية الطلاق . ألا يحدث ذلك فى مثل هذه
الحالات؟ وعلى الأخص ، إذا كانت قد لمحتنى عين
أدخل إلى هنا ، فكم سيصعب أن نعلل سبب وجودى
عندك وارتدائى هذا الثوب . ثم أثنى قاصر ،
هيه ؟ لا تنس ذلك ..
- ميمى : شط عقلك بعيداً جداً .
- صوفيا : آه ، أنا أفكر فى كل شيء . لأثنى لو لم أفكر فى
أمورى ، فمن سيفكر فيها غيرى . والآن ؟
- ميمى : الآن : ماذا ؟ .. ليس ثمة ما يسرر أن تقلقى . لن
يضايقك أحد .
- صوفيا : أهو أمر مؤكد ؟
- ميمى : (غاضباً) آه ، أنت لا تطاقين ! ماذا تريدن ، أن أوقع
لك تعهداً ؟

صوفيا : حسنا ، حسنا ، لا تغضب . (تأخذ ثيابها وتشرها أمام المدفأة)

هل تسمح بذلك ؟ انظر ، سأشرها هنا كي تجف .
تحسن صنعا بإيقاد المدفأة . ربما لم يحن موسم إيقاد
المدافئ بعد ، لكنى أحب الدفء . وثمة رطوبة تخترق
العظام . آخ ، تخشيت يداى . تريد أن أساعدك ؟

ميمى : كل شيء على ما يرام . اشتعلت .

صوفيا : حسنا ، سيدب فينا بعض الدفء . (تمد ساعديها نحو النار)
حقا ، ما اسمك ؟

ميمى : ميمى .

صوفيا : ميمى فقط ؟ واسم الأب ؟ (لا يجيب) فهمت ، لا تريد

أن تخبرنى باسمك كاملا . وعلى الرغم من كل ما تقول ،
تخاف ، لأنك متزوج . . ومن أين لى أن أعرف ؟
ربما كنت تكذب إذ تقول إنك افترقت عن زوجتك .
ربما كانت على سفر . وربما كنت تستأجر هذه الغرفة
كى تستقبل فيها زوارك . لكن ، كلا ، هذا أمر يكاد
يكون مستبعدا ؛ لأنك ما كنت ستكلس كل هذا الأثاث
فيها . على كل حال ، شيء واحد أريد أن أوضحه منذ
البداية ، لستُ ممن تظن أننى منهن ، لأنك دعوتنى
للحضور إلى بيتك وقبلت فوراً . لا أحب أن أنام
وحدى فى القنادق . شبعنت منها . هذا كل ما فى
الأمر . لماذا تنظر إلى على هذا النحو ؟

ميمى : على أى نحو أنظر إليك ؟

صوفيا : (بضراوة) سيكون الأمر طريفا لو كنت قد ندمت من الآن على إحضاري إلى هنا . إذا كنت تضجر مني سأنصرف . تكلم هل تريدني أن أنصرف ؟
ميمي : الأمر سيان بالنسبة لي .

صوفيا : أنت رجل غامض . . . (تذهب إلى الأريكة وتجلس عليها) على الرغم من ذلك فإنك توحى إلى بالثقة ، ربما لأنك تبدو أكبر سنا مني بكثير . كم سنك ؟ أربعون ؟
ميمي : تقريبا .

صوفيا : (نهز ساقيها بانتظام) رأيت ؟ من بين كل الرجال الذين كانوا يقفون خارج المحطة ، اخترتك أنت ، واقتربت منك أسألك أين يمكنك قضاء ليلتي . وعندما قلت لي لفي بيتي ، تبعتك فورا . كان باستطاعتي على أي حال أن أتحدث إلى أحد الشبان ، أليس كذلك ؟ كان هناك شاب يرتدي بلوفرًا أحمر ، ويتظاهر بقراءة مجلة رياضية ، بينما كان يلتهمني بنظراته . وعندما نهضت مبتعدة ، مضى يتعقبني . صدقني .

ميمي : مضى يتعقبك ؟ لا أعتقد أنه تبعك إلى هنا .
صوفيا : كلا . بطبيعة الحال . إنك خائف حقا ! كلا ، كلا ، لم أكن أريد مشاكل . رمقته بنظرة شرسة ، فعاد إلى مكانه . (تبتسم) كان وسيما . ربما أخطأت إذ لم أحدثه . ما رأيك ، هل أخطأت ؟

(يتناول ميمي الساعة الموسيقية بين يديه ويتحسسها بأنامله) .

- ميسمي : لم أسمع . ماذا قلت ؟
- صوفيا : أرى ذلك . أنت منشغل البال (تنهض واقفة) كم غرفة لديك ؟
- ميسمي : هذه . إنك لم تدخلي قصرا .
- صوفيا : (تضحك) ليست هذه غرفة قصرا على أية حال ، إنها بهو .
- المكان فسيح ، لا أنكر ذلك . . (تذهب إلى اليسار) إلى أين يقود هذا الباب ؟
- ميسمي : إنه يقود إلى المطبخ والحمام .
- صوفيا : حسن أن يكون لديك حمام . أهنأك ماء ساخن ؟
- ميسمي : كلا . . لكن إذا كنت تريدون ، أسخن لك ماء .
- صوفيا : هيه . . كنت أريد أن أغسل شعري . . لكن ، دعك من ذلك . . ليكون ذلك فيما بعد . . الآن ، أريد أن أستريح . إذن ، هذا بيتك كله . هنا ، كنت تعيش مع زوجتك ؟
- ميسمي : كلا ، كنا نستأجر بيتا آخر . أوسع من هذا بقليل .
- صوفيا : هل أنت فقير ، هيه ؟ ألهذا هجرتك ؟
- ميسمي : من ؟
- صوفيا : زوجتك .
- ميسمي : هل قلت لك أنها هجرتني ؟
- صوفيا : هذا ما فهمته . ما هو عملك ؟
- ميسمي : ليس بالعمل المهم .
- صوفيا : وماذا يعنى ذلك ؟

ميمى : أعمل فى دكان . يبيع عاديات ، وأشياء أخرى صغيرة من بقاع مختلفة . لا تساوى أغلبها مليما . لكن هناك أيضاً أشياء صغيرة جميلة . انظرى ، مثل هذه ... (يقرب منها ويربها الساعة التى يحملها) .

صوفيا : ما هذه ؟

ميمى : ساعة . (يشغل العدة فتسمع الموسيقى . بنصت الاثنان بضع ثوان صامتين) من الذهب منقوشة ، وبالميناء مطلية بيد صانع ماهر من القرن الثامن عشر فى قرية صغيرة خارج نورمبرج . عددها بطبيعة الحال تالفة .

صوفيا : أهى غالية الثمن ؟

ميمى : بالنسبة لى غالية جداً . (يضعها على رف الدولاب ويتأملها بإعجاب) وضعت عيني عليها منذ البداية . كلفتنى مرتب شهرين . اشتريتها بالتقسيط طبعاً .

صوفيا : وهذا الشيء هناك ؟

ميمى : هذه محارة من ماراكيو .

صوفيا : كبيرة إلى هذا الحد ؟

ميمى : ضعيتها على أذنك . ماذا تسمعين ؟

صوفيا : هديراً .

ميمى : كما لو كنت فى البحر ، هيه ؟

صوفيا : صدقت - وريح تهب أيضاً ... من أين جاءت هذه ،

قلت ؟

ميمى : من ماراكيو .

- صوفيا : آه . . . وهذا الخنجر ؟
- ميمي : الخنجر ؟ كلا ، لم أشتريه من الدكان . أهدها لى أحد الأشخاص . إسباني ، من توليدو .
- صوفيا : (بحيره) إنه حاد النصل .
- ميمي : (يتعمد عنها) أتريدين أن تأكلى شيئا؟ أن تشربى ؟ (يذهب إلى دولا ب أدوات المائدة ، ويفتحه ، يخرج زجاجة كونياك وقدحا) .
- صوفيا : لا أشعر بالجوع هذه اللحظة . لكن إذا قدمت لى قدحا ساخنا تناولته راضية . (تجول وتأمل المكان والأشياء من حولها) ماذا عندك ؟
- ميمي : كونياك ، قهوة ، شاي .
- صوفيا : عندك لبن ؟
- ميمي : أجل (يشرب قدحه جرعة واحدة) اجلسى ، سوف أحضر لك طلبك (يملا قدحا ثانياً ويخرج من اليسار . تفضى صوفيا وقد ظلت وحدها تتأمل الغرفة . ترفع صوتها كى يسمها ميمي) .
- صوفيا : ألا يمكن تهوية هذه الغرفة من مكان ما ؟
- ميمي : (من خارج المسرح) اجذبي الستائر الموجودة فوق الأريكة .
- صوفيا : آه ! ياله من فناء جميل ! ما اسم هذه النباتات ؟
- ميمي : غليسينيس .
- صوفيا : غليسينيس . اسم جميل . لما لا تترك النافذة مفتوحة ؟
- ميمي : (يدخل حاملا قدح اللبن) لا أريد أن يتسلى الجيران بالنظر إلى اغلقه !
- صوفيا : الجيران ؟ من غيرك يسكن هنا ؟

ميمى : لا أعرف . أنا حديث العهد بهذا البيت .
صوفيا : لو كنت أنا لعرفتهم جميعا فى يوم واحد . يطيب لى
أن أتكلم مع الناس . (كانت فى سيرها قد اقتربت مما يبدو أنه ستارة.
تجذبها) آه ، نافذة أخرى . ما هذه الأنوار ؟

ميمى : الأحياء القديمة .
صوفيا : أياضيرك أن أتركه مفتوحا هنيهة ، كى أنظر إلى الخارج ؟
(تناول تدح اللبن) غدا ، سأجول فى المدينة . مادمتم قد
وجدت بها فلا تعرف عليها . لن أخسر شيئا . ربما
راقت لى أيضا . هذا شأنى دائما . فى البداية ، يبدو
لى كل شىء سيئا ، ثم أعود . مثلما حدث لى فى
هذه الغرفة . ما أن دخلت حتى قلت لنفسى . كيف
يمكن أن يعيش أحد هنا ، اما الآن فقد تعودت عليها
وانتهى الأمر . ماذا تشرب أنت ؟

ميمى : كونياك !
صوفيا : تعبها عبا ، كما يقولون . إنه مستحب فى هذا البرد ،
هيه ؟ فى ألمانيا يشربون كثيرا ، كل المشروبات . (عادت
تجلس على الأريكة من جديد ، وتشرب لبنها رشفة رشفة) قضيت ثلاث
سنوات فى ألمانيا . من هناك جئت . أوه ! أجلس
وأحكى لك أمورا كثيرة عنى ، وأنت لا تبدو أنك
تكثرث بها كثيرا . ولكن ها أنا أحمل معى حقيبة
ضخمة ، ألا يجدر أن تعرف السبب ؟ إنى قادمة من
سفر بعيد . كنت مع أمى . قد تسأل كيف تواجدت

امراتان فى ألمانيا . إنها قصة طويلة . كان أبى قد ذهب إلى هناك ليعمل ، وذلك منذ أمد بعيد . سافر دون أن يخبر أحدا ودون اكتراث بنا . وفجأة ، منذ ثلاث سنوات تلقينا خطابا منه ، يدعونا للحضور إليه . بعنا كل ما لدينا ، بعض الأثاث القديم وما شاكل ذلك وانطلقنا إلى ألمانيا . ولكن عندما وصلنا إلى العنوان الذى كتبه لنا أبى اختفى . انشقت الأرض وابتلعتة ، ولم يعد لدينا مال نعود به . لأننا أنفقنا فى البحث عن أبى كل شىء . وفى النهاية وجدت أمى عملا عند بعض الأمريكين واستقر بنا الحال . وعدت أنا الآن إلى اليونان (نرفع كتفها) يجب أن أنزل إلى اثينا لأقيم عند خالة لى . لكننى مللت أن أبدأ كل شىء من جديد . اتعرف . كما سبق أن قلت لك من قبل ، سأقوم بجولة فى المدينة ، وإذا راقى لى ، ربما استقر بى المقام هنا . لكن الأمر سيحتاج أن أجد عملاً . ألن تساعدنى أبدأ؟.

- ميمى : من الصعب أن تجدى عملا فى مدينة صغيرة .
صوفيا : فى هذا الدكان الذى تعمل به ، ربما احتاجوا إلى فتاة .
أعرف الألمانية وقليلًا من الإنجليزية .
ميمى : لا تتصورى الأمور على هواك . ليسوا بحاجة إلى مستخدمين . لديهم ما فيه الكفاية .

- صوفيا : لكن قد يعرفنى صاحب الدكان الذى تعمل به بآخرين .
 لن تخسر شيئا لوأخذتنى كى أتعرف به . هل آتى معك
 صباح غد ؟
- ميمى : صباح غد ؟ لن أذهب غدا صباحا .
 صوفيا : إذن ، صباح بعد غد ؟
- ميمى : ولاصباح بعد غد . إنى لا أذهب إلى هناك هذه الأيام .
 لدى إجازة .
- صوفيا : إذن ، فلنمر لمجرد أن تعرفنى به .
 ميمى : (وقد فرغ صبره) كلا ، هذا لا يمكن .
 صوفيا : ألا تريد أن تساعدنى ؟
- ميمى : قلت لك . هذا لا يمكن .
 صوفيا : إذن ، مادمت بإجازة ولديك وقت ، ستأخذنى إلى
 واحد من معارفك الآخرين .
- ميمى : ليس لدى معارف .
 صوفيا : آه ، فهمت ! لا تريد . ربما تخشى أننى أنوى أن أبقى
 هنا ، وأصبح عبئا عليك . أظن أننى قلت لك من
 قبل ، لست من أولئك اللاتى تظن أننى منهن .
- ميمى : لا أظن شيئا .
 صوفيا : كيف ، كيف ، من أولئك اللاتى يدعوهن رجل إلى
 بيته لقضاء بعض الوقت . وإذا بها قد التصقت به مثل
 دودة مصاصة دماء . تصورتنى من الفتيات سيئات
 السمعة اللاتى يحصلون عليهن من مقاهى المحطات .

- ميمي :** لم أتصور شيئاً . ولا حتى يعنينى هذا الأمر .
- صوفيا :** لكنه يعنينى أنا ! حياتى نقيّة مثل البللور . ولست بحاجة إلى عون من أحد . لست مفلسة . عندي ما يكفينى لمدة شهر ونصف على الأقل . أخرجت أمى كل ما فى كيسها وأعطته لى . هل فهمت الآن ؟
- ميمي :** (ناتر الأعصاب) قلت لك لا يعنينى هذا الأمر فى شيء ! وكفى عن الاحتجاج دون سبب . إنك مزعجة .
- صوفيا :** تزعجيني .
- صوفيا :** حسناً . إذن ، فلأرحل . ليس عليك سوى أن تقول لى ذلك بصراحة .
- ميمي :** تردددين وتردددين الأقوال ذاتها ! منذ اللحظة التى دخلت فيها ، وأنت تتكلمين عن الرحيل .
- صمت -
- صوفيا :** أنت محق . ربما كنت مزعجة . لكن ضع نفسك مكانى . لا أعرف كيف أتصرف نحوك . لم أعرف بعد ماذا تريد منى . أعتقد أنك . . .
- ميمي :** ماذا اعتقدت ؟
- صوفيا :** لاشيء . (برهة صمت قصيرة) ماعدت أسمع المطر . تريد . . . ربما تريد أن تخرج فى نزهة . أليست هذه فكرة طيبة ؟ فى طريق مجيئى لمحت محلاً لبيع الحلوى ، بالقرب من هنا . لابد أنك تعلم عن أى محل أتكلم . هلا ذهبنا إليه نتناول شيئاً ؟

ميمي : إنتى لا أذهب أى محال بيع الحلوى . فيها ضجيج كثير ،

وأدخنة ، والجميع يتكلمون معا وبصوت جهورى ..

صوفيا : إذن ، فلنبق هنا . فى الحقيقة ، أنا أحب الصخب -

وليس ذلك لأنى أجد فيه متعة ، بل لأنى بغيره أضجر ،

ولا أعرف ماذا أفعل . فى ألمانيا ، فى الأيام الأولى ،

كنت على الدوام وحدى . كنا نسكن فندقا قديما . كان

صفا من الغرف تطل على ردهة مديدة ضيقة . غرفتنا

فى طرفها القصى بجوار دورة المياه . كانت أمى متغيبة

طوال النهار . لم أكن أعرف كيف أمضى وقتى .

عانيت عزلة موحشة ، لا يمكنك أن تصدق ! اسمع

الآن ، عم تفتق ذهنى ! كنت أجلس وراء الباب ،

وانتظر أن يذهب أحد إلى دورة المياه . وما أن أسمع

خطواته تمر بالخارج ، أفتح الباب قليلا وأتحدث إليه .

أقول له « مساء الخير » كيف حالك ؟ » يقف البعض

ونتجاذب أطراف حديث قصير ، على أن البعض الآخر

أيضاً كان يتتابهم الخجل - لأنى باغتهم ذاهبين للتبول ،

وكان يتصادف ارتداؤهم ملابس النوم ، فكانوا يجرون

مهرولين إلى دورة المياه . (تضحك) كانوا جميعا تجارا من

الأقاليم . نزلاء عابرين . كنت أنا وأمى الوحيدتين اللتين

تستأجران غرفة بالشهر - كلا . ليس هذا صحيحا ، كانت

هناك امرأة أخرى أيضا . هل تتابعنى ؟

ميمي : كيف ، أجل !

صوفيا : كانت تقطن غرفة فى الطرف الآخر من الردهة . عندما أتذكرها يقشعر بدنى . كانت طويلة ونحيلة مثل عصا البليارد . ترتدى ثوبا باهتا ، لازلت اراه امامى ، بزهور حمراء ، أما رأسها .. (تنهض) انتبه ، فالأمر جدير بالاهتمام ، رأسها كله فكان ملفوفا بالضمادات . ولا يبدو من وجهها سوى عينيها وقليل من فمها فحسب . كنت أتعرف عليها عندما أسمعها تمر ذاهبة إلى دورة المياه ، وذلك من صوت خفيها اللذين كانا يزحفان على الأرض زحفا لينا . وكنت أغلق على نفسى الباب بسرعة . كان الخوف يتابنى . لاتستهن بهذا الأمر . ذات مرة رأيتها فى نومى . كان كابوسا . وأنت ألا ترى فى نومك كوابيس ؟

ميمى : أحيانا .

صوفيا : ماذا ترى ؟ قل لى .

ميمى : أشياء مألوفة .

صوفيا : آخ ، قل لى ، يروق لى أن أسمع . إنى أجزع منها لكنى أفتن بها ! عندما كنت صغيرة ، كنت ألعب مع سائر الأولاد لعبة «الخوف» أتعرفها ؟

ميمى : كلا . إنها أول مرة أسمع عنها .

صوفيا : هذا صحيح ، كيف لك أن تسمع بها ! كانت لعبتى أنا ، تفتق ذهنى عنها ، كنا نجتمع فى الظلام ، ونرى من منا سيخيف الآخرين أكثر من غيره . وكنا نحكى ونحكى

وكان بعض الأولاد لا يتحمل ذلك فينهار سريعا ،
وكان البعض الآخر يمضى فى سرد قصص مرعبة ، عن
مسوخ وخوارق ، وفى النهاية يكون كل منا قد أطلق
صرخته . ما من أحد كان يصمد حتى النهاية . والآن ،
هل ستحكى لى عن كوابيسك ؟

ميمى :

لا أذكر شيئا منها .

صوفيا :

(بلهفة) هيا ، أرجوك ، تذكر .

ميمى :

(برهة صمت قصيرة . ثم يتكلم بيروود) ذات مرة ، رأيت فى الحلم
أن البيت الذى كنت استأجره آنذاك مع زوجتى ، صار
فجأة ممرا .

صوفيا :

(بانفعال شديد) عمر ؟

ميمى :

أجل . صدر أمر من الحكومة بأن يصبح ممرا . وصار
لمن يشاء أن يفتح الباب ويدخل ، ويمر خارجا من الباب
الآخر . ولم يكن يتسع الوقت لى ولزوجتى ولا حتى
أن ننهض من الفراش ، فقبعنا جالسين ملتفين بالملاءات ،
وكان الناس يمرون ، ويمرون . بل أن أحدهم رشح
سريونا كما لو كان ريشة خفيفة ، كى يفسح الطريق .

صوفيا :

ليس هذا بالأمر الجسيم . لو أقص عليك أنا ما أراه
ستموت من الخوف . إننى أصرخ فى نومى وأستيقظ
باكية ، أنا التى لم أبك يوما قط . (برهة صمت) . أنت
تشرب كثيرا .

ميمى :

هية ؟

- صوفيا : أقول أنك تشرب كثيرا . أدمنت منذ رحلت ؟
- ميمي : من رحل ؟
- صوفيا : زوجتك .
- ميمي : ألا تكفين عن الإشارة إلى زوجتى . كفى هذه النغمة .
- صوفيا : حسنا ، لا تغضب .
- ميمي : يروق لك أن تدسّ أنفك فى كل شيء .
- صوفيا : لابد أن نقول شيئا حتى يمضى الوقت ، وأنت لا تفتح فمك بكلمة . أتكلم أنا على الدوام . الساعة لارالت الثامنة والرّبع . ليس من بهجة هنا . كما أن الجو بارد .
- أصدقاء ، اليس لك أصدقاء ؟
- ميمي : لماذا تسألين ؟
- صوفيا : معارف يأتون لزيارتك . . ما قولك لو يدق أحدهم الباب . .
- ميمي : كلا ، ليس لى أحد . ليس من المتوقع أن يحضر أحد .
- صوفيا : لو يدق الباب الآن . ويدلف أحدهم هنا . . أنا لا أصدقك . سنك أربعون عاما ، وليس لك معارف .
- ألم يتصادف حتى عن طريق زوجتك أن توطدت علاقتك بأحد ؟
- ميمي : لم يكن معارف زوجتى يساوون مليما واحدا . كنت أضجر منهم .
- صوفيا : ولا فى الدكان الذى تعمل به ، التقيت بأحد ؟

- ميمى : ما من أحد لائق . المستخدمون منشغلون بعملهم .
والزبائن يأتون ، ينبشرون المعروضات ، يسألون عن هذا
الشيء أو ذاك ، ثم ينصرفون .
- صوفيا : ولكن ماذا تفعل طوال النهار ، وأنت وحيد هكذا ؟
- ميمى : أذهب إلى عملى ، وأعود منه ، وأنام .
- صوفيا : وعندما يكون لديك إجازة ، مثل الآن ؟
- ميمى : أخرج فى جولة ، إذا كان الجو طيبا .
- صوفيا : أين تذهب ؟
- ميمى : أذهب بعيدا ، بعيدا عن المدينة . إلى ناحية الحصون .
أنت لا تعرفينها . المكان جميل هناك . أمشى كثيراً .
أحب المشى . أصعد عاليا عاليا وأأمل المدينة تحتى .
المنظر هناك بديع ، وعلى الأخص عند الغروب .
- صوفيا : وإذا كان الجو مطيرا ؟
- ميمى : أجلس هنا ، وأقرأ .
- صوفيا : ماذا تقرأ ؟ لا أرى كتابا واحدا .
- ميمى : وضعتها كلها فى صندوق . وبعضها متناثر هنا وهناك .
- صوفيا : أنا لا أقرأ أبدا . لا تروق لى القراءة . عندما أفتح كتابا
أنزلق إلى التفكير فى أمورى ، ويحدث لى هذا أيضا
فى السينما . ما إن يبدأ الفيلم حتى تتأبى الرغبة فى
الانصراف . (تتنفص) .
- ميمى : ماذا حدث لك ؟
- صوفيا : لاشيء . هذه الغرفة . . ألا يخيّل لك أن الضوء فيها
قد خفت ؟

- ميسمي : ربما بسبب المطر .
- صوفيا : ماذا سنفعل لو انطفأ النور تماما ؟ هل لديك شمعة احتياطية ؟
- ميسمي : سنجد شيئا نستضيء به (برهة صمت . تذهب صوفيا ضجرة إلى النافذة . وتنظر خارجا . يتمتم فجأة شارد البال) أما عن الأصدقاء الذين تتحدثين عنهم فقد كان لى منهم كثيرون .
- صوفيا : (تستدير نحوه دون اكتراث) وماذا حدث لهم ؟
- ميسمي : (ماضيا فى تمتته وشرود باله) لا أدري . رحل بعضهم . واختفى الآخرون . مضت سنون دون أن أراهم . كنا نلتقى فى مقهى فى «كمارا» .
- صوفيا : (ماضية فى ضجرتها وعدم اكترائها) وما «كمارا» هذه أيضا ؟
- ميسمي : (يستدير وينظر إليها) سفينة ، من القرن الثالث الميلادى .
- صوفيا : لا تحدثنى عن التاريخ . لا أذكر منه شيئا .
- ميسمي : مقهى «القمر الجميل» هكذا كانوا يطلقون عليه . فقد علق عند مدخله مصباح على هيئة قمر نصفى .
- صوفيا : كنت تتردد أذن على المقاهى .
- ميسمي : إننى لا أتكلم عن الحاضر . هذا الذى أقوله لك حدث منذ سنين . ولم يكن «القمر الجميل» مثل غيره من المقاهى . على الحائط علقتم مرآة كبيرة ذات إطار ذهبى . . ثبتت فى رواياها بطاقات من ورق البردى تصور مناظر طبيعية . كما علقتم أيضا صورة لسارة ليناندر فى ملابس الرجال .

صوفيا : المقاهى فى ألمانيا مزودة بأثاث فاخر و . . (تتوقف لأن ميمى قد شرع بتكلم) .

ميمى : كانوا جميعا يحضرون إلى هناك . لم يكن يتخلف أحد . يجلسون متجاورين فى صف واحد . أكاد أراهم . ميلتوس ، إيلياس ، يورغوس ، ميخاليس ، ماريا . كنا نبقى إلى وقت متأخر ، متأخر جدا . فكان النعاس يغلب الساقى . وفى بعض الأحيان كان يقترب ويتسمع حديثنا . لم يكن يفهم شيئا كان صيبا ، فى الثانية عشرة من عمره .

صوفيا : بين الحين والحين كنت أذهب وأرقص . ومرة واحدة ، مرة واحدة فحسب ، ذهبت إلى حفل راقص كبير . عزفت فيه الموسيقى أوركسترا حقيقية .

ميمى : لم تكن نروق لصاحب المقهى . كنا نشير صخباً كثيراً . كان يقول تثيرون صخباً كثيراً ، وستدق أعناقكم يوماً ، آن أوان أغلاق المقهى . كنا آخر من ينصرف على الدوام . (تنظر إليه صوفيا باهتمام كبير الآن) أجل ، فى ذلك الحين ، كان لى أصدقاء كثيرون .

صوفيا : حسنا . (برهة صمت) وماعدت تراهم الآن ، من وقت لآخر ؟

ميمى : (محادثا نفسه) نادراً . منذ سنة التقيت مصادفة بأحدهم ، فى الطريق عرفته منذ أول وهلة ، أما هو فلم يعرفنى . احتاج أن أخبره باسمى ، حتى يتذكرنى (تبتعد صوفيا عن

النافذة . تأتي إلى مرآة قديمة ذات إطار ذهبي معلقة إلى اليسار . تتأمل صورتها المنعكسة على أديمها) كان قد خطا في الطريق الصاعد . كون ثروة . شيء غامض كيف تأتي له ذلك . افتح متدى فخما على مقربة من البحر . يلتقى فيه صفوة القوم كل ليلة . (قربت صوفيا وجهها من المرأة ومضت تتحسس باناملها) سر كثيرا بلقائي . هكذا قال . وذكر لى أنه بدوره ماعاد يرى أحدا من القدامى . أخبرنى أن إحدى فتيات الصلبة صادفته أمام بيته ذات مرة ، لكنها تظاهرت بأنها لم تره . أحزنه ذلك كثيرا . إنها ماريـا . كان اسمها ماريـا آنذاك ، كنا نعرفها جميعا بهذا الاسم .

صوفيا :

كنت أعرف فتاة اسمها ماريـا ، وكنا نناديها مارا . قال أن حالها قد ساء . إبيض شعرها . وتهدل ثدياها . تأثر كثيرا لما رآها ، لكن تحاشيها له أحزنه أكثر . كما قال لى إنه ليس سعيدا ، وزوجته لاتحب له أولادا ، وهى تعاني من مرض يجعل عرقها كريه الرائحة ، حتى أضحي الرقاد إلى جوارها عذابا لا يطاق .

ميمى :

(تصرف عن المرأة) الساعة لازالت الثامنة والنصف .

صوفيا :

(يغضب فجأة) ماذا تريدن فى النهاية ؟ تروحين وتجيئين طوال الوقت ! اجلسى فى مكان واحد !

ميمى :

كان من الأفضل الا أجيء إلى هنا الليلة . أجل كان ذلك أفضل ! سحقا لكل شيء ! كنت سأدفع مال أسبوع وأستأجر هذه الليلة غرفة فى فندق غالى السعر .

صوفيا :

هذه الفنادق شيء آخر . كنت سوف انزل إلى قاعة الفندق
وأشاهد الناس . لكنني جئت هنا ، وانتهى الأمر . فات
الوقت . إلى أين أجرى في هذا المطر ، لن أوفق أبدا
في الخروج من هذه الأزمة ، وأصل إلى قلب المدينة .

ولماذا تريد أن تنصرفي ؟

ميمي :

صوفيا :

لا يروق لي الجو هنا! هذا هو السبب ! شيء ما يطبق
على صدري ، يعتصر قلبي ! أختنق ! وفضلا عن ذلك
فأنت ضجر مني . أرى ذلك . لا تعيرني انتباها . إما
أن تتحدث إلي نفسك أو تغلق فمك . لا أفهم لماذا
دعوتني ، مادمت منذ أول لحظة قد سئمت مني . وهذا
الضوء يزداد خفوتا كلما تقدم الوقت . تتأبني الرغبة
في أن أخرج إلى عتبة السلم وأطرق بابا ، أي باب
ألقاه! أتعرف أن وقت الطعام قد حان ؟ لا بد أنهم في
الشقق الأخرى يتأهبون للجلوس إلى المائدة .

ميمي :

صوفيا :

سألتك من قبل ، فقلت لي أنك لست جائعة .
تفهم جيدا ما أقول ، وليس لي رغبة في أن أكل ، وأنا
أرى وجهك الجهم . آه ، اسمع ! سأصعد إلى الدور
العلوي . حقا ! سادق باب هذه العجوز التي دعتنا إلى
شرب الشاي مع ابنتها .

ميمي :

صوفيا :

الزمي صوابك . لا تستطيعين أن تذهبي إلى هذا البيت .
أستطيع ذلك . وأستطيعه جيدا . سوف يسران لرؤيتي .
سأقول لهما : جئت أنعم بصحبتكما .

- ميمى : قلت لك : لا تستطيعين .
- صوفيا : أتقول ذلك ؟ ها أنا ذاهبة إذن (تخلع ثوبها بحركة مفاجئة . بينما يحاول ميمى أن يثنيها عن ذلك) .
- ميمى : لا تكونى حمقاء .
- صوفيا : سأذهب ، سأذهب ، سأذهب ! (يمسك ميمى بلراعها)
- دعنى ، أنت تؤلمنى ، سأذهب فى زيارة قصيرة وأعود .
- اتفقنا ؟
- ميمى : قلت لك ليس باستطاعتك أن تذهبنى . اسمعى ، هذه المرأة مجنونة .
- صوفيا : مجنونة ؟
- ميمى : مجنونة . كيف أعبر لك عن ذلك . إنها مختلة العقل .
- صوفيا : تكذب على . لا أصدقك .
- ميمى : كل من فى البيت يعرفها . . أول ما يجب أن تعرفيه أنه ليس لها ابنة ، بل لم يكن لها ابنة قط .
- صوفيا : لا أفهمك .
- ميمى : (يتناول قلدحه من جديد) كان لها ابن قتلوه أثناء الاحتلال أمام عينيها ، فاختل صوابها . فهمت الآن ؟ نسيت ابنها المقتول . وخیل إليها منذ ذلك الوقت أن لها ابنة تجول فى البيت ، وتستقبل الناس ، وتخبز الفطائر .
- صوفيا : (غير متأكدة) مستحيل هذا . أنت تسخر منى .
- ميمى : أقول لك يعرفها الجميع هنا . تنتقل بين الشقق نازلة صاعدة وترعج هذا تارة ، وترعج ذاك تارة أخرى .

- صوفيا : (تجلس على الأريكة بحركة آلية) ما كان يجب أن تقول لى هذا .
حزنت من أجلها .
- ميمى : ما كنت سأخبرك لولا أنك أصررت على ذلك كثيرا .
- صوفيا : تصور ! أى أشياء يسمعها المرء إذن ، ما دام الأمر على
هذا النحو ، فهنا أفضل . ها هو يخفت مرة أخرى .
- ميمى : ما الذى يخفت ؟
- صوفيا : الضوء .
- ميمى : يخيل إليك ذلك .
- صوفيا : قتلوا كثيرون آنذاك - أليس كذلك ؟ - فى زمن
الاحتلال . لم أكن قد ولدت بعد . أما أنت فلا بد أنك
كنت شابا . ماذا كنت تفعل ؟ هل كنتم تقاسون كثيرا ؟
- ميمى : اختلف الأمر .
- صوفيا : ماذا يعنى «اختلف الأمر» ؟
- ميمى : قاسى البعض ، والبعض الآخر لم يقاس .
- صوفيا : وأنت كيف أمضيت تلك الحقبة .
- ميمى : أنا .. كنت أدرس الهندسة الكهربائية .
- صوفيا : صحيح ؟ ولم تكمل دراستك ؟
- ميمى : كلا .
- صوفيا : وبعد ؟
- ميمى : لم يكن ثمة «بعد» ؟
- صوفيا : ماذا فعلت بعد ذلك ؟ كيف أمضيت كل هذه السنين .
- لماذا هجرت الهندسة الكهربائية ؟

- ميمي : متاعب . . (يزداد انفعاله) .
- صوفيا : اتعرف ؟ تجيبنى على كل ما أسألك بأنصاف إجابات .
- لا يمكن لحديث أن يتصل هكذا . (تهب واقفة) سئمت .
- سئمتك !
- ميمي : لا تهبي واقفة هكذا ، كل لحظة .
- صوفيا : سأرحل ، وليحدث ما يحدث .
- ميمي : ستبقين هنا ، كما اتفقنا . وفي صباح الغد ، ستأخذين
- حقيبتك وترحلين . ها هو سريرك ، ارقدى ونامي ،
- إذا أردت . سأذهب إلى المطبخ .
- صوفيا : ليس لي رغبة في النوم . ولكن ماذا تريد مني في
- النهاية ؟ أى إنسان أنت ؟ يخيل إلى أنك لست في
- صوابك . . إلا إذا كنت . . حسنا ، إذن ، سأبقى
- ولكن ستتحدث . استمع ؟ لست مجرد متاع تجلبه إلى
- هنا ، وتتركه مهملاً في الركن ! ستتحدث !
- ميمي : وهل لدينا ما نتحدث فيه ؟
- صوفيا : لدينا الكثير . قبل كل شيء ، لماذا انفصلت عن زوجتك؟
- ميمي : إنها حكاية معقدة .
- صوفيا : ها قد عدت إلى الكلام المنقوص . كم سنة عشتما معا؟
- ميمي : عشر سنوات .
- صوفيا : لا بد أنها كانت امرأة دمية . هية ؟
- ميمي : كيف خطر لك مثل هذا الخاطر ؟
- صوفيا : هكذا . دمية وعجوز . هذه هي المرأة التي تليق بك .
- اتعرف على أية هيئة أتخيلها ؟ بجداول محلولة ،
- وعينان صغيرتان وأنف مثل منقار طائر !

ميمى : كلا ، على الإطلاق . كانت فائقة الجمال .
صوفيا : دمية ! كانت دمية ! هذا الثوب يستحيل إن كانت
ترتديه امرأة جميلة . الجميلات يرتدين ملابس من
الدانتيل متماوجة الأطراف . ولا بد أنها كانت عجورا .
هية ؟ مائة عام !

ميمى : كنا من سن واحدة .
صوفيا : ها أنت تعترف ! صدقت عندما قلت إنها عجورا
ومخبولة ومجنونة وبخيلة ! أجل ، بخيلة . كانت
بخيلة على الأخص ! ها ، ها ، ها ، ها ، ها ،
(اتابتها حالة شبه مستيرية ، مضت تقفز حوله) يا للحياة السوداء
التي كتتما تحيانها معا . لو كنت أعرفكما ما كنت
سأضع قدمي في بيتكما لزيارتكما . كنت سأقزر حتى
من القهوة التي كتتما ستقدمانها إلى . كانت الأقداح
ستحمل عليها بصمات .

ميمى : كفى عن السخافات ! ماذا دهاك ؟
صوفيا : تغضب ، هية ؟ اسمع ، هل تريد أن نلعب لعبة ؟
نلعب كي يمضى الوقت ؟ سأظهار بأنى زوجتك .
(تنكش شعرها ، وتلقى به على وجهها ، وتسير بخطوات متخبطة) وأنت
زوجها . تعال قل لى ماذا كتتما تفعلان ، عندما كتتما
معا ، ماذا كتتما تقولان ؟

ميمى : كفى ، أقول لك . هل جنتت ؟
صوفيا : (ماسة) لماذا طلقته ؟ قل لى ، قل لى . هل فاجأتها
مع عشيق . أم فاجأتك هي ؟

ميمى : لا هذا ، ولا ذاك . كل ما فى الأمر ، إننى ما كنت أصلح للزواج . ما كنت أصلح لشيء على الإطلاق - على الإطلاق وأنى لأكرر عليك القول ، كفى . ليست بى رغبة فى أن أتحدث عن ذلك . . .

صوفيا : ليست بك رغبة ، لأنه ليس لك مصلحة فى ذلك . ليس لك مصلحة فى أن تقول ماذا كان يدور بينكما . أكاد أراكما أمامى . لعلكما كتما من أولئك الذين يتبادلون الشتائم طول النهار . يتضاربون ثم يرتدون أفضل ملابسهم ويخرجون للنزهة . ولكن ذات يوم ، لم يعد أحكما يحتمل ، ورحل . أليس هذا ما حدث ؟ قل لى من منكما رحل أولا ؟

ميمى : أنا الذى رحلت أولا . لكن لم يحدث شيء مما ذكرته . رحلت لأتنبأ أردت أن أبقي وحدى . فهمت ؟ عشر سنوات فيها الكفاية .

صوفيا : تبقى وحدك كى تتفرغ لأعمالك القذرة ، وتجلب بلا قيد من تشاء من النساء إلى شقتك .

ميمى : أنى لا أجلب إلى شقتى أحدا . أنت أول امرأة وطأت هذا البيت منذ أن استأجرته ، وكان ذلك من شهر مضى ، ولم أحضرك من أجل هذا الذى تظنيه .

صوفيا : إذن ، لماذا ؟ (برهة صمت) لماذا دعوتنى لأنام هنا الليلة ؟

ميمى : لا أدرى . . لا أدرى . . لا تسألينى . . ربما لأتنبأ أشفقت عليك فجأة .

صوفيا : لا أصدقك .

ميمي : أنت محقة . ربما أردت أن أعرف كيف يكون الحال في
صحبة إنسان آخر . طوال هذا الوقت الذي أغلقت على
نفسى فيه الباب ، لم أكن أرى مخلوقا .

صوفيا : (ماسة) لماذا أغلقت على نفسك الباب ؟ ما الذى دهاك؟
أتخشى من شيء ؟ فى لحظة خطر بيالى أنك ارتكبت
جرما وتختفى بسببه .

ميمي : (ماضيا دون أن يعبرها اكرائا) طوال شهر مضى ، كنت أفعل
ما يروق لى .

منذ اللحظة الأولى ذاتها التى جئت فيها قلت لنفسى :
ها أنا فى النهاية وحيد بين جدران أربعة ، دون أن
يكون هناك من يطالبنى بحساب . تستطيع أن تتصرف
كما يحلو لك ، مادمت وحيدا . تستطيع أن ترتكب
حماقات ، أن تسير على أربع . ليس ثمة شهود على ما
تفعل . ذات يوم تناولت طعامى جالسا على الأرض ،
وفى يوم آخر أكلت بأصابعى دون شوكة أو سكين .
وقد ضحكت من ذلك كثيرا .

صوفيا : يا لها من تصرفات بشعة ! ماعدت أطيع أن أسمعك .
(تجول فى الغرفة يائسة) يا ألهى ، كم أنا سيئة الحظ على
الدوام ، كم أنا سيئة الحظ ! لم ألتق قط بإنسان لائق ،
سواء أكان رجلا أو امرأة .

ميمي : (بمضى خلفها) اسمعى . هيا ، اسمعيني ...

صوفيا : (ماضية فيما كانت عليه) قمت بسفر طويل . يسمع الآخرون
أنى كنت بالمانيا ، فيقولون ما أجمل الحياة هناك ، أما
أنا فقد ذقت فيها الأهوال . . .

ميمى : هل ستركيبنى أكمل كلامى ؟ كانت زوجتى تعزف على
البيان . كانت تحبه كثيرا . كانت مفتونة به . تجلس
وتتدرب عليه ساعات طوال .

صوفيا : فلتفعل ما تشاء ، ما الذى يعينى ؟
ميمى : وطوال إقامتنا فى دار أبيها الذى كانت به غرف عديدة
كان الوضع محتملا . كان بيتنا جميلا . من طابق
واحد . لا يشاركنا فيه أحد . كان أبوها غنيا .

صوفيا : آه ، قل لى هذا ، كانت زوجتك غنية ! من أجل
ثروتها تزوجتها .

ميمى : لكننا تشاجرنا مع أبويها العجوزين ، واستأجرنا شقة
صغيرة فى إحدى العمارات ، لأنه كان علينا أن
نقتصد . لكن ذلك لم يكن سهلا .

صوفيا : آها ، طوال الوقت الذى كتما تحلبان فيه حماك العجوز
كانت تسير الأمور على ما يرام .

ميمى : لا تقاطعيني . ما كنت أقصد ذلك . السكان ، السكان
الآخرون من حولنا اشتركوا فى النهاية . ترين أن
زوجتى أصبحت مضطرة بعد ترك بيت أبيها أن تقوم
بكل الأعمال المنزلية وحدها . كان عليها أن تذهب إلى
السوق ، وأن تطبخ . ولم يعد يبق لها وقت بالنهار
لأنها أيضا بطيئة فى أداء الأعمال . ولهذا فقد كانت

تعزف بالليل . كانت تبدأ لنقل فى العاشرة وتنتهى فى الواحدة ، أو فى الثانية . . لكن الناس كانت تريد أن تنام ، وحتى لا يطرّدوننا ، ولم يكن الانتقال إلى بيت آخر بالأمر السهل ومعنا البيان ، قررت أن تعزف بالنهار، وتقوم بسائر الأعمال ليلا .

صوفيا : بكل تأكيد ، كانت زوجتك قد فقدت الصواب !

ميمى : أليس كذلك ؟ ضعى نفسك فى مكانى من فضلك .

طوال النهار البيان يصدع رأسى ، قلت لك إن الشقة كانت صغيرة ، تقريبا بحجم هذه الغرفة ، ثم بعد ذلك فى الليل ، أوه يا إلهى ! جعل الليل كى يلقى المرء بنفسه على سريره وينام ، وهذه أحلى لحظات العمر ، ولكن كيف يغمض لى عين ، وأنا أحس بها تهيم مثل شبح من المطبخ إلى غرفة المائدة . ترفع وتضع صحونا وحللا تفتح وتقفل صنادير الماء . ورائحة الطبخ المحروق تخرق خياشيمى ؟

صوفيا : (تجلس مجهدة وتتنهد) هى تريد أن توهمنى بأنك رحلت عن

البيت لأن زوجتك كانت تعزف على البيان !

ميمى : كلا ، بلاشك ، كلا ، ليس بسبب ذلك . كانت امرأة

مثل عديدات غيرها . سوف كان بإمكانى أن أحتملها ، كما احتملت أمورا أخرى .

صوفيا : إذن ، لماذا ؟ لماذا ؟

(برهة صمت . يتعد ميمى ويتناول قلدحه من جديد) .

ميمى : (بلهجة مادنة) لأنه جاء . جاء ذلك الشاب . كان يجيء ويجيء . كان يعرف أين أقيم ، يعرف أين كان بإمكانه أن يجدنى .

صوفيا : أى شاب هذا ؟ عن تتكلم ، مرة أخرى ؟

ميمى : كان الوقت ليلاً ، حوالى الثامنة - كنت قد عدت من عملى توا . جلست بجوار النافذة . أتابع الأولاد الذين يلعبون فى الميدان . لم أكن أفكر فى شىء . كنت أدخن . كنت أحس بالتعب ، بتعب شديد . كانت ساقاى تؤلمانى عند المفاصل - وهى تؤلمنى دائماً كلما تغيرت الفصول . هنا ، تحت ، وعند الركبة . فى لحظة دخلت زوجتى وأضاءت النور . كانت تحمل كومة من الثياب ، شرعت تطويها كى تكويها . وعندئذ ، دق الجرس . فجأة . نهضت . وذهبت أفتح . كان هو .

صوفيا : من ؟

ميمى : أقول لك هو . الشاب ! وقف عند الباب ، وقال لى : «إنى قادم من عند أخيك فى المصحة» قلت له «ليس لى أخ فى المصحة . ليس لى أخوة على الإطلاق» قال لى «لكن كلا . ليست هذه هى الإجابة . كلمة السر ، تذكرها ، كلمة السر .»

صوفيا : أى كلمة سر ؟ أى إجابة ؟

ميمى : كانت الإجابة «مقهى القمر الجميل يسهر حتى الصباح» .

صوفيا : لا أفهم شيئا .

ميمي : «لا أفهم شيئا» هذا ما قلته آنذاك . وأردفت أقول «لا بد

أنك تبحث عن شخص آخر» قال لي «ليس لدى وقت

أضيعه . ميلتوس موجود هنا . ميلتوس . وهو يريدكم

أنتم القدامى» أتسمعين؟ «أنتم القدامى» أجبته «اسمى

ديمثريوس كيسوبولوس . وهذه زوجتى . أعمل فى

دكان لبيع التحف القديمة ، وأتقاضى عمولة . لا أعرف

ماذا تقصد» فقال لي وقد بدا عليه الاضطراب «حسناً

جداً . سوف أعود . أفهم . لا تستطيع الآن ، ولكن

تذكر أننى بعد قليل سأعود» .

صوفيا : (تنهض تمسك رأسها يديها) أريد أن أضع لقمة فى فمى . إنى

جائعة . وبدأ يحل بى الناس .

ميمي : (بمضى ويقف خلفها) وعاد مرة أخرى . جاء إلى فى الدكان

هذه المرة وبصحبه ماريا . كان شعرها قد أبيض كله

تقريبا . وكان الشاب يتحدث من جديد عن ميلتوس .

كان يقول «غاب ميلتوس عشرين عاما . اختفى عشرين

عاما . خسر عشرين عاما ، ولكن الآن يجب أن يفعل

شيئا» وكانت ماريا تثبت أنظارها فى عيني . «وقلت

«وماذا تعتقد أننى كسبت ؟ لم أضح سوى مستخدم فقير»

وقالت ماريا «إننا لا نطالب بأعباء» فقلت «أما أنا

فأطالبكم . زوجتى تعذبنى . مرة كل أسبوع أصطحبها

إلى السينما ، وفى أمسيات الأحاد نتناول العشاء فى

حانة قريبة . إنها تعاني من معدتها ، وتوقظني بالليل
لأحضر لها أقراصا من الصيدلية . أهذه حياة؟ أهى
حياة هذه ؟ إنى أسألكم ؟ كلا ، إنها ليست حياة .
إذن ، اتركونى هادئا .

صوفيا : إنى جائعة . معدتى تشدنى .

ميمى : «سمر غدا» كانت هذه هى الإجابة (بصوت مختق) فقلت من
داخلى سأرحل . سأرحل من البيت ومن الدكان ، ولن
تجدوننى فى أى مكان .

صوفيا : أحضر لى شيئا إذن . أو قل لى أين الطعام كى أعده
بنفسى .

ميمى : (بفراوة) كفى !

صوفيا : قليل من اللبن ، على الأقل ، قليل من اللبن الدافئ
وكسرة خبز .

ميمى : كفى ، قلت لك !

صوفيا : أبقىتنى هنا عنوة ، وتتركنى الآن جائعة . أحضر لى
شيئا أكله .

ميمى : (يمضى منكبا عليها) ماذا قلت ؟

صوفيا : أحضر لى شيئا أكله . (يتراجع) .

ميمى : أعيدى قول ذلك !

صوفيا : (جزعة) لماذا تنظر إلى هكذا ؟ لما أقل شيئا سيئا .

(يتراجع) ماذا ستفعل بى هيه ؟ سأصرخ .

ميمى : إنى أنظر إليك .

صوفيا : سأصرخ .
ميمي : إننى أنظر إليك .
صوفيا : لماذا تنظر إلى ؟
ميمي : أريد أن أرى كيف يكون الحال عندما يوجد بجانبك
إنسان من جديد ، يشاركك غرفتك ، ويرهقك بشرثاته
الحمقاء . يحس بالبرد ، يتدفأ ، يريد أن يفتح النافذة ،
يريد أن يذهب فى جولة ، يشعر بالجوع (بشرع فى التقدم
نحوها) .

صوفيا : (تراجع) مجنون أنت ، أم سكران ؟
ميمي : فهمت الآن لماذا أحضرتك ؟ كى أراك ترحلين . قضينا
ساعة معا . سنقضى ساعات أخرى حتى منتصف
الليل . ثم ستنامين حتى الصباح . ستنجولين قليلا
بالثوب المتزلى . ستدخلين الحمام . ستحدثين جلبة .
ستسألين عشرات المرات ألا زالت السماء ألا زالت
تمطر ، أم توقف المطر ؟ ستسألين لماذا طلقت زوجتك ،
لماذا تخليت عن دراسة الهندسة الكهربائية . .

صوفيا : لا تقترب منى !
ميمي : ماذا سناكل اليوم ، ما هو المرتب الذى تتقاضاه ، كم
تدفع من إيجار ، ماذا فعلت أثناء الاحتلال ، ما الذى
فعلت طوال هذه السنين . ستسألين ، عن كل شىء
ستسألين . ولكن فى النهاية ستأخذين حقيبتك وترحلين
سأغلق الباب خلفك ، وستصبح هذه الغرفة ملكى من

جديد ، لن يحضر أحد هنا . لن يعثر على أحد . لن
يعثروا على أبدا . أبدا .

صوفيا : لا تقترب مني ، أنت مجنون !
ميمي : عشرون عاما ، شيء كثير . لن نبدأ منذ البداية من
جديد .

صوفيا : لا تنهز قتل مني . أنا قاصر .

ميمي : أنت تعرفين الآن كل شيء .

صوفيا : سأصرخ .

ميمي : لا تصرخي . لن أفعل بك شيئا .

صوفيا : النجدة !

ميمي : (يرجها بعنف) لن أمسك بشيء .

صوفيا : النجدة . . (يدق الجرس . يقي الاثنان متسمرين) الجرس .

ميمي : هل يعرف أحد أنك جئت هنا الليلة ؟

صوفيا : كلا .

(يدق الجرس من جديد بإصرار . برهة صمت . يتبادلان النظرات . ثم يمضي
إلى الباب باضطراب داخلي شديد . ولكن بثبات . تدخل العجوز وهي على
الدوام حلوة هادئة وناعمة . كل ما في الأمر أنها الآن لا تبسم) .

العجوز : هل جرى شيء ؟ معذرة إذاضايقكما في مثل هذا

الوقت . لكنني أرجوكم لا تحدثا جلبة (ينظر إليها ميمي

وصوفيا محبطين من جراء المشهد السابق) . إني وحيدة ، وأجزع .

إني وحيدة . نامت ابنتي مبكرة الليلة . أغلقت على

نفسها باب غرفتها ونامت . أنها كما تعرفان تعسة جدا ،

لا يحضر أحد لرؤيتها أبدا . ما من أحد يطلب منها أن تخرج معه . من الأفضل لها أن تنام . وإلا فإنها تجلس في ركن من الأركان وتبكي . تبكي بلا انقطاع . . ولهذا أرجوكم - لا تحدثان جلبة ستوقظانها - هس . . هدوء . (نحني رأسها إلى أسفل قليلا) طاب مساؤكم . (تخرج) .

صوفيا : (تنظي وجهها فجأة ، لكن دون بكاء) لا أطيع ، لا أطيع هذه المرأة تجوس هنا .

(بتدبير ميمي وينظر إليها ، كما لو كان يراها لأول مرة حقا) .

ميمي : سأذهب لأعد لك شيئا تأكلينه .

صوفيا : (تخفض يديها من على وجهها . تحاول أن تسترد هدوها) ماعدت أشعر بالجوع .

(تنهض . تخطو بضع خطوات بلا هدف . يتابعها ميمي بنظراته) .

ميمي : سترحلين أم ستبقين ؟

صوفيا : لا أستطيع الرحيل . كذبت عليك عندما قلت أن معي نقودا . أنى لا أحمل سوى تذكرتى إلى أثينا . (صمت)

ميمي : هل أنت متأكدة أنك لا تريدين طعاماً ؟

صوفيا : بى رغبة شديدة إلى النوم . إنى متعبة من السفر .

ميمي : حسنا ، إذن ، ها هو سريرك . سأعد لنفسي فراشا فى المطبخ .

صوفيا : لعلك . . تفضل أن تنام هنا . سأذهب أنا إلى هناك .

مسمى : كلا . . . طابت ليلتك .

(يخرج . تبقى صوفيا وحدها . تأخذ بحركات بطيئة في إعداد الأريكة . وفجأة
تخرج على الأرض وتشرع في البكاء بحرقة) .

ستار

لولا أنا غنوستاكي

المدينة

قدمت «المدينة» مع مسرحيتي «لقاء في الليل» و «الاستعراض» أول مرة على «مسرح الفن» بأثينا في مايو ١٩٦٥ من إخراج كارولوس كون ، وديكور ماريا روسو : اشترك بالتمثيل : مايا لامبيروبولو ويورغو لازانيس ونيكاتار فوتيريس .

وفي يناير ١٩٦٦ قدمها التلفزيون القبرصي من إخراج : جافرياليديس .
وفي أبريل ١٩٦٧ قدمتها فرقة «داي أوبردي» الإيطالية في بادوا من ترجمة : فيليبيو ماريا بونتاني وإخراج : ن. تسينجاكو .
وفي يوليو ١٩٦٩ قدمتها هيئة الإذاعة البريطانية من ترجمة جورج إنجيل ، ومارتن إسلي .

الشخصيات

كيمون .
اليسافيت .
المصور .

(غرفة . الوقت مساء والظلمة تزحف سريعاً . فى هذه اللحظة يضىء الغرفة نور قليل واند من النافذة . يجلس كيمون مائتاً فى العتمة غارقاً فى مقعد عميق . وهو رجل فى الثلاثين من عمره ، طويل ، نحيف ، وسيم . برهة صمت . تعود اليسانيت من الخارج . تدبر المفتاح فى الباب وتفتحه . تخطو داخله دون أن تتبته إلى وجود كيمون . تضىء مصباحاً ذا حامل مسند إلى الأرض - ونجاة)

- كيمون : اليسانيت !
اليسانيت : (جزعة) آه ! (تضىء المصباح الثانى) أنت تجلس هنا ؟
كيمون : أجل . وأين أجلس غير هنا ؟
اليسانيت : تصورت أنك ستكون فى غرفة النوم .
كيمون : لم أدخل غرفة النوم قط .
اليسانيت : كنت تجلس هنا طول الوقت ؟
كيمون : أجل .
اليسانيت : لماذا لم تكلمنى ما إن دخلت ؟ أخفتنى ..
كيمون : معذرة . لم أكن أقصد .
اليسانيت : هذا الشغف بأن تعلن عن وجودك فجأة ، شىء لا يطاق .
كيمون : قلت لك ، لم أكن أقصد .
اليسانيت : شىء لا يطاق . لا أحتمله . أمس ، دخلت المطبخ ووقفت خلفى دون أن أتبه إليك . كاد يغمى على عندما استدبرت فرأيتك فجأة أمامى .
كيمون : أعتقد أنك سمعتنى . ما الذى يجعلنى أدخل إلى المطبخ خلصة ؟

- اليسافيت : وما أدرانى ؟
- كيمون : ليس ثمة ما يحملنى على أن أتسلل إلى المطبخ .
- اليسافيت : حذاؤك لا يأتى صوتا .
- كيمون : ألصقت به نعلا من المطاط . قلت لى إن الضوضاء يزعجك .
- اليسافيت : الضوضاء .. الضوضاء .. أى ضوضاء يمكن أن يصدر عن رجل يمشى ؟ كنت أتكلم عن الضوضاء الشديدة .. عن الضوضاء التى تصدر عن طائرة .
- كيمون : من هنا لا تمر طائرات .
- اليسافيت : عن السيارات ، الموتوسيكلات ، الراديوهات .
- كيمون : أنت التى اخترت هذه الشقة وسط البلد . لاحق لك فى الشكوى ، إذن .
- اليسافيت : لا أشكو . أريد أن أشعر بالناس من حولى . على الأقل من حولى . (تأنى إلى الشباك وتجدب النار) يروق لى المقام هنا . هذا الميدان الذى تتوسطه النافورة ، دار السينما ، المحلات ذات الواجهات المضيئة - الكنيسة . وددت أن أقيم هنا إلى الأبد . فى هذا البيت ، فى هذه المدينة . مللت السفر المتواصل . مللت السكك الحديدية ، والفنادق ، والحقائب .
- كيمون : الأفضل ألا نعود إلى هذا الموضوع . أرجوك .
- اليسافيت : أجل ، الأفضل ألا نعود إليه . (برمة صمت) ماذا كنت تفعل طوال بعد الظهر ؟

- كيمون : تصفحت كتباً ، ومجلات ..
- اليسافيت : تعرف جيداً أنك لا يجب أن تقرأ . عينك في حالة سيئة .
- كيمون : عيناى ليس بهما سوء على الإطلاق . إنهما على خير ما يرام .
- اليسافيت : لو مضيت هكذا ستصاب بالعمى .
- كيمون : أعجب كيف دخلت عقلك هذه الفكرة .
- اليسافيت : الشمس تضايقك . نسمات الهواء تضايقك . يجدر أن نستدعى طبيباً . غداً ، سأحضر طبيباً يفحصك .
- كيمون : إذا فعلت ذلك ، سأغادر البيت .
- اليسافيت : من فضلك ، لماذا لا تريد أن تسمع كلامى ؟ على الأقل ، إرضاء لى ، توقف عن القراءة قليلاً . لماذا لا تخرج فى نزهة ؟
- كيمون : الجو لا يطاق . الريح تعصف والمطر ينهمر .
- اليسافيت : كل يوم ، تتعلل بالأعذار ذاتها كى تبقى فى البيت .
- كيمون : كل يوم ، الريح تعصف ، والمطر ينهمر . هل هذا كذب ؟
- اليسافيت : مضى اليوم شهر على مجيئنا إلى هذه المدينة . وما من مرة دفعك الفضول أن تخرج قليلاً وتتزه . فى النهاية ، إنها مدينتى ! هنا كبرت . لو كنت تهتم بى أدنى اهتمام لحاولت أن تتعرف عليها .

كيمون : ولماذا أتعرف عليها ؟ المدن كلها متشابهة . وهذه المدينة أسوأ المدن جميعا . لا تحتجى . قلت لى ذلك بنفسك . قلت لى أن السماء تمطر أغلب الأوقات وتمتلىء الشوارع بالطين . ثم تطلع الشمس ، وتهب الريح فتذرو التراب الذى يعمى العيون ، ويصيبك بالسعال ، تلصق بك ذراته . تحسين بالزوجة على يديك ، وعلى شفتيك . تمضغين ترابا ، أليس هذا ما قلته ؟

اليسافيت : ليس هذا كل ما قلته .

كيمون : هذا ما أذكره أنا . فلنغير موضوع النقاش ، الآن قولى لى ماذا فعلت أنت طوال النهار ؟

اليسافيت : ماذا كنت تريدنى أن أفعل . خرجت - وتمشيت . . .

كيمون : تحت المطر ؟

اليسافيت : توقف المطر منذ وقت طويل .

كيمون : يجدر أن تتقى الرطوبة .

اليسافيت : (تتأبها قشعريرة) ألبس ملابس ثقيلة . دافئة . ثم أننى أحب التجول ، أيا كان الجو . ألم تلاحظ ذلك ؟

كيمون : أجل ، لاحظت ذلك الآن وأنت تشيرين إليه . (برهة صمت قصيرة)

اليسافيت : (بهدهوء) أتساءل إن كنت قد اهتممت بأمر من أمورى قط .

إنك لا تعيرينى أى التفات . إذا حدث ذات يوم ولم أعد إلى البيت فلن يشغلك ذلك أبدا . ومع ذلك أعود دائما فى الثامنة . كم أبلغ من العمر ؟ إنك لا تعرف حتى سننى . لم تسألنى عنه قط .

كيمون : وددت أن تحكى لى كيف أمضيت وقتك .
اليسافيت : قلت لك . تجولت . صعدت حتى ميدان المحافظة .
هل سمعت عنه ؟

كيمون : كلا . لم يسبق لك أن كلمتني عن هذا الميدان .
اليسافيت : يسمونه باسمه هذا لأن مقر المحافظة كان هناك ، أما
الآن فتوجد به دار البلدية . مبنى ضيق طويل رمادى
اللون ذو نوافذ خضراء صغيرة مصفوفة . وأمامه ساحة ،
يذهب الأولاد إليها ويلعبون . سنوات وسنوات يلعب
الأولاد هناك . يقولون «هيا نذهب ونلعب عند
المحافظة» إلا أنني عندما وصلت كانت ظلمة المساء قد
زحفت على المكان .

كيمون : ومع ذلك فقد بدأ النهار يطول .
اليسافيت : لا يعجبني أن أحوم وحيدة حول أماكن يلعب فيها أولاد
عندما يبدأ الليل يرخى سدوله . هل تستطيع أن تفهم
ذلك ؟ صيحاتهم فى الظلام تسحق قلبى . أسترجع أيام
طفولتى . لا أريد أن أستعيد ذكريات .

كيمون : ولا أنا . كنت تتحدثين عن الميدان . . .
اليسافيت : أجل ، الميدان . إلى اليمين يوجد طريق صاعد . لم
أطرقه منذ سنوات عديدة . لم يتغير كثيرا . عند
الناصية دكان حلاق . . «البعث» هذا اسمه . إلى
جواره ، ما أن تستدير ، عمارة ذات لون وردى .

كيمون : قلت لونا ورديا ؟ لا أعتقد أن ثمة بيوتا بهذا اللون ،
هنا .

اليسافيت : وكيف لك أن تعرف ؟ أنك لم تخرج قط . تجلس طوال النهار بين الحيطان مغلقا عليك .

كيمون : (يشير من النافذة) وهذا المكان هناك ؟

اليسافيت : إنه الميدان الرئيسي . هذا كل ما فى الأمر .

كيمون : كى نأتى من الميناء إلى هنا اخترقنا المدينة كلها تقريبا .

والعمائر التى لقيناها كانت رصاصية اللون أو سوداء .

اليسافيت : بدت كذلك بسبب الضباب . هناك عمائر ملونة ،

صفراء وورقراء وبيضاء ووردية . (برهة صمت . تستدير

إلى كيمون) أتعرف ، فى تلك العمارة الوردية أقام رجل

كان يحبني آنذاك . . (برهة صمت) كنت أذهب إليه بعد

ظهر كل يوم وألتقى به . كنت أقف مليا أمام دكان

الحلاق ، وأنتظر أمه تنصرف . كانت أمه تخرج بعد

الظهر فى ذات الساعة كل يوم . كنت أراها تنصرف .

كانت تلبس على الدوام معطفا أسود وقبعة خضراء .

هل تسمعنى ؟

كيمون : أسمعك .

اليسافيت : كنت أصعد الدرجات وأجتهد ألا أحدث جلبة حتى

لا يسمعن سائر السكان . لكن كان هناك من يظن

إلى على الدوام . رجل أرمنى يفتح بابه قليلا وينظراته

يتابعنى . كان صديقى يدخلنى شقته بسرعة . يقدم لى

ملعقة من مربى السفرجل تصنعها جدته . كانت تضع

فيها قرنقلا ولوزا مما يجعل طعمها لذيذاً . (برهة صمت)

كنا نجلس على أريكة عريضة مغطاة بإزار ذهبي ذي
حواشي بنية اللون . كان يريد أن يأخذني بين ذراعيه ،
لكنني لم أكن أتركه يفعل ذلك . كنت ألهو بحواشي
الأريكة وأعقدتها ضفائر . كان يلومني قائلاً «أنت
لا تحبيني» ، «أنا أنتظرك . أحصى الساعات ،
والدقائق . . . هل تسمعني؟

كيمون : أجل .

اليسافيت : يخيل إلى أنك ولاحتي تكثرث بأن تسمعني (برمة صمت)
عندما كانت الدنيا تظلم تماماً كنا نصعد إلى السطح .
كان يشير إلى بعيد ويريني الأحياء القديمة والقلاع التي
تمحوطها . . هل رأيت هذه الحصون ؟

كيمون : إنها لا تبين من النافذة .

اليسافيت : كلا ، إنها لا تبين من النافذة ، بل من مكان عال ،
عال جداً ، تبين فحسب ، تلك القلاع كانت فيما مضى
حصون المدينة ، وأصبحت الآن سجوناً .

كيمون : سجون ؟

اليسافيت : أجل ، سجون رطبة مظلمة .

كيمون : ماذا كنتما تفعلان على السطح ؟

اليسافيت : كنا ننظر إلى ما حولنا . يشير بأصبعه إلى نقطة ما ،
ويقول لي «هناك» «هناك» ، بعيداً ، عند طلوع الفجر ،
يعدمون المحكوم عليهم بالموت رمياً بالرصاص» لم أكن
أفهم لماذا يصر على أن يقول لي ذلك كل ليلة ، مصوباً

أصبغه نحو الشمال . بعد ذلك تفرقت بيننا السبل وراح
كل منا لحال سبيله . ثم إذا بى اقرأ ذات اسمه فى
الجريدة . كان بدوره ضمن المحكوم عليهم بالموت ،
وأعدم هو أيضا ذات يوم فى الفجر . أليس ذلك غريبا ؟

كيمون : ما هذا الذى تعتبره غريبا ؟

اليسافيت : إنك لا تتابعنى . طوال هذا الوقت أتحدث إليك ،
وأنت لا تتابعنى . ما من أحد أكثر بى أكثرنا حقيقيا .

كيمون : اسمعى . . ما الذى تبغينه من تجوالك كل يوم فى
الشوارع ؟ هذه التزهات تحطم أعصابك .

اليسافيت : ما من أحد أكثر بى أكثرنا حقيقيا . هل تريد أن أخبرك
بما حدث لى عندما كنت صغيرة ؟ فى الثامنة من عمري ؟

كيمون : من فضلك اهدئى . لست بحاجة أن تخبرينى بشيء .
هذا فضلا عن أن وقت تناولنا الطعام قد أرف .

اليسافيت : (ماضية) عند عودتى من المدرسة كنت أجد غرفتى
مرتبكة . سريرى غير مرتب كما تركته فى الصباح وأنا
خارجة . ما من أحد ، ما من أحد على الإطلاق ،
كان يعنى بترتيبه لى . كنت أخشى الرقاد والنوم بين
الأغطية الجعدة . لأننى عثرت ذات مرة فى ثناياها على
صرصارين ميتين دسهما أخى لأخافتى .

كيمون : وددت أن أكل شيئا .

اليسافيت : (يتزايد توترها) وعندما كنت فى العاشرة ، كان الجميع يخرجون
بالليل ، ويتركوننى وحيدة . وفى البيت المقابل كان يسكن

بعض النسوة العجائز . لم أكن أعرف كيف أمضى وقتي ،
فمضيت أرقيهن . أراقب العجائز . كانت هذه تسليتي .

كيمون : ماذا تحملين في اللقافات ؟

اليسافيت : كانت إحداهن ذات بشرة صفراء وشعر أبيض طويل .
مثل ساحرة تماماً . لم تكن تبتعد عن الشباك لحظة
واحدة ، حتى نخيل لى أنها مرسومة على الزجاج . ثم
كانت تجيء عجوز أخرى وتوقد القنديل .

كيمون : كفى ...

اليسافيت : وكان عندهم دولاب ذو مرآة . وكان هذا القنديل يلقي
ظلالاً في المرأة، وظلالاً في كل مكان، ظلالاً ضخمة،
وكنت أشعر بالخوف ...

كيمون : كفى ، كفى ، إذن ! (برمة صمت) .

اليسافيت : كنت تقول إنك جوعان ...

كيمون : الساعة الثامنة والنصف .

اليسافيت : في هذه اللقافة دجاجة باردة .

كيمون : هم م م م ...

اليسافيت : وجمبري بالمايونيز وسلطة سبرجس .

كيمون : سبرجس ؟

اليسافيت : وفي اللقافة الأخرى زجاجة شمبانيا .

كيمون : قلت شمبانيا ؟ وسبرجس ؟ ولماذا كل هذه الحفاوة ؟ ...

اليسافيت : (بخطونها ويواجهها) تخفين عني شيئاً !

اليسافيت : سأذهب لأضع الزهور في الماء .

- كيمون : كيف ؟ اشتريت زهورا ؟
- اليسافيت : هل تروق لك ؟
- كيمون : رائحتها طيبة .
- اليسافيت : ورد . أهدها لى المصور .
- كيمون : المصور ؟
- اليسافيت : بالطبع ، أنت تعرفه ، إنه ذلك الذى يمتلك دكان التصوير تحت ، عند مدخل العمارة . أنه يسألنى دائما عنك . ويقلبه أنه لا يراك أبدا . إنه على غاية من الأدب ، ويقولون إنه يلتقط صورا ممتازة .
- كيمون : بهذه السرعة أمكنك أن
- اليسافيت : يقولون إنه يستخدم خدعا مبتكرة فيحصل على نتائج باهرة .
- كيمون : حماسك المفاجيء هذا . . .
- اليسافيت : إذا أردت فلتنزل ذات يوم إليه يلتقط لنا صورة .
- كيمون : اليسافيت ، ثمة أمر تخفيه عنى . . (برهة صمت)
- اليسافيت : (بهده) دعوته الليلة لتناول العشاء معنا .
- كيمون : آه ، كلا ، كلا ، كلا ! أبدا هذا . (نم صوته من الياص والاسى) .
- اليسافيت : (بذات هدونها) سيحضر بين لحظة وأخرى .
- كيمون : لن نعيد الكرة . لا أحتمل أكثر من ذلك . الصيدلى ليلة أمس .
- اليسافيت : وما ضيرك من ذلك ؟ ماذا فعل بك الصيدلى .

- كيمون : مضيت ، تقولين إنه يذكر بك بصديقك ، تعرفين من أقصد ، قاطن العمارة الوردية .
- اليسافيت : أجل .. شىء ما فى صوته .. وفى نظراته ...
- كيمون : ليلة أول أمس صاحب المكتبة .. ساجن !
- اليسافيت : آه ، أجل ، اندونى . مكتبته أكبر مكتبة هنا .
- كيمون : اندونى ؟ قال لنا أن اسمه يورغو ..
- اليسافيت : كلا ، كلا ، كان اسمه اندونى . اذكر جيدا . كنا لا نفترق نحن الثلاثة آنذاك . أنا وصديقى واندونى . تذكرته ما أن رأيته . سوف كنت ترى أنه سيتذكرنى بدوره ، لكنك لم تترك له الفرصة . تصرفت ببشاعة تلك الليلة .
- كيمون : (بعد برهة صمت) اليسافيت . تأكدى أن .. أن .. ما اسمه ؟ اندونى هذا
- اليسافيت : (شاردة) أجل . أجل . اندونى . كان هذا اسمه . على الأقل كنا نعرفه بهذا الاسم آنذاك .
- كيمون : أمس ، كانت أول مرة ترينه فيها ..
- اليسافيت : اسمع . سيأتى المصور بين لحظة وأخرى .
- كيمون : أقول لك ماعدت أحتمل .
- اليسافيت : هذه المرة لن تكون مثل السابقة .
- كيمون : لا أصدقك !
- اليسافيت : سأفعل كل ما باستطاعتى من أجل ..
- كيمون : تماما ، ستفعلين ما باستطاعتك ..

- اليسافيت : أتبه عليك . . أريدك أن تتصرف معه بلباقة .
- كيمون : مستحيل !
- اليسافيت : (دائمة العينين) أستحلفك ، للمرة الأخيرة .
- كيمون : أصبح هذا الأمر عذابا ! صارت حياتي عذابا !
- اليسافيت : للمرة الأخيرة . .
- كيمون : حسنا ، افتحى الباب .
- اليسافيت : لكتنى لم أسمع جرسا .
- كيمون : قلت لك افتحى . إنه بالخارج . متى قلت له أن يأتى؟
- اليسافيت : حوالى الثامنة والنصف .
- كيمون : إنه بالخارج . يقف منتظرا أن تأتى الساعة الثامنة والنصف كى يدق الجرس . أعرف جيدا هذا الصنف من الناس .
- اليسافيت : تسيء الكلام عن رجل لم تعرفه بعد .
- كيمون : أعرفه جيدا . انقيم معا فى ذات البيت أم لا نقيم ؟
- اليسافيت : لا يفيد ذلك شيئا . إنك لم تره قط . هذا فضلا عن أننا لا نقيم فى ذات البيت . كل ما هناك أن دكانه عند مدخل العمارة .
- كيمون : أقول لك ، أعرفه جيدا . أنه يقف الآن هناك وراء الباب يتسمع كل ما نقوله عنه .
- اليسافيت : أوه ، يا إلهى ! بدات تنفعل من جديد دون سبب .
- كيمون : الأجدد به أن يمضى منصرفا ، لكنه لن ينصرف . سينتظر حتى تأتى الساعة المحددة للزيارة . إنه عديم الحياء .

- اليسافيت : كل مرة يجرىء رجل هنا يتبدل حالك وتثور .
- كيمون : سئمت تكرار الأمر ذاته كل مرة .
- اليسافيت : ربما كان الذنب ذنب ذلك الداء اللعين الذى أصاب عينيك .
- كيمون : عيناى سليمتان لا عيب فيهما . إننى أرى حتى فى الظلام أيضاً .
- اليسافيت : (ملاطفة) أجل ، هذا هو الأمر ، أفهم جيداً الرعب الذى يتتابك .
- كيمون : أى رعب هذا ؟ عن أى شىء تتحدثين ؟
- اليسافيت : حبيى ، تخاف أن ..
- كيمون : أخاف أن ..
- اليسافيت : لا أجسر على القول . أنه لأمر فظيع ..
- كيمون : قولى إذن ! قولى !
- اليسافيت : تخاف إنك ذات يوم ستريد أن تضىء النور ..
- كيمون : حسناً ؟
- اليسافيت : بينما سيكون النور مضاء . (صمت) .
- كيمون : اليسافيت ؟
- اليسافيت : أجل ، يا حبيى ؟
- كيمون : لماذا تصرين على هذه المهزلة ؟
- اليسافيت : حبيى ، أية مهزلة ؟
- كيمون : عيناى (يدق الجرس) ليس بهما شىء على الإطلاق .
- اليسافيت : الجرس ، يا حبيى .

كيمون : لم أشعر يوما أنني أحسن حالا مما أنا عليه الآن .
اليسافيت : الأفضل أن تفتح له أنت . سيكون ذلك أكثر تشجيعا له .

كيمون : أتبه عليك مشددا أن تتركيني وشأني .
اليسافيت : (لامثة) أرجوك ، أرجوك افتح له . ها هو يدق الباب من جديد . ها هو (يدق الجرس) كف عن تعذيبى . .
(بتبادلان النظرات . ثم تخفض اليسافيت صوتها وتقول هامسة) إني ذاهبة لأسقى الزهر . (يقى كيمون وحيدا . يقف مترددا بضيق ثوان . ثم يذهب ويفتح الباب . يدخل المصور) .

المصور : مساء الخير . عسى ألا أكون قد أخطأت الشقة ؟

كيمون : سيادتك المصور .

المصور : أجل .

كيمون : صاحب محل التصوير عند مدخل العمارة ؟

المصور : أجل ، عند مدخل العمارة .

كيمون : إذن ، تفضل . كنا فى انتظارك .

المصور : أرجو ، ألا أسبب لكما مضايقة .

كيمون : كلا ، على الإطلاق . عندنا ضيوف على الدوام .

اليسافيت وأنا نحب أن نستقبل الناس فى بيتنا .

اليسافيت ! متحضر بعد لحظة . أعتقد أنها ذهبت تغير

ملابسها . (يخفض صوته فجأة وقد دبت فيه المعاناة) هل أنت

مصور حقا ؟ .

المصور : بالطبع !

- كيمون : أليست طيبيا ؟
- المصور : طيب ؟ كيف خطرت ببالك هذه الفكرة ؟
- كيمون : هكذا . الأطباء يروقون لى . هم قوم ظرفاء بسخنهم الجادة ، وستراتهم البيضاء الطويلة . كنت أحسدكم دائما . إذن ، لست ، فلنقل ، طيبيا باطنيا .
- المصور : كلا ، بالطبع .
- كيمون : طيبيا نفسيا ؟
- المصور : لكنتى أؤكد لك ...
- كيمون : طيب عيون ؟ قل لى ، أرجوك . طيب عيون ؟
- المصور : لكن لماذا تصر على ذلك ؟
- كيمون : غير ذى جدوى أن تخفى على . سأكتشف الأمر سريعا .
- المصور : بصراحة ، لا أفهم لماذا ...
- كيمون : حسنا . أصدقك . (يشتم عليه) هل يمكنك أن تخفى سرا ؟
- المصور : بالطبع ...
- كيمون : (منخفضا صوته) اليسافيت (تلفت حوله) الأمر يتعلق باليسافيت ..
- المصور : حسنا ؟ (تدخل اليسافيت) .
- كيمون : (بذات الصوت الخفيض) فيما بعد ، سأقول لك ..
- اليسافيت : أخيرا ! خشيت ألا تأتى .
- المصور : لكنتى لم أتجاوز الثامنة والنصف .

- اليسافيت : أجل ، لكننى خشيت .
- المصور : كيف كان ممكنا ألا أجيء ؟ اغتبطت جدا بالدعوة التى وجهتها إلى .
- كيمون : كانت اليسافيت تنتظرك بصبر نافذ .
- المصور : (خجلا - إلى اليسافيت) ما كنت أجرؤ على تصور أن
- كيمون : تشجع ، يا صديقى ، تشجع .
- المصور : إن امرأة مثلك . . .
- كيمون : امرأة جميلة مثلك . . .
- المصور : أجل ، قطعاً ، امرأة جميلة ، سوف . . سوف تنتظرنى نافذة الصبر . . . اننى اخشع وارتعد خوفاً ، على أى حال أن أخيب ظنكما (يلتفت إلى كيمون) أنتما الاثنان .
- لست معتاداً على أداء الزيارات ، لأننى . . كيف أقول ذلك . . لا أدعى كثيراً . يضجر الناس عادة من صحبتى .
- كيمون : غير ممكن هذا . لا بد أنك مخطيء .
- المصور : ليتنى كنت مخطئاً . لكن للأسف ، أصبحت متأكداً من ذلك . الإحساس الوحيد الذى أبعثه فى الآخرين هو عدم الاكتراث والضجر . (بينما يتحدث يلتفت تارة إلى كيمون وتارة إلى اليسافيت . ولكن نظراته خفيفة على الدوام) بعد دقيقتين ، أو خمس دقائق على الأكثر ، لا يكون لدى أحد الرغبة فى التحدث إلى . ينسوننى ، كما لو كنت غير موجود، وإذا جرؤت واقتربت من أحد وحادثته فإن

كلماتى تنردى فى الخواء . ولاشئ ، لاشئ ،
يجعلنى قادرا على أن أسترعى الانتباه من جديد .
وعندئذ فإننى انهض وأنسحب منصرفا بلا عودة ،
بلا عودة لأنهم بطبيعة الحال لا يدعوننى مرة أخرى .
(صمت)

المصور : صدقانى ، أننى فى هذه اللحظة أعانى . يبدو لى من المؤلم
الما غير معقول أن أقدم على مثل هذا النوع من الاعتراف ،
لكن من الأفضل ، على الأخص وأنا معكما ، أن تعرفا
الأمر ابتداء بدلا من أن تكتشفاه وحدكما رويدا رويدا
لحظة فى أثر لحظة . ما كنت أحتمل هذا ، فأنتما على
غاية - كيف أعبر عن ذلك - على غاية من الظرف .
أنتما الاثنان ، وهذه الغرفة (ينظر حوله) هذا الدفء
المستحب ، ما أن دخلت تذكرت : الدفء المستحب و ...
كيمون : (يلس ذراعه) استمر

المصور : وتملكتنى الرغبة فى أن أطلق لساقى العنان . أليس الأمر
مضحكا ؟ ها أنتم ترون . أليس كذلك ؟ بدأت أتكلم
هراء ... ثم ... هناك سبب آخر يجعل الناس
يتحاشوننى ... وعلى الأخص ، فى الآونة الأخيرة
.. إلا أن هذا لا أجرو على أن أقوله لكما ... كما
أنه ليس بالأمر اللائق . أتكلم وأتكلم عن نفسى . منذ
اللحظة التى دخلت فيها وأنا الذى أتكلم وحدى . (يقول
فجأة لآيسايت) هل أنت تطايرين ، تشاءمين؟

اليسافيت : أوه ، كلا . . . لم أعد كذلك . عندما كنت صغيرة كنت أخاف القطط السوداء . كانوا يقولون لى إنك إذا رأيت قطة سوداء تسير أمامك فهذا يعنى موتا ، أما الآن . فماعدت أعتقد فى هذه الأشياء .

المصور : بالطبع ، كلا ، هذه سخافات ، كل هذا الذى يقولونه عن الرقم ١٣ ، وعن يوم الجمعة ، وعن المرور من تحت سلم . . مع ذلك هناك من يؤمن بأتنى . . . بأتنى أجلب نحسا . ينادوننى بالحانوتى ، لأننى أرتدى على الدوام بذلة سوداء . أليس هذا مضحكاً ؟ البعض يتشاءم من اللون الأسود . أما أنا فأحبه . كما أتنى لست رشيى القوام ، ولا أستطيع أن أتصور نفسى فى غير هذا الملبس . لكن ليس هذا بصحيح . إننى لا أجلب نحسا . كيف يمكن أن يحدث ذلك ؟ أنا رجل بسيط . كل هذا أشاعه عنى منافسون لى فى المهنة . كان يجدر أن أوقفهم عند حدهم ، إلا أتنى خائف . تنقصنى الجرأة . هذه الجرأة على وجه التحديد هو ما كان يعورنى دائما فى حياتى . عندما فتحت محل التصوير

كيسمون : حدثنا قليلا عن مهتك .

المصور : كلا . فى الحقيقة ، تجاوزت حدود اللياقة وتماديت . .

أتما طيبان للغاية إذ تنصتان إلى كل هذا الوقت . .

كيسمون : يروق لنا أن نسمعك .

المصور : تريدان حقا أن أحدثكما عن مهتي ؟ إذن ، أصغيا .
عندما فتحت محل التصوير ، كنت أكسب قوت يومى
فحسب . كنت أمارس المهنة مثل كل زملائى . كنت
أصور أطفالا ، عرسانا حديثى الزواج ، جنودا ،
وكنت أستخدم كخلفية لتصاويرى الديكورات المألوفة
الزائفة : حدائق مزدهرة ، ملاهى ، أطلال أثرية ،
حتى واتنى ذات يوم الفرصة ، الفرصة الكبيرة ، دقت
بابى . دخل محلى شخص ما .

كيمون : شخص ما ؟ أى صنف هو ؟
المصور : أوه ، رجل عادى جدا ، فى حوالى الأربعين من
عمره ، بغير ما خصيصه مميزة فى مظهره ، وقال لى :
أريد أن تصورنى صورة غير مألوفة . عرضت عليه بعض
الأفكار ، تداولنا فيها ، لكنه فى النهاية رفضها كلها .

كيمون : حدثنى اليسافيت عن بعض الخدع المبتكرة التى
تستخدمها .
المصور : انتظر . عن هذا الأمر بالضبط سوف أحدثكما . كنت
أقول إذن إن افكارى لم ترق له . ومضى يطالبنى بأفكار
أخرى .

كيمون : أفكار أخرى .
المصور : أجل ، كان يريد صورة تصوره ميتا بميتة بشعة . تداولنا
فى أوضاع مختلفة . فضلنا وضعها يصوره ضحية
فى حادث سيارة . ماذا أقول لكم . بذلت جهدا كبيرا

فى ضبط المونتاج المعتاد وإتقان الرتوش ، لكن فى
النهاية لقيت الصورة نجاحا كبيرا . على الأخص تلك
الدماء التى لطخت الوجه ، وهاتان العينان الزجاجيتان ،
واليد . . أحد اليدين قد تأكلت حتى الرسغ بينما أصابع
الذراع ذاتها قد تشبثت بالتربة . . .

كيمون : ياله من أمر يثير الاهتمام !

المصور : حقا ؟ تحمس الرجل وفى اليوم التالى أرسل إلى أحد
معارفه أراد أن أصوره مشنوقا .

كيمون : مشنوقاً ؟

المصور : أجل ؟ مشنوقا ، وقد تدلى لسانه . ثم أرسل إلى المشنوق
ريونا آخر ، وأرسل إلى هذا الأخير آخر ، وحتى لا
أطيل عليكما ، منذ ذلك الوقت الذى اشتهر عنى فيه
أننى التقط هذا النوع من الصور ، إنهال على الزبائن
فلم يعد لدى وقت حتى لطردهم . اكتظ محلى بعملاء
يريدوننى أن أصورهم مشنوقين ، مخنوقين ، مطعونين ،
محترقين ، مصلوبين ، لا أخفى عليكما أننى أبذل فى
هذا المضمار جهدا كبيرا ، ولا أنكر أننى اخفق فى
إرضاء ربائى أحيانا ، فكثير منهم يبالغون فى طلباتهم .
على سبيل المثال ، أول أمس جاءنى أحد الأمريكين .

كيمون : عندك أمريكين أيضاً ؟

المصور : أجل . جاءنى ذلك الأمريكى من أهوىو . تصادف أن
زار معتقل بوخينفالت فى ألمانيا ، لا بد أنكما سمعتما عنه ،

كما شاهد فيلما تسجيليا عنه . فلم يضع وقتا . طلب
منى أن أصوره وقد مات من الجوع وسوء التغذية ، لكنه
كان صاحب وجه صياني ممتلئ لم يكن بإمكانى أن
أغيره بطبيعة الحال . فكانت النتيجة مدعاة للضحك ،
بينما صورى أنا مأساوية وليس مضحكة .

كيمون : بوخيتفالت ! أضحى الأمر مثيرا للغاية !

المصور : (بصوت مرتجف) هذا هو التعبير الصحيح ! مثير حقا مبلغ
إقبال الناس على أن يصوروا فى مثل هذه الأوضاع .
اعتقد أن عهد الصورة العاطفية قد انقضى إلى غير
رجعة . ودون أن اتباهى أقول إننى من وضع نهاية لها .
أن محلى ، على الأقل الآن هو الوحيد الذى أنتج هذا
النوع من الصور ، لأن لدى سر الصنعة الذى أحرص
بشدة على كتمانها . لاحظا أن ربائى لا يتعبون فى شيء
أبدا . إنهم يجلسون هادئين وادعين على الكرسي ، كما
لو كانوا يجلسون لاستخراج صورة لبطاقة شخصية ،
أما الباقي فيجرى كله فى المعمل .

كيمون : إذن ، لابد أنك أثريت من هذه العملية .

المصور : (بحزن) كلا ، على الإطلاق . أننى اكسب ولاشك ،
ولكن ليس بالقدر الذى كان يجدر أن أكسبه ، وذلك ،
كى أعود إلى النقطة التى بدأت منها حديثى ، لأن الجراءة
تنقصنى . لا أقوى على أن أصل بعزيمتى إلى متنهاها ،
لا أجرؤ أن أصير غنيا ، لا أجرؤ أن أصبح مشهورا ،

ولا أن أبرر أو أتميز عن الآخرين . تنقصني الجرأة دائما . ماذا قلت لكما ؟ الجرأة . أنا جبان . . . من فضلكما ، هل أستطيع أن أشرب شيئا ؟ (برهة صمت .
يمسح وجهه بمنديله - ينهض كيمنون ويعد له شرابا) .

اليسافيت : استشرت اهتمامي . أريدك أن تصورني صورة من هذا القليل . أجل ، أريد ذلك . كيمنون ! فلتزل يوما لنلتقط صورة معا .

كيمنون : فكرة رائعة !

المصور : أستمحيكما عذرا ، ولكن . . .

كيمنون : ولم لا ، سوف تكون صورة مذهشة . .

المصور : لكن ، من فضلكما ، اسمعاني .

كيمنون : هل تمنع في ذلك ؟

المصور : أجل ، أمانع . إنني إنسان بدوري .

كيمنون : لا أفهمك . . .

المصور : هذه الصور تجعلني أعاني . هل تعتقد أن الأمر على

هذه البساطة ؟ ما أن أعرف بإنسان أتصوره ميتا ،

. هيه ؟! في النهاية ، يستحيل الأمر فكرة متسلطة . وها

انتما الآن ، تطالباني . . . وأنتما في شرخ الشباب ،

وعلى غاية من الرقة . . . أن . .

كيمنون : هيا ، دعك من السخافات . . . (يروح ويجيء كما لو كان

يستلهم فكرة) أقترح أن تصورني ، صريعا على الفراش ،

بينما تكون اليسافيت . . .

- المصور : مستحيل !
- كيمون : مقتولة وعارية .
- المصور : عارية !
- كيمون : أجل ، مقتولة . وملقاة على الأرض ، عارية .
- المصور : لن أجزئ على ذلك أبدا ! إن جسدتها ...
- كيمون : ماذا ؟
- المصور : الجسد المصور يجب أن يكون جسدتها هي ...
- كيمون : وماذا فى هذا ؟ لا أعتقد أنك تستحى ؟
- المصور : من فضلك ، لا تصر
- كيمون : حسنا ، لن أصر ، عندى فكرة أفضل .. أنا على السرير رأس بلا جسد .. ورأس اليسافيت هذا الرائع ، بشعرها الأسود الطويل .. ملقى على الأرض ، كما لو كان قد قطع بمقصلة ...
- المصور : إنك تضعنى فى موقف صعب للغاية ..
- كيمون : لماذا ؟ (يقترّب من اليسافيت، ويرفع وجهها) ألا ترى أنها رائعة ؟
- المصور : بلاشك ، هى رائعة .
- كيمون : هل رأيت من قبل بشرة أكثر بياضا من هذه ...
- كيمون : اقترب لحظة ، اقترب ... مد يدك ... تحسسها ..
- إنها ناعمة اللمس كالقطيفة ... تحسسها ، لا تخف ...
- (يلمس المصور اليسافيت التى تتنفض واقفة . يضبط كيمون برنق على كتفها ويدفعها إلى الجلوس من جديد) .

المصور : من فضلك هل لى قدح آخر من الشراب ؟
كيسمون : بكل سرور .. سأشرب معك . (بينما يصب الشراب ، يتبادل
المصور واليسافيت نظرات سرعان ما يسحبانها ، ويشيح كل منهما بعينه من
الآخر) إنك تشرب كثيرا . هل أنت غير سعيد فى
حياتك؟

المصور : أنا ؟ يمكننى أن أقول ، كلا ... لست سعيداً ...
كيسمون : تعس أنت ؟
المصور : ولا هذا . بكل تأكيد ولا هذا ... (يجرع قدحه دفعة واحدة ،
ويسجمع أنفاسه) أنا فى السابعة والأربعين .. غير متزوج
أكسب ما فيه الكفاية ، على الأقل ، ما يكفى مطالبى .
أعيش مع شقيقتى ، وهما أكبر منى . إحداهما لم
تتزوج ، والأخرى فقدت زوجها . أصيب فى حادث
أيام الاحتلال . تفهمان ما أقصد ... نقيم فى بيت
خلوى .. كل شىء على ما يرام هناك .. هدوء ..
لدينا حديقة جميلة أتعهدها بالرعاية . أزرع البانسيه
وعباد الشمس ، وزهورا من أصناف أخرى متنوعة .
زهرة المائة ورقة ، الفانجريانا ، الزهرة الصفراء ، والورد
الوحشى .. أصبحو فى الصباح مبكرا ، ساعة قبل
شقيقتى . أنزل إلى الحديقة ، اجلس فى مقعدى ،
اشرب القهوة ، وأدخن سيجارتى الوحيدة طول اليوم .
هذا شىء يعنى الكثير بالنسبة لى . فى تلك اللحظات ،
أجل ، أحس أننى سعيد (صمت) .

- كيمون : اليسافيت ، أعتقد أنه يجب أن تجهزى شيئاً للعشاء .
(تخرج اليسافيت)
- المصور : إلا أننى ...
- كيمون : (يقاطعه) اسمع ، صرفتها حتى أحتلى بك . أريد أن
أطلب منك طلباً .
- المصور : آه ، أجل ، كنت قد بدأت تحدثنى عن ...
- كيمون : (بصوت خفيض) تماماً الأمر يتعلق باليسافيت . هل يمكنك
أن تسدى إلى خدمة ؟
- المصور : بكل سرور !
- كيمون : (يلقى نظرة نحو الباب) أتحدث إليك كرجل يتحدث إلى
رجل .
- المصور : بكل تأكيد !
- (يقرب منه منكبا ، بصوت خفيض وحازم)
- كيمون : أعطها قليلاً من السعادة ...
- المصور : (وقد بوغت) اعطيها .. ماذا قلت ؟!
- كيمون : (يزداد اقتراباً منه) أعتقد أنها واقعة فى غرامك .
- المصور : أنا ؟ كيف يمكن هذا ؟
- كيمون : (ماضياً) ألم تلاحظ أنها ارتعدت عندما لمستها ؟
- المصور : كلا . لا أصدقك .
- كيمون : انتفضت واقفة ، وأرادت أن تولى هاربة . لكننى لم
أتركها . تذكر ذلك !
- المصور : أجل ، هذا صحيح . أذكره .

- كيمون : ها أنت بنفسك تسلم .
- المصور : (مرتعشا) اسمع : أنا فى السابعة والأربعين ، دميم الخلقه . أعرف ذلك جيدا . تظن أننى لا أعرف نفسى؟
- يداي . انظر إلى يدي المريضتين ، يتصبب العرق منهما ، وأظافرهما متآكلة . هل يمكن أن أروق لامرأة وأنا بهاتين اليدين ؟ كلا ، أننى لا أصدقك . . إنك بمزاحك هذا تضر لي شرا .
- كيمون : (بعناء) ألفت نظرك . ليس لدى وقت أضيعة . إنها لن تلبث أن تعود أعطيها قليلا من السعادة . إنها تعسة ، تتعذب . . .
- المصور : تتعذب ؟ ما الذى يعذبها ؟
- كيمون : أقول لك أنها تعسة . . بالليل تتأبها الكوابيس ، تصرخ فى نومها ، وبالنهار لا تستطيع أن تبقى فى البيت لحظة . تخرج ، وتسير وتسير بلا توقف . تهيم بلا هدف فى أرجاء المدينة ، لأنها تعتقد أنها المدينة التى ولدت فيها ، بينما لم تطأ قدمها هذه المدينة من قبل .
- المصور : ماذا تقول ؟
- كيمون : تعذبها أفكار مستحوذة عليها . تعتقد أن كل من يحبها يحكم عليه بالإعدام ، ويموت . يعزل ويرمى بالرصاص فى معسكر التنفيذ . إنها لا تدعنى ادخل غرفتها . تخشى واهمة أن أزيح الغطاء عن سريرها ، وأدس فيه صراصير ميتة . إنها عجوز تعسة . .

- المصور : عجوز ؟ آيه ، كلا ، إنها ليست عجوزا ، لا يمكن أن يقال عنها ذلك ؟
- كيمون : كم تعتقد عمرها ؟
- المصور : إنها لا تكاد تبلغ الثلاثين . ماذا أقول ؟ إنها فى الخامسة والعشرين ، على الأكثر .
- كيمون : خداع ! كل شىء خداع . ألا تلاحظ الإضاءة ؟ إننا نحيا فى شبه ظلام دائم ، بسببها .
- المصور : هذا كذب ! اليسافيت أصبى من ذلك بكثير . . .
- كيمون : بشرتها ، هذه البشرة الرائعة ، لو كنت تعرف ، كيف تحافظ عليها . . . بدهانات بشعة مخربة تنفذ إلى دمه وتسممها رويدا رويدا . . وشعرها ، شعرها الأسود الجميل . . .
- المصور : كلا ، لا أريد ! لن أسمع مزيدا . . .
- كيمون : ليس هذا شعرها . شعر اليسافيت أبيض وقد تساقط عن أجزاء كثيرة من الرأس .
- المصور : يا للفظاعة ! . .
- كيمون : والأدهى من ذلك . اسمع ما هو أدهى وأمر . لما كانت تخشى أن أمجرها تريد أن تفرض على فكرة أننى مصاب بعمى بطىء ، وأفقد البصر رويدا رويدا . .
- المصور : يا إلهى ! يا إلهى ! . .
- كيمون : حذار أنها قادمة . لاتبد أنك قد عرفت شيئا . (يهرب من الباب الأيسر بينما تدخل اليسافيت) .

اليسافيت : معذرة . تركتك وحدك . أعددت المائدة . ثم خرجت قليلاً إلى الشرفة . . يحلو لى أن أخرج إلى الشرفة فى مثل هذا الوقت ، وأمرى عن نفسى بمتابعة حركة المرور . شعور غريب يتاب المرء عندما يعود إلى الأماكن التى عاش فيها سنوات من قبل . يخيل إليه أن ثمة شيئاً قد تغير . ثم لا يلبث أن يخيل إليه أيضاً أن ما من شيء قد تبدل . يشبه الأمر الأحلام قليلاً . هاك مثلاً على ذلك ، دار السينما هذه ، خيل إلى أنها كانت على الدوام قائمة هنا ، بينما اكتشفت أمس فقط أنه لم يمض على بنائها شهر واحد . عندئذ تذكرت أن هذا العقار كانت تشغله من قبل مدرسة . . للحظة ، عاد إلى مخيلتى الشارع كما كان آنذاك على وجه التحديد . شريط الترام ، وعلى مبعده مكتبة ، ثم فجأة لا شيء ، لا ترام ، ولا مكتبة ، بل عمارات جديدة ، ودار السينما . وهذا الميدان تتوسطه النافورة ومن حوله حانات ودور للهو . . إنى متأكدة من أنها لم يكن لها وجود فى ذلك الزمان . . . ومع ذلك ، تذكرنى النافورة بشيء ما . لكن ما هذا الشيء ؟ سأجده فى النهاية ، غير ممكن ألا أجده . . . (فى هذه الأثناء التى تمضى اليسافيت فى حديثها ، يكون المصور قد اقترب منها . يمد يده يبطء نحوها كما لو كان يريد أن يلمسها . ثم لا يلبث أن يسحب يده فجأة) .

المصور : كلا ، كلا ! مستحيل ! لا أصدق !

اليسافيت : (متعبة) لا تصدق ؟ ما الذى لا تصدقه ؟ أوه ، ذلك

الذى قاله لك عنى ، بالطبع لا تصدق ...

المصور : كنت تعرفين إذن ، ما كان سوف يقوله لى ؟

اليسافيت : كنت أعرفه . هكذا يتكلم عنى كيمون ، دائماً ، إلى

كل الناس . انظر إلى . انظر إلى جيداً (ترفع المصباح وتقربه

من وجهها) كلا أننى لا أخاف الضوء .

المصور : يا لك من امرأة جميلة ! ..

اليسافيت : قال لك أن العتمة تروق لى ، وأننى أحب الضوء

الخافت ، اليس كذلك ؟ قال لك أن شعرى هذا

مستعار؟ خذه بين يديك ، إذن ، ها هو ، ها هو ،

خذه .. (تحل جدائلها ومجلبها) .

المصور : كفى ! أصدقك .. لكن ، لماذا يفعل ذلك ؟

اليسافيت : لا أدرى . يروق له أن يذمنى . أعتقد أنها المتعة

الوحيدة التى ينالها منى . شىء واحد مما قاله لك صدق

فيه ، وهو أننى تعسة .. إننى فى الحق تعسة جداً ..

المصور : اليسافيت ، وحق السماء ، لا تبكى .. لا أحتمل أن

أراك تبكين .

اليسافيت : أحال حياتى إلى جحيم ، وفى أعماقه لا يعيرنى

التفاتا . هل تفهم ذلك ؟ هل يمكن لأحد أن يتصور كم

يكرهنى ؟ لكن ، كلا ، إنه ولا حتى يكرهنى . إنه لا

يكثرث بى . أننى غير موجودة بالنسبة له . وإذا كان

يعذبنى ، فكما لو كان يعذب قطعة أو فأراً .

- المصور : لا تبكى ، أتوسل إليك !
- اليسافيت : يقول إننى أضايقه ، ولهذا اضطر إلى التغيب طوال النهار عن البيت ، وبالليل يغلق على نفسه غرفته ويحرم على دخولها .
- المصور : هل يفعل ذلك بك ؟
- اليسافيت : إنه يتجاهلنى . يحتقر الحياة التى عشتها حتى اليوم ، الفساقين التى ألبسها ، المدينة التى ولدت فيها ، الناس الذين عرفتهم
- المصور : اليسافيت ، اصغى إلى ...
- اليسافيت : وعندما يتتابه الضجر ، يفتق ذهنه عن العديد من الأفعال التى تبعث فى قلبى الذعر . يلبس فعلاً مطاطيا ويتسلل خلفى خلسة .
- المصور : اصغى إلى ، يجب أن أقول لك شيئاً ...
- اليسافيت : وعن مرض عينيهِ ، ماذا قال لك ؟ أننى أخشى أنه سيصاب بالعمى ؟ آيه ، ألم يقل لك ذلك ؟
- المصور : أجل ، قال لى هذا ...
- اليسافيت : ومع ذلك ، إنها فكرته هو أن يتظاهر بضعف البصر ، كى يبقى طول الوقت فى البيت معقود الذراعين . أما أنا فادعى أننى أصدقه حتى لا أضايقه .
- المصور : الذى لا أفهمه هو كيف تواصلين البقاء إلى جوار شخص مثله .
- اليسافيت : أنى وحيدة ، لم يعد لى أحد . لا أعرف أين اذهب .

- المصور : كيف يمكن أن تقولى هذا ، بينما ...
- اليسافيت : لا أحد يريدنى . طردنى الجميع .
- المصور : ها أنا أمامك ..
- اليسافيت : أعتقد أنك تريد أن تقول لى شيئا .
- المصور : أجل ، سأقوله . ماعدت أحتمل الكتمان .. أنا متيم بحبك . من أول لحظة رأيتك فيها ! ...
- اليسافيت : اسكت . ربما يسمعك .
- المصور : فليسمعنى . لا يهمنى . تعالى ، نرحل سويا .
- اليسافيت : لا يمكننى أن أهجره .
- المصور : لماذا ؟ لماذا ؟ مادام لا يحبك ، لا يحتاج إليك ، بينما أنا فى ميسس الحاجة إليك . أنا بدورى تعس مثلك . فقط ، لو كنت تعرفين .. لو كنت تعرفين ماذا حدث لى منذ أمس .
- اليسافيت : ماذا حدث لك ؟
- المصور : لم يعد لى بيت . ولا عاد لى شيء ولا أحد فى الدنيا . شقيقتاى ، كلا ، الأفضل أن أروى لك الأمر بالترتيب .. منذ قليل ، حدثتك عن حديقتى . أتذكرين ؟
- اليسافيت : حديقة الورد ؟ أذكر ذلك . كنت تقول إن لديك العديد من أنواع الزهور .
- المصور : أجل ...
- اليسافيت : زهرة المائة ورقة ، زهرة الفانجزيانا ، الزهرة الصفراء ، الورد الوحشى .

المصور : أجل .

اليسافيت : وأنت كنت تستيقظ مبكرا ساعة قبل الآخرين في الصباح ، وتشرب قهوتك ...

المصور : أجل ، أجل ، أجل ...

اليسافيت : إنك كنت تشعر بالسعادة ؟

المصور : ما عاد لشجيرات الورد وجود !

اليسافيت : ما عاد لها وجود ؟

المصور : اقتلعتها شقيقتاي ، ليلة أمس !

اليسافيت : شقيقتاك ؟

المصور : أجل . إنها قصة محزنة . تعتقد شقيقتاي أن في الحديقة ، في وسطها تماماً ، دفن أبوانا ، وأن شجيرات الورد تتغذى من رفاتهما . أن العزلة ، كما ترين ، العزلة ... تجلب إلى الذهن أفكارا شاذة . وقد عاشت شقيقتاي دائما في عزلة مريرة . كانا يكرهاني من أجل ذلك . كانا يسبانى . أحالا حياتى إلى جحيم . كثيرا ما كنت أعود من عملى فلا أجد طعاما ، كانا يتركاني جائعا . لكن ما كنت اتصور أنهما سيصلان إلى هذا الحد . إلى أن كسنت ليلة أمس ، وكنت على وشك أن اهجع إلى فراشى ، سمعت جلبة فجريت إلى النافذة . ورأيت مشهدا لن أنساه طول حياتى ...

اليسافيت : لا بد أنه كان فظيحا !

المصور : (مرتدا) كانت أختاي بقميص النوم الأبيض وقد تهدل شعرهما الأبيض على الظهر ، يقتلعان شجيرات الورد ويدوسانها بحقد شديد . اندفعت إليهما أمنعهما . فرفعت صغراهما ، الجاروف لتضربني . وليت هاربا كالمجنون . جريت فى الشوارع ، وقد قطعت انفاسى ، إلى أن وجدت نفسى فى الميناء . جلست على الرصيف وبكيت . لا أعرف كم من الوقت بكيت ، فأدخل ذلك السكينة إلى قلبى قليلا . بدأت شمس الصباح تشرق ، وأخذت طلائع العمال تفد . عندئذ نهضت ، وعدت إلى دكانى ، وفتحته مثل كل يوم ، لكن عطفى ماعاد يعمل . كان قد توقف .

اليسافيت : (ترت على جيته ملاطفة) .

المصور : اليسافيت ، لو لم تجيئى أنت ، وتقفين هناك أمامى بوجهك الوضاء ، وتوجهين إلى الدعوة لزيارتك هذا المساء ، ما كنت أعرف ماذا سيحدث لى (تواصل اليسافيت ملاطفته بواسطة ، فترت على وجهه . فجأة يتعانقان ويتبادلان قبلة عاطفية متأججة . يدخل كيمون) .

كيمون : شىء جميل . اليسافيت ! اشرحى له الآن ما حدث بالضبط ، (برهة صمت - يتبادلون النظرات) ماذا ؟ ألا تتكلمين ؟ لعلك تفضلين أن أتولى أنا الشرح ، هذه الليلة ؟ حسنا جدا . أنا واليسافيت لا نعرف كيف نغضى أمسياتنا ، لهذا لدينا على الدوام زوار مدعوون للعشاء . أناس

ظرفاء تتعرف إليهم اليسافيت فى الشوارع ، والمحلات ،
والأوتوبيسات . البعض يذكرها بمعارف قدامى مما يملأها
شجنا . ندعهم يحكون لنا عن مشاكلهم وأحلامهم ،
وإخفاقاتهم . لنجعلهم يحسون كما لو كانوا فى بيوتهم .
نقدم لهم دجاجا وجنبريا بالمايونيز ، واسبرجس ،
وشمبانيا ، وتعاملهم اليسافيت والحق يقال بمودة بالغة
ولكن تأتى اللحظة التى يجب أن نبقى فيها وحدنا ،
وللضيافة حدودها . الوقت مر . طابت ليلتك ! (يحمل فيه
المصور دون أن يحرك ساكنا) ألا تفهم؟ أقول لك بكل وضوح
أن ريارتك انتهت . لا تلجئنى إلى أن ألقى بك خارجا .

اليسافيت :

(بصوت خائر) طابت ليلتك .

المصور :

كيف ؟ وأنت أيضاً ؟ هذا فظيع ! فظيع ! (ينظر إليهما كما لو
كان يرى أمامه وحشين) إذن ، فقد اتيتما بى إلى هنا لتهزأ بى ؟
لتسخرأ منى وتسليا ؟ هذا ما كانت تهدف إليه دعوتكما ؟
كى تنفضا عن أمسيتهما الضجر على حسابى ؟ على
حسابى أنا الذى لم أعرف سعادة فى حياتى ؟

اليسافيت :

من فضلك ، انصرف

المصور :

(وقد صعدت غصاة إلى حلقة) وأنت ؟ ألا تقولين شيئا ، أنت ؟
موافقة أنت ؟ تتركينى طوال هذا الوقت افتح لك قلبى .
بحث من أجلك بأسرار شقيقتى وبيتى . شجيرات الورد
لم يعد لها وجود . لم يعد لشيء وجود ! قلت لك كل
شيء ، كل شيء ! أوه ، هذا فظيع ، فظيع .

(يتدفع متخطيا ويهم بالانصراف)

- اليسافيت : كلا ، لا ترحل !
(برهة صمت)
- كيمون : ماذا حدث ، يا حبيبتى ؟
- اليسافيت : ماعدت أحتمل أكثر من ذلك . ماعدت أحتمل ..
قلت لك . ألم أقل أن الليلة سوف تكون الأخيرة ؟
(إلى المصور) خذنى معك . لا تتركنى هنا ، بعد الآن .
- كيمون : اليسافيت ، هل جنت ؟
- اليسافيت : لا أريد أن أبقي لحظة فى هذا البيت . انتهى كل
شئ... سأذهب معه .. إنه يحس بى . يحبنى .
نحن من المدينة ذاتها ...
- كيمون : دعك من السخافات . أنت لم تولدى هنا .
- اليسافيت : يعرفنى وأعرفه . إنى راحلة . لا أطيق المزيد . لا
أطيق .
- كيمون : تجلدى ، إذن . سأفعل بدورى ما بقى لى (بندفع خارجا) .
- اليسافيت : (ثائرة) دعك من التهديدات ! ماعدت تخيفتى ، سامع ؟
لا تستطيع إخافتى ! (تسمع طلقة نارية من الداخل . تطلق اليسافيت
صرخة . تمسك خديها بكفيها) اطلق النارى ! قال ونفذ ما قال !
الطلق النارى !
(تندفع إلى الداخل ، بينما يحاول المصور أن يمنعها) .
- المصور : لا ! لا تذهبي !
(تخرج اليسافيت من اليمن . ثم تعود بعد بضع ثوان ، وقد اتخذت هيئة من
يسير فى نومه) .

- اليسافيت : قتل نفسه ! قتل نفسه بسببي . كان يقول لى ذلك دائما ، ولم أكن أصدقه قال لى «لو فقدتك ، سيتهى كل شيء بطلق نارى» .
- المصور : ربما كان مصابا فحسب .
- اليسافيت : اخترقت الرصاصة قلبه . . . (يهم المصور بالدخول وقد أسقط فى يده ، لكن تند من اليسافيت صرخة) لا ! لا تدخل ! حذار أن تضع قدمك هناك !
- المصور : اليسافيت ، ليس ما حدث ذنبك . لا تقع المسئولية عليك .
- اليسافيت : (وقد شردت نظرتها) دماؤه سالت من فمه . دماؤه . . .
- المصور : أقول لك ، ليس ما حدث ذنبك . هيا ، نخطر الشرطة . . . وبعد ذلك ، سنرحل .
- اليسافيت : ماذا ؟ ماذا قلت ؟
- المصور : ستأتين معى . لن أتركك وحدك . أليس هذا ما كنت تريدن ؟
- اليسافيت : (كما لو كانت لا تفهم) سأتى معك ؟
- المصور : ستسعين كل شيء . . . ستريين . . .
- اليسافيت : سأتى معك ؟ معك أنت ؟ معك أنت ؟ (تبدل حالها فجأة . وتنفجر فيه نائرة) اغرب عن وجهى ، أيها القذر المنفر !
- المصور : ماذا ؟
- اليسافيت : (ماضية) جرؤت أن تصدق شيئا مثل هذا ؟ أنا أرحل معك أنت ؟ أنا وأنت ؟ أنت دميم قبيح . ألم يقل لك

ذلك أحد قط ؟ أنت عجوز ، ألم يقل لك ذلك أحد
قط ؟ ، وذلك الرجل المسجى هناك كان شابا ووسيمًا !
أسنانك نخر فيها السوس . يداك كثيران تقزى . (نهجم
عليه) امش ! عد إلى اختيك المجنونتين ، عد إلى بيتك
الكريه ، ولا تخط منه خارجا ! هذا ما تستحق أنت
وأمثالك ، أنتم يا من تأتون هنا وتفسدون علينا هدونا .
أخرج ! أخرج ! أخرج !

(يتراجع المصور مرتعا ، ويخرج من ناحية اليسار . تبقى اليسافيت وحدها .
تبدو شاحبة مجعدة . تقترب من المرأة . تتفحص وجهها بآلة . ترتب شعرها .
ثم تاتى إلى الباب فى ناحية اليمين وتقف فى مواجهة الجمهور .)

اليسافيت : (بصوت خال من كل عاطفة) تستطيع أن تخرج الآن .

كيمون : (يدخل) انصرف ؟

اليسافيت : (بدايت الصوت) أجل .

كيمون : مثل الآخرين ؟

اليسافيت : أجل .

كيمون : هل لقيت صعوبة فى طرده ؟

(تذهب اليسافيت ، وتجلس فى مقعد يواجه الجمهور) .

اليسافيت : كلا . انصرف دون أن يقول كلمة .

كيمون : يداك ترتعشان ، وأنت مهدمة . يجب أن يتوقف كل
هذا يوما ما .

اليسافيت : (كرجع الصدى) أنت محق . سيتوقف .

(برهة صمت)

كيمون : قلت لك ، لا أريد ضيوفا يتدخلون فى أمورنا .
 اليسافيت : قلت لى ذلك .
 كيمون : لسنا بحاجة إليهم .
 اليسافيت : كلا .
 كيمون : سوف تدخلين على ذات مرة وتجدين رصاصة حقيقية قد
 استقرت فى قلبى .
 اليسافيت : (بلهجة ناعمة) يا حبيبى . لا توجد رصاصات حقيقية .
 تعرف ذلك .
 كيمون : تقولين ذلك ، وتبدين حزينة .
 اليسافيت : لست حزينة .
 كيمون : غدا ، سنجمع أمتعتنا ، وسنرحل .
 اليسافيت : (مراجع الصدى) سنرحل .
 كيمون : عرفت الآن خطأك ؟ هذه المدن تتشابه . اختلط عليك
 الأمر ...
 اليسافيت : أجل ، تتشابه . اختلط على الأمر ...
 كيمون : تسلمين بآنك لم يسبق لك المجيء إلى هنا ؟
 اليسافيت : (بذات الصوت السابق) أسلم .
 كيمون : مائدة العشاء جاهزة . هل أنتظرك ؟
 اليسافيت : انتظرنى .
 (يخرج كيمون من جهة اليمين . تبقى اليسافيت بضع لحظات بلا حراك . ثم
 تنهض . ترتب بعض الأشياء شاردة اللب . تجمىء إلى الشباك وتناهب لإسدال
 الستائر . تظل منه قليلا كما لو كان ثمة ما استرعى انتباهها) .
 اليسافيت : المدينة ! (تطلق صرخة) المدينة ! المدينة تَحترق ! (تولول) تَحترق !
 ستار

لولا أنا غنوستاکی

الاستعراض

(غرفة حوائطها مكسوة بأوراق حائط خفيفة . باب ضيق مرتفع . الأثاث :
سريران يذكran بتلك الأسرة الحديدية القديمة للمحاطة بقضبان لحمى النائم من
السقوط . أحد السريرين غير مرتب . مقعد هزاز ، ومقعد آخر خفيض . أرفف .
دواليب مكدسة بالكتب . لا وجود لتأفلة بالمعنى الدقيق ، إلا أن بأعلى الحائط
شبه مطل من مطلات المناور ، لا تغطيه قضبان حديدية ، وله ضلفتان
زجاجيتان ، تفتحان . وأسفل هذه النافذة صندوق مما يستخدم فى تعليق
البضائع . على الأرض ، وعلى المنضدة ، وعلى المقعد الخفيض ، وعلى السرير
غير المرتب ، سفن وطائرات كثيرة من الورق . كما يوجد كثير من الكتب
والخرائط المبعثرة فى أرجاء المكان . ظلام . صمت . تبدأ دقات طبول منفردة
تتصاعد فى الظلام . تعزف موسيقات عسكرية ، تارة معا ، وتارة متفرقة ، ويفد
العزف من قريب أحيانا ، ومن بعيد أحيانا أخرى . صمت .

ضوء . ومع الضوء ، يسمع نغير بعيد ، كما لو كان العازف يجرب نغيره .
وهناك أيضا من يتدرب على دق الطبول فى الخلفية البعيدة ذاتها . ترى زوى -
ومى فى الثالثة والعشرين من عمرها - جالسة فى المقعد الهزاز ، وقد أولت
الجمهور وجهها . تغزل ثوبا ، وتؤدى من أجل ذلك حركات منتظمة ، وتغنى
بصوت خافت) .

زوى : من يتسلى الجبال
ويجلب لنا الورد الصغيرة
من يدخل المغارة
ويتزل البيرة
ويسأل عنها عجورا
تجمع أعشاب البرارى .

(يدخل آرى - وهو فى الساعة عشر من عمره - مستغرقا فى التفكير ، يمسك فى يده سلسلة يلهمو بها . يصعد على الصندوق ، ويلقى نظرة من النافذة . وعلى الدوام فى الخلفية يسمع الطبل والتفكير . يقوم آرى بجولة فى أرجاء الغرفة لاهيا بالسلسلة . يلقي بها على المنضدة . يستلقى على الأرض ، ويشرح فى ترتيب سقته الورقية . ويلعب بها مقلدا معركة بحرية . يرص السفن فى وضع قتال . يمسك فى يديه طائرتين ، يمررهما فوق الأسطول وهما تطلقان النار . وطوال هذا الوقت ، لاتكف زوى عن شغل الأبرة وعن الغناء ...)

زوى : من يشد الترحال إلى ديار الغربية

يحضر لنا الوردة الصغيرة

- كم يخجل القلب -

يا أيتها الأم المنكودة .

أى قلب يرثى الآن

لوردتنا الصغيرة المفقودة .

(دون أن تستدير إليه ، تواصل شغل الأبرة)

آرى ، هل نحن وحدنا ؟

آرى : (يقلد الطائرة) تزرززرز .. أجل ! تزرززرز ...

زوى : رحل أبونا ؟

آرى : رحل تزرززرز ، بوم ، بوم ، بوم ، بوم ...

(يقلد مدفعا سريع الطلقات)

زوى : لم اسمع الباب يصطقق . ثم هناك ذلك الضجيج الوافد

من الميدان . أغلق النافذة .

ما هذه الأصوات ، أبواق ؟

- آرى : م م م . . . (بتهض متكاسلا ، ويفلق النافذة)
- زوى : وطبول ، آيه ؟ من المؤكد ، أن ثمة استعراضا سيجرى أمام بيتنا . أ بمناسبة عيد من الأعياد ؟
- آرى : لو كنت تكثرئين بالقاء نظرة إلى النتيجة ، لتبينت أنه عيد من الأعياد السنوية . .
- زوى : عيد قومى ، ترفع فيه الأعلام والبيارق ، وتمر المدارس تحت الشرفات . هل تجمعت جماهير فى الميدان ؟
- آرى : كلا ، لم يأت أحد بعد . (يلتقط من السرير غير المرتب ثلاث كرات صغيرة . يخلف بها إلى فوق وإلى تحت ، محاولا أن يقلد لاصى السيرك) .
- زوى : لا تروق لى الاستعراضات . أتذكر عندما كنت صغيرة ، وقفت وقتا طويلا تحت الشمس ، فأصابت بوجع فى الرأس ، وتقيأت ، وكدت أموت ؟
- آرى : لم يكن ذلك فى استعراض ، بل كنا نستحم فى البحر . .
- زوى : هل تذكر ؟
- آرى : كلا . كنت صغيرا جداً . ربما لم أكن قد ولدت بعد . (يحاول التحكم فى الكرات ، فلا يفلح) . .
- زوى : حسنا ، لا يهم ذلك . (برهة صمت وجيزة) أى ثياب ارتدى أبونا اليوم ؟
- آرى : سترته الزرقاء . .

- زوى : تلك التى ارتداها أمس أيضا ؟ ينقصها الزرار ! الثالث
بالجزء الأسفل ، والبطانة مفكوكة الخياطة من الجوانب .
كنت أنوى أن أرفوها له مبكرا هذا الصباح . . . فى
الحق ، يبدو لى ، أنى رفوتها . أذكر ذلك . . .
- آرى : (نبح فى النهاية ان بتقن الحركة البهلوانية) لم ترفها . كان بسترته
زراران فحسب .
- زوى : وهل تركته يرحل هكذا ؟ هل ارتدى صدريته الصوفية
على الأقل ؟
- آرى : ارتداها . .
- زوى : الصفراء أم الرمادية ؟
- آرى : الصفراء .
- زوى : حسنا فعل . . الصفراء أكثر دفئا . بدأ الجو يميل إلى
البرودة فى الخارج .
- آرى : وكيف تعرفين ؟
- زوى : كيف أعرف ؟ ماذا تقول ؟ (طوال الحوار لم تستدر نحو آرى) .
- آرى : (بعد لعبة الكرات . يستند مجهدا إلى الحائط . يضع يديه فى جيبه) كم
سء الجو هذا المساء . . .
- زوى : (ماضية فى شغل الأبرة) أخبرنى بذلك أبونا ليلة أمس ، حين
عودته . قال لى : «تدثرى بشالك الأسود ، فقد أقبل
الخریف» ثم نفخ فى راحتيه ، وقال «يجب أن نشغل
المدفأة بعد بضعة أيام» . إنه يشعر بالبرد كثيرا فى الآونة
الأنخيرة . طلب منى أغطية صوفية من الآن ، وكلفنى

- أن أذهب إليه بشأى ساخن قبل رقاذه بالليل ، ربما كان مريضاً . وأنت ، ما رأيك ؟ أهو مريض ؟
 آرى : (ينسلق إلى النافذة ، ويفتح الزجاج) لا أعتقد ذلك .
 زوى : ماذا يجرى فى الخارج ؟
 آرى : ليس هناك شئ بعد .. الميدان خال ..
 زوى : الحوانيت مقفلة ؟
 آرى : مقفلة تماما . وقد أنزلت ستائرهما الحديدية ..
 زوى : هل يجلس أحد على الأرائك ؟
 آرى : أقول لك الميدان مقفر . لم يحضر أحد بعد ..
 زوى : وهذه الموسيقى ، من أين تسمع ؟
 آرى : لابد أنها تفد من مكان بعيد .. لست قادراً أن أرى ..
 ولكن أينما كانوا فأنهم يقتربون .. إننى متأكد ، أن الاستعراض سيجرى هنا ، تحت .
 زوى : وما الذى يجعلك متأكدا ؟
 آرى : (يفلق الزجاج ، لكنه لا ينزل من على الصندوق ، يستدير إلى زوى) نصبوا فى الميدان تمثالا . فى الوسط تماما . سوف يزيحون الستار - على ما يبدو - عن نصب لبطل من الأبطال فى هذه المناسبة .
 زوى : أى بطل ؟ ألم تتبين الأمر ؟
 آرى : كلا ، إنه مغطى كله بقماش أبيض ، ولا يبدو منه شئ ..
 زوى : إذن ، كيف عرفت أنه تمثال ؟

آرى : وأى شىء يمكن أن يكون غير ذلك ؟ لقد أقاموه على
 قاعدة عالية ، وشدوا حوله حبالا كى يقف خلفها
 الناس الذين سيأتون لحضور الاستعراض . (بفرحة مفاجئة)
 ضوء مشعل ، بعد قليل سيبدأون فى التوافد !
 زوى : (تغنى) من يدخل المغارة .
 ويتزل البيارة .
 ويسأل عجورا
 تجمع أعشاب البرارى
 آرى : (يفتر حماسه . ينزل بخطى وثيدة ، ويقف وراء زوى) تغنين ؟
 زوى : أجل . لم اتبين ذلك . كنت شاردة البال . .
 آرى : فيم كنت تفكرين ؟
 زوى : لا أفكر - إنى أغزل . .
 آرى : ماذا تغزلين ؟ كلا ، لا تخبرينى . سوف أخمن ذلك
 وحدى . . تغزلين ثوبا لك ، شالا ؟
 زوى : أخطأت التخمين .
 آرى : إذن ، سترة .
 زوى : ولا سترة . غزلت واحدة الأسبوع الماضى .
 آرى : صدرية بغير أكمام .
 زوى : كلا ، كلا ، كلا . فستانا بأكمله . ها هو النصف
 السفلى منه .
 آرى : على كل حال ، إنه ثوب لك . خمنت هذا على الأقل . .

زوى : خمته ؟ أظن أنك سألتني عنه أمس أيضا وأخبرتني .
 كيف ، أجل ! أنا التي أخبرتك . لم تكتشف الأمر
 وحدك ..
 آرى : هل يمكن أن أراه ؟
 زوى : (تريه اياه) أليس جميلا ؟
 آرى : أنه رائع . نبيذى . بذلك يسمون هذا اللون . ولكنك
 تغزلين ثوبا ضيقا .
 زوى : إننى نحيفة جدا ..
 آرى : ضيقا وطويلا .
 زوى : إننى طويلة ، سيكون على مقاسى تماما .
 آرى : أنت قصيرة القامة .
 زوى : لا تدرى من أمرك شيئا . تقول ذلك كى تغيظنى . تريد
 على الدوام أن تغيظنى ..
 آرى : قصيرة وبدينة .
 زوى : أنت شرير .. لن أكلمك .
 آرى : ليس فى البيت مرآة كبيرة . لذلك لم ترى هيتك كاملة
 قط . قصيرة وبدينة ، هذه أنت ، دون أن تدرى ذلك
 (يقفز مرحا) لى أخت ممتلئة الجسم قصيرة ..
 زوى : لن أكلمك مرة أخرى . أعطنى اياه (تهم باخذ قطعة الثوب
 المفزول . يقفز آرى بعيدا) .
 آرى : (يفنى) قصيرة القوام ، بدينة الجسد ..
 مثل سيقان الابخطبوط ساقاها .

زوى : (تطارده) كذاب ! كذاب ! أعدده إلى بسرعة . .
آرى : (وهو بجري) هذا ثوب ضيق جدا . . لا نفع منه . (يكوره،
ويلقى به بعيدا وهو ماض فى الفتاء) وأنفها مثل نجمة بذنب . .
(يطارد كل منهما الآخر . وفى كل مرة تغلج زوى فى الاقتراب من الفستان
يكون آرى أسرع منها فى الإلقاء به بعيدا . يتدحرجان على الأرض فى النهاية .
ينهض آرى ، ويدوسه بقدمه) .

زوى : اتركه ، اتركه ، اتركه .
(منذ أن شرعت تجرى وراءه مطاردة ، بدأت تسمع جلبة أناس ، وفرقة
موسيقية تقترب . كما يتعالى الصخب عندئذ فى الخارج بشدة فيتنبه إليه آرى
فجأة .. يتخلى عن الفستان ، ويهرع إلى النافذة بينما تنكفى زوى على
الأرض، وتنخرط فى البكاء) . .

آرى : ها هو الموكب . لقد جاءوا ! غص الميدان بهم - امتلا
تقريبا - أسمعهم ! يفقدون من كل الأنحاء ، يتراصون
وراء الحبال . ارتدى البعض أفضل ثيابهم . تزينوا كى
يحضروا الاستعراض . على أن البعض يرتدون رث
الثياب - كفى عن البكاء ، وتعالى شاهدى . أوف !
مثل طفل صغير تتصرفين . يسيطون مظلات لاتقاء
الشمس . يسيطون مظلات المطر لاتقاء الشمس ، أليس
ذلك مضحكا ؟ كفى عن البكاء ، إنك تثيرين أعصابى .
آخرون يصنعون من ورق الصحف قبعات ، يغطون بها
رؤوسهم . أما أولئك - أجل - فهم أنصح الجميع .
بأربع عقد يطوون مناديلهم مثل قلنسوة ، فلا يخشون

أن تطيرها الريح . الميدان فى وسطه خال . لم يحضر
الجيش بعد ، ولا المدارس . حضر أولاد الملجأ فحسب .
وهم الذين يعزفون الموسيقى ..

(يستدير ملتفتا إلى زوى ، التى عادت للجلوس فى مكانها وتواصل شغل الأبرة
حاصة الوجه . يغلق النافذة ببطء . ينزل من على الصندوق ويلعب إليها) .

آرى : هل غضبت ؟

(نجر زوى مقعدما فى دلال بميدا عنه)

آرى : اسمعى : سوف أطلب من أيننا غدا أن يشتري لك

صوفا أزرق كى تغزلى فستانا آخر . هذا اللون قروى .
ألا ترينه ؟ (صمت) حسنا ، على كل حال ، فأنا لست
عارفا لهذه الأمور . أنى رجل ، ولا أفهم فى الألوان .
ولكن الحق أقول لك ، ستغزلين فستانا أزرق .. بضعة
خيوط ذهبية على الياقة ، هيه ؟ سوف يكون جميلا .
اعترفى بأن فكرتى عن الخيوط الذهبية رائعة (صمت) لا
تكلمينى؟ حسنا وأنا بدورى سأطبق فمى يوما كاملا
(يمود إلى سفته) أسمعين ؟ يوما كاملا . لن تخرج كلمة
من شفتى .. تزرز (يلعب) .

زوى : (بلهجة شريفة) عندما أجلس هنا فى مقعدى منكبة على

إبرتى ، وتسألنى وتلح فى السؤال فىم أفكر ، أتريد ان
أن أقول لك فىم أفكر ؟

آرى : بوم ، بوم ، بوم . (يطلق النيران) .

زوى : (باللهجة ذاتها) افكركم كانت تصبح سعادتى كبيرة لو كانت
لى أخت بدلا منك . لكن ليس لى أخت ، إنى سيئة
الحظ للغاية ..

آرى : ترز (انقضاى عمودى) .

زوى : هذه الغرفة فظيعة . لا أستطيع أن أراها .. سفنك
وكراتك وخرائطك وكتبك ملقاة فى كل مكان . تتابنى
الرغبة فى أن أجمعها كلها وأحرقها ..

آرى : عندئذ سأشعل بدورى النار فى سلة أثوابك الصوفية .
لن أحرقها تماما ، بل سأتركها مزقا محترقة ترينها
وتغلين من الغيظ .

زوى : أعرفك جيدا . أنت أهل أن تفعل ذلك . أنت شرير
وقذر . سريرك نتن . أنك لا ترتبه أبدا . أتعرف كيف
كان سيبدو سرير أختى ؟

آرى : كرا ، كرا ، كرا ..

زوى : بأغطية من ريش ناعم ، وردية اللون ، ووسائد بيضاء
ذات شرائط زرقاء . وسوف كنت أغزل لها سجادة
سميكة صفراء كى تقف عليها ما أن تطأ قدمها
الأرض . ما كنت سأسمح لأحد أن يدخل هنا . كنا
سنظل سويا نحن الاثنان ولا ثالث لنا . كنا سنتحدث
ونتحدث .. وأفضى لها بكل أسرارى .

آرى : ألدك أسرار ؟

زوى : بالطبع لدى أسرار . لكننى لن أبوح لك بها أبدا ،
لأنك رجل .

- آرى : ولا حتى بأقل القليل منها ؟
- زوى : (نهز رأسها علامة النفي) كلا .
- (ينفض آرى . ويشرح فى الدوران حولها)
- آرى : إذن ، لن أخبرك أنا أيضاً بما لدى من أسرار . (ينظر إليها نظرة غامضة) وعلى سبيل المثال لن أقول لك شيئاً عن المفتاح .
- زوى : المفتاح ! أى مفتاح ؟
- آرى : (يذهب إلى الباب ، ويخلع مفتاحاً من موضع مرتفع) هذا ! (يمده نحوها ، حتى يكاد يلاص وجهها) .
- زوى : إنه مفتاح البيت .
- آرى : تماماً . هو مفتاح البيت . ذات يوم ، سأخذه ، وسأخرج . (يتطلع إلى النافذة) سأمضى نازلاً إلى الميناء .
- زوى : وماذا ستفعل فى الميناء ؟
- آرى : سأشاهد السفن . سأختار يوماً يأتى فيه الأسطول كى أتابع معركة بحرية حقيقية . .
- زوى : كيف ستعرف اليوم الذى ستجرى فيه معركة بحرية ؟
- آرى : سأسمع دوى المدافع . إنها تسمع من هنا . ما أن أسمعها ، سأفهم ، وأخرج . وبعد ذلك ، ربما ذهبت أتريض فى المتزّه . .
- زوى : ليس ثمة متزّه .
- آرى : من قال لك ذلك ؟

زوى : أنا أقول لك . حين جئنا نسكن هذا البيت - أذكر ذلك جيدا - اجتزنا المدينة كلها ، ولم نصادف فى طريقنا أى متزّه .

آرى : ربما . لا يعنى ذلك شيئا . على أى حال ، لم أخبرك بالأمر الأهم ..

زوى : الأمر الأهم ؟

آرى : (بغث واتصار) سأذهب إلى السينما ، خلف بيتنا . سأشترى تذكرة وأدخل .

زوى : كيف تعرف أنها سينما تلك التى خلفنا . لم تحدثنى عن هذا من قبل . أخبرنى كيف عرفت ؟

آرى : عرفت ذلك ، وقد اكتشفته وحدى . (يمضى فى حديثه على نحو ما سبق) منذ أسبوع ، كل ليلة فى العاشرة ، وفى الثانية عشرة ، يتدفق على الميدان أناس كثيرون ، جماهير غفيرة . يمرون تحت نافذتنا ، ويتفرقون فى الشوارع المحيطة . كل هؤلاء لابد أنهم يخرجون من مكان ما . وبعد أن فكرت طويلا ، فهمت أنه لا يمكن إلا أن يخرج هؤلاء كلهم من إحدى دور السينما ، التى شيدت فى الآونة الأخيرة على مقربة من هنا . لو إنك لا تنامين فى الثامنة ، سوف كنت ترينهم بدورك . لكننى أحقق إذ اجلس وأخبرك بكل هذا ، منذ الآن لن أخاطبك بكلمة ..

زوى : (وقد اكتست مسحة غامضة) إذن ، لن أقول لك بدورى عما

أنوى أن افعل . . لن أخبرك شيئا عن ذلك اليوم .

آرى : أى يوم ؟

زوى : اليوم ، الذى سيخلو فيه الميدان تماما ، ويقفز ، لأن

ذلك اليوم سيكون الأحد والوقت صباحا . الحوانيت

مقفلة ، ومن الليلة السابقة سوف يكون باعة الفاكهة

وباعة الدجاج والغجر بسجاجيدهم وباعة السميط قد

انصرفوا . وسيكون الجو باردا ، ولن يأتى أحد ليجلس

على الأرائك .

آرى : وعندئذ ؟ وعندئذ ؟

زوى : وعندئذ ، ماذا ؟

آرى : قلت إن اليوم سيكون الأحد والوقت صباحا . .

زوى : (بلهجة بطيئة وحافلة بالفموض) عندئذ سأفتح الباب ، وأخرج .

سأطوف بالميدان ، بالميدان كله (بيظه) سأدور حوله ،

سأمر بالاقفاص وعربات الكارو والأرائك والكنيسة ،

ومن أمام حوانيت المصنوعات النحاسية . قدور أباريق ،

طاسات ، كل الأشياء من نحاس أحمر ، لامع مثل الذهب .

(صمت . يمضى آرى إلى النافذة غارقا فى التفكير) .

آرى : ماذا يفعلون حتى يطول تأخرهم إلى هذا الحد .

زوى : هل وصل الجيش ؟

آرى : كلا ، لم يصل بعد (بتناول كراته من جديد ، ويجرب حركته فى

عصية) .

- زوى : آرى ..
- آرى : أجل ؟
- زوى : هذا الذى قلته لك الآن ..
- آرى : أجل ؟
- زوى : لن أفعله . (يتوقف آرى عن رمى الكرات) لأن الميدان لا يكون خاليا بما فيه الكفاية ابدا . . إسمع . حسبت كم من الوقت يلزمنى كي أطوف بالميدان كله . ربع ساعة على الأقل لو سرت بخطوات سريعة ، ونصف ساعة ، لو سرت بخطوات وثيدة . أجريت تقديراتى والساعة فى يدي . وعندئذ فى أثناء الربع أو النصف ساعة سيوجد على الدوام من يمر من هنا ، حتى لو كنا يوم الأحد ، حتى لو كان البرد شديدا ، والجليد يكسو كل شيء .
- آرى : ربما شاب حسابك خطأ . أتريدن أن نعاود الحساب معا من جديد ؟
- زوى : كلا ، متأكدة أنا من أن حساباتى صحيحة . يوجد على الدوام من يمر من هنا . إلا إذا كان الوقت ليلا ، ولكن الظلام يخيم بالليل .
- آرى : تخافين الظلام ؟
- زوى : أشد الخوف . ألم تدرك ذلك ؟
- آرى : بلى .
- زوى : خفت الظلام منذ تلك المرة التى خرجت فيها مع أبينا .
- آرى : أى مرة ؟ لا أذكر . لم تحدثينى من قبل عن ذلك .

زوى : أوه ، مضى على ذلك زمن طويل ، طويل جداً ، ربما سنوات وسنوات . كان ذلك فى الأيام الأولى لمجيئنا إلى هنا . تركناك أنت نائما . خرجنا سويا . كانت الريح تعصف ، والمطر ينهمر . كنا نسير ونسير ، دون أن أعرف إلى أين نحن ذاهبان . كل الشوارع بدت لى متشابهة . لم أكن أميز شيئا . كان الظلام كثيفا ، ما من ضوء فى أى مكان ، والبيوت كلها موصدة الأبواب ، والنوافذ مغلقة دون بصيص من نور (تصدر منها تهيدة ، كما لو كانت تلتقط أنفاسها . ثم تواصل الحديث) كان أبى يبحث عن شخص ما ، هذا ما فهمت . طرقتنا أبواب أربعة أو خمسة منازل ، لكن لم يفتح لنا أحد . فى النهاية ، وصلنا إلى بيت مطفأ الأنوار ، لم تكن بعده بيوت أخرى ولا أى شىء على الإطلاق . وقفنا . قال الأب «هنا ، سنتظره» ثم خيل لى أن المكان زاد إظلاما . ظلام دامس ، بحثت عن يده ، وجدتها وأمسكتها بشدة . لأننى كنت خائفة للغاية ، وفجأة (تمسك رقبتي) وفجأة ، خطر لى خاطر مخيف . ماذا لو لم تكن اليد التى أمسكها يد أبى . . بل . . يد شخص آخر ، مجهول ، وازداد خوفى كثيرا ، ثم رحت أرتعد خشية أن يضىء نور . وكان المطر ينهمر ، ينهمر . . (تخفى وجهها بين راحتيها) .

(برهة صمت قصيرة)

- آرى : لم تحدثينى عن هذا الأمر قط .
- زوى : (ترفع يديها عن وجهها) كلا .
- آرى : (يخطو بضع خطوات) إذن ، يجب أن اخبرك أنتى بدورى لن أفعل ما قلته .
- زوى : لن تنزل إلى الميناء فى طلب السفن ؟
- آرى : كلا .
- زوى : والمعركة البحرية ؟
- آرى : كلا . ولا حتى إلى السينما سأذهب . أتعرفين لماذا ؟
- لأنتى فى الليلة ذاتها التى فكرت فى هذه الأمور أول مرة رأيت حلما .
- زوى : حلم ؟ أنا لا أرى أحلاما أبدا ، لم أر حلما واحدا قط .
- آرى : رأيت أنتى أخذت المفتاح . (يشير لها إلى المفتاح) وفتحت الباب . الباب الخارجى . (أبروى حلمه بالتفصيل ويأشرات من يده) ولكن بعد خروجى من البيت لم أجد رصيفا ولا ميدانا ، بل وجدت غرفة فسيحة مفروشة .
- زوى : ما الأثاث الذى كان بها ؟
- آرى : كان بها مقصيف ضخمة ، عال ، يصل ارتفاعه إلى السقف . وفى الوسط منضدة ضيقة مستطيلة ، منضدة كبيرة جدا واثنا عشر كرسيًا مرصوفة حولها . على المنضدة غطاء نيزدى اللون ، والكراسى أيضا كسيت بأغطية من ذات اللون تغطيها حتى الأرض . كما كانت هناك نافذة كبيرة تكاد تشغل الحائط بأكمله ، ويتدلى

أمامها ستار كبير نبيذى اللون . وفى أغوار الغرفة باب
ذو مفتاح . ودون أن أعى كيف حدث ذلك ، فستحت
هذا الباب و . . .

زوى : وبعد ؟

آرى : وجدت نفسى فى غرفة أخرى تشبه الغرفة السابقة . وإن
كانت الغرفة الجديدة أوسع من الأخرى بكثير ، وليس
من بين أثاثها المقصف أما الحائط فكان عارياً ومدهوناً
بلون أبيض .

زوى : تعنى أن المنضلة الكبيرة والكراسى هى التى كانت
موجودة فحسب .

آرى : أجل ، والستار الكبير النبيذى اللون الذى كان يغطى
النافذة كلها . وقبلتى هناك كان أيضاً باب تدلى من
قفله مفتاح .

زوى : وهل فتحت بدوره ؟

آرى : فتحت ، فوجدت غرفة ثالثة ، أوسع بكثير جداً من
الغرفتين السابقتين . وليس بها سوى المنضدة فى الوسط .
وفى هذه المرة ، لم يكن للكراسى ذات الأغطية السنيذية
وجود . كان الستار النبيذى الذى يغطى النافذة كلها فى
مواجهتى وأيضاً فى الأغوار الباب ، وقد دلى من قفله
المفتاح . فتحت ، كانت الغرفة الآن خالية ، خالية تماماً ،
وأوسع من الميدان مرتين . ماذا أقول ؟ بل ثلاث أو
خمس مرات . لم يكن هناك سوى الستار المدلى على

النافذة والباب ذو المفتاح فى عمق الغرفة - الباب ،
اتفهمين ؟

زوى : (منزعجة خائفة) كلا . . .

آرى : الا تفهمين ؟ فى الغرفة التالية سوف لا يكون للستار
بدوره وجود . ستكون النافذة عارية ، ومن خلفها
سوف . . . صرخت ، واستيقظت من نومى . تفهمين
الآن ؟

زوى : كلا ، لم أفهم .

آرى : (يسع وجهه بحركة لا إرادية) أجل . ربما كنت على حق .
ليس هناك ما يرجى الفهم . . كان حلما غيبيا . أجل ،
الآن وأنا احكيه لك اتبين ذلك . كان مضحكا .

زوى : ولا أنت حدثتى عن ذلك قط .

آرى : إننا لا نتبادل الحديث كثيرا ، هيه ؟ ومع ذلك ليس لكل
منا سوى الآخر . لا وجود لغيرنا نحن الاثنين .

زوى : لسنا اثنين فحسب . هناك ابونا أيضا . نحن ثلاثة فى
هذا البيت . (أخذت تحصى العقد فى مغزولها الصوفى) واحد ،
اثنين ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة . . (تواصل العد وهى تتمتم) .

آرى : أجل ، ولكنه متغيب طوال النهار ، وعندما يعود يذهب
توا لينام . فى بعض الأحيان يخيل لى أننا نبدو له
غريبين عنه ، وأننا عبء عليه . ما رأيك ؟

زوى : خمس عشرة ، ست عشرة ، سبع عشرة ، ثماني
عشرة . . .

آرى : ما رأيك ؟ إنى أسألك .
زوى : سبع وعشرين ، ثمانى وعشرين - دعنى الآن - إنى
مستغرقة فى العد ، ألا ترى ؟
آرى : كل ليلة ، أذهب إلى غرفته ، وأنظر إليه ، وهو يتأهب
للرقاد فى الفراش . أعرف أن ذلك يضايقه . آراه يحاول
أن يسارع بالرقاد ، أما أنا فأتعمد ، أن أجلس وأتابعه
وهو يخلع مئثرته ، وقميصه وسرواله . يطويها بعناية ،
ثم يرتدى بيجامته . يستلقى على السرير ، ويجذب
الغطاء حتى رقبته . أتابع كل شئ ، ولا أدع شيئاً
يفوتنى . ثم يقول لى «اطفىء النور» فأطفئه وأخرج .
هذا كل ما فى الأمر . إنه لا يتحدث إلى أبدا . لا يقول
لى شيئاً . ذات مرة وهو غائب ، استبدت بى فكرة
ملحة ! شرعت أفتش غرفته . قلبتها رأساً على عقب .
الأدراج ، الدواليب ، الكومودينو ، المراتب ، الوسائد ،
قلبت كل جيبه ، حتى داخل حذائيه وخفيه المتراخين
رحت أنقب ، لكننى لم أجد شيئاً . وهل كنت أعرف
عما أبحث ؟ صورة فوتوغرافية فحسب ، احتفظت بها .
لم أعدها إلى مكانها . لابد أنها صورة قديمة ؛ لأنها
مصفرة الأطراف ، ويبدو فيها أبونا فى بواكير شبابه .
بلحية كثيفة جالسا على صخرة ، ينظر إلى البحر .
(برمة صمت) خبرينى . ألم يخطر ببالك أنه قد لا يكون
أبانا ، هيه ! إنى أسألك . لما لا تحيين ؟

(تواصل زوى العد الآن فى صمت وتتمتم شفتاها بذلك دون صوت)

آرى : هل خطرت ببالك هذه الفكرة ؟ أنا خطرت لى ، مرات عديدة ! تكلمى ، قولى شيئا . لماذا لا تتكلمين ؟ إننى أسألك (يصب فى أذنها كلامه . تحاول زوى أن تتجنبه وقد ضايقها صراخه) هيه ، إذن ، اتعرفين ما خطر ببالى أيضا ؟ حتى أنت لست أختى . ولماذا تكونين أختى ؟ لا يشبه أحدنا الآخر فى شيء . هل تريدان أن أحضر المرأة ونطل فيها معا؟ وفضلا عن ذلك ، انك تكبريتنى بست سنوات ، وكان لابد أن أذكرك منذ زمن سابق بكثير على رمتنا الحاضر ، لأن الصغار يذكرون الكبار ، فلئننى لا أذكرك مع ذلك فى ماضى على الإطلاق . لا أذكرك وأنت فى العاشرة من عمرك ولا فى الثانية عشرة ، ولا فى الثامنة عشرة . لا أذكرك فى حياتى إلا بعد ذلك ، بعد ذلك بكثير . هل تسمعين ما أقول لك ؟ (يصيح) ألا تحبين ؟ .. تكلمى ، تكلمى ، بالله تكلمى ! سيفقدنى عقلى هذا الصمت للخيم هنا . (يصيح بشدة ، مثل طرزان) أوآ .. (وقد وضع كفيه حول فمه مثل متوحش الغابة . ثم يقفز فجأة نحو زوى ، ويمسك رأسها) دعينى آرى ، هل كنت بتتا طيبة اليوم ؟ هل غسلت أذنيك ؟

زوى : (نجاهد للافلات من بين يديه) اتركنى !

آرى : دعينى آرى أظافرك .

زوى : احترس ! (يتعرض الثوب الذى تغزله للإلانات من يديها)

آرى : حسنا ، خبرينى عما إذا كنت قد ذاكرت الواجب الذى
كلفتك به . . أيتها الكسول . فلنر ماذا حفظت من
دروس الجغرافيا . كم دولة فى أمريكا الجنوبية ؟ صفر
وفى آسيا ؟ صفر . ماذا تتج شيلى ؟ . . اجيبى . .
صفر ، صفر ، صفر . فلنتقل إلى مادة التاريخ . فى
أى السنوات عاش نابليون الأكبر ، متى عاش رويسير؟
كم كان عدد اللودفيكين فى فرنسا ؟ من كان أول ملوك
اليونان ؟ من قتل ابراهام لينكولن ؟ صفر ، صفر ،
صفر . فلنتقل إلى الرياضيات . . (ثناء ذلك كله ، يدفع
بكرسيها ، فيدورها دورات متلاحقة عنيفة) ما هو الجذر التربيعى
لثمانية ؟ صفر . قولى بسرعة كم حاصل ضرب ١٢٧
فى ٢١٣ بسرعة ، الازلت لا تعرفين النتيجة ؟ صفر ،
صفر ، صفر . .

زوى : (تنفجر وقد املت زمامها) اتركنى ، إذن ، اتركنى ! رأسى ،
رأسى الصغير يؤلمنى . . (تدفع آرى دفعة قوية ، فيقع على الأرض ،
ثم يتنهض واقفاً) .

آرى : سأتركك ، إذا وعدتني بالوقوف معى لمشاهدة
الاستعراض .

زوى : (باصرار) كلا ! (تعود إلى الانشغال بما تفعله) .

آرى : بعد قليل سيبدأ . أنت الخاسرة . (يكون قد ذهب إلى النافلة)
ياه ، ياه . كم من البشر تجمعوا ! إنهم آتون ، آتون ،
ولا آخر لهم . يتجمعون وراء الحبال ويتظرون . أعتقد

أن فرق الجيش والمدارس ستتصل معا . سيفقدون من كل
الأنحاء . سيمتلئ الميدان . إذن ، هل ستقفين هنا
تتفرجين معي ؟

زوى : (بلهجة قاطعة) لا تعجبني الاستعراضات .

آرى : كم أنت عنيدة . أما أنا فتعجبني . اعتقد أنها الشيء
الوحيد الذى يعجبني .

زوى : تدفعك الجماهير وتدوسك . اتذكر تلك المرة التى كادت
الجماهير تدوسنى . هل تذكر ذلك ؟

آرى : لم يكن ذلك فى استعراض ، أيتها الحمقاء ! بل فى
غارة . وكنا لجرى كى ندخل المخابئ . ثم هناك شيء
آخر . كفى عن سؤالى فى كل وقت عما إذا كنت أذكر
هذا ، أو أذكر ذاك ، أنى لا أذكر شيئا . كنت صغيرا
جدا . أخ ، فليبدأ الاستعراض فى النهاية ! فى المدرسة
كان يوم الاستعراض أحلى أيامى . انتظرت بفارغ صبر
أن أكبر وأصبح حامل علم . كنت أدعو بداخلى أن
تطول قامتى ، وتصل إلى متر وثمانين ، حتى يقبلونى
حاملا للعلم ، لكننى ظللت قصيرا . يا للخسارة ،
أليس كذلك ؟ هيه . . انصتى ، انصتى إلى الطبول
(ينظر) أنهم لازالوا بعيدين . لو كنت ذهبت إلى المدرسة
الثانوية . ربما جعلوا منى قارع طبول . من يدرى . .
لا يحتاج قارع الطبول قامة طويلة (يدق يديه بإيقاع على المنضدة
ويصحبه بصوته) بارابا بام ، باراربابام ، باراربابام . .

سأريك شيئاً (يجرى إلى سريره . يتزع اغطيته ويركع ، يجذب من تحته صندوقاً ، يخرج منه ضمن أشياء أخرى قبعة مدرسية ، ويوقار يرتديه) قبعة !
زوى : أين وجدتها ؟

آرى : احتفظ بها منذ عدة سنين . ارتديها فى الأعياد القومية .

زوى : لم أرها من قبل .

آرى : سبق أن رأيتها ، لكنك لا تذكرين . إنك لا تذكرين

شيئاً على الإطلاق . تذكرين فحسب ما يخصك أنت .
(يدور مؤدياً حركة صالزى الطبول) بارابابام ، بارابابام ،
بارابابام . سرقها عندما كنت فى المدرسة الابتدائية من
أحد الكبار . . . باباربابام . . . زوى ، هل أبوح لك بسر ؟
(يقترّب منها . ويكاد يركع) لو كنت تريدان ، لو كنت تكثران
بى حتى قليلاً ، لأمكثنى أن أبوح لك بكل أسرارى .
اسمعى إذن ، ذاك الذى سرقته منه القبعة ، يقيم هنا
قريباً منا . رأيته أكثر من مرة ماراً بالميدان . أعنى . .
أننى أكاد أكون متأكداً من أنه هو . . قنّابنى الرغبة
أحياناً أن أفتح النافذة وأناديه ، لكننى لا أعرف اسمه .
إننى أسميه صديقى ، هكذا أسميه ، لأننى لا أعرف
اسمه الحقيقى . لاشك أنه لن يعنى حتى بالالتفات إلى ،
فهو أكبر منى بكثير ، ويسبقنى فى العمر بسنوات عديدة ،
ربما كان فى الثامنة والعشرين الآن . وهو طويل القامة ،
مائة وثمانون ، ربما مائة وخمسة وثمانون أيضاً ،
سأريك أياه يوماً من الأيام . سيعجبك . إنى متأكد من ذلك .

زوى : ما من رجل يعجبني .
آرى : وستروقين له أنت أيضا . أتعرفين ، لست دميمة على الإطلاق . عتقك جميل ، لكنك لا تكشفين عنه أبدا .
لو إنك ترفعين شعرك إلى أعلى ، سيكون ذلك أفضل .
أتريدين أن نجرب تسريحة شعر أخرى ؟ سوف أمشط شعرك .

زوى : لا تنهز ، وتعبث بشعري . .
آرى : لك عينان جميلتان أيضا ، وجبين جميل . إذن ، هل تريدان أن أريك إياه مرة ؟
زوى : كلا .

آرى : (بنضب) يالك من عنيده . عنيده وشريرة ، وعدية الإحساس وصماء . أجل صماء . أتحدث إليك فلا تجيبين . تشبهين أباك كل الشبه . أفعل كل ما فى وسعى كي أرضيكما . صنعت لك حتى الآن أربع سلال كي تضعي فيها مغزولاتك الصوفية ، وما من واحد منها أعجبك . هل تعرفين كم هو صعب أن تجدلى سلالا ؟ أنها تدمى أصابعي . ومن أبى أعانى ذات العناء أيضا .
مهما فعلت لا يعيرنى اهتماما . هل تريدان أن تعرفي ماذا حدث هذا الصباح ؟ دخلت غرفته . وقفت كعادتي وراءه ، ومضيت أرقبه وهو يتأهب للخروج . لم يكلمنى ، تظاهرت بأننى لم أكن موجودا . وفى النهاية، قلت له «سوف يجرى استعراض اليوم» لم ينبس بكلمة . اخذ

صدريته الصوفية الصفراء وارتداها . قلت له بصوت
أعلى «سيجري هنا فى الميدان» (صمت . ثم بصوت عال)
«أحضروا التمثال!» ارتدى سترة . بقيت خطوتان
ويخرج من الباب ، وعندئذ انتابتنى دون أن أدري
السبب نوبة من البكاء ، ورحت أولول ، جرجرت
نفسى على الأرض . صمت «سيجري استعراض»
صحت من جديد «سيجري استعراض» . . . ومضيت
أزحف وأزحف نحوه ، حتى سمعت الباب يغلق ،
وخطواته تنزل السلم . .

زوى : يا للعسار ، أن ييكى رجل فى سنك . ويزحف على
الأرض . . إنك تملأنى تقززا .

أرى : أعرف ذلك . أنى أثير تقزرك . . أنا مثير للتقزز . .
لماذا أنا دميم ، هيه ؟ (يتناول مرآة) أنا قصير القامة ،
وأحمق . . غليظ الشفتين . . (يمسك بهما ، ويشدهما على نحو
مضحك) غليظ الأنف . . (يأتى حركات بقسمات وجهه) ضيق
العينين ، مسطح الشعر . .

(ينما يمضى فى التلاعب بقسمات وجهه أمام المرآة ، تعد نفقات مقطوعة
موسيقية عسكرية (من أغوار المسرح وتشرح زوى فى الغناء) .

زوى : من يدخل المغارة

ويتزل البيارة

ويسأل عجوزا

تجمع أعشاب البرارى .

(تشتد نغمات الموسيقى ، فيرشف آرى سمعه)

من يشد الترحال إلى ديار الغربه

يحضر لنا الوردة الصغيرة

(يضيع البيت الأخير تحت وطأة الموسيقى القوية ، ويكون آرى قد اندفع إلى

النافذة)

آرى :

(فرحا ومتحمسا) زوى ، جاءوا ! هاهم ! امتلأ الميدان ،

ألم أقل لك ؟ سرى كل شيء من هنا . المدارس قادمة !

المدارس ! يرتدى التلاميذ قمصانا صفراء . الفتيان فى

المقدمة والفتيات من خلفهم . . واحد ، اثنين ، ثلاثة ،

أربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة ، ثمانية ، عشرة ، اثنتى

عشرة ! اثنتى عشرة يكونون تشكيلات من اثنتى عشر

فردا . والجيش ! (يقفز ، يرقص عند النافذة ، ينظر فى كل الاتجاهات)

يا لمظاهر الأبهة التى يبدو عليها ! لم أر حللا جميلة

مثل هذه قط ! . . . خضراء ، برتقالية ، سوداء ،

زرقاء . . ها هى فرقة الحرس تأتى الآن . لاشك أنها

فرقة الحرس ، يمتطى أفرادها جميعا جيادا سوداء ،

وتلمع خوذاتهم فى الشمس ، فتبهر العيون . وفى

المقدمة جواد أبيض . يمسك راكبه سيفاً مشرعا عاليا ،

سيفا ضخما بمقبض أصفر ، أوه ، يا إلهى ، هل تبصر

عيناي جيدا ، أنه صديقى ! أجل ، إنه هو ! لا يرتدى

شيئا على رأسه وقد طال شعره ، وتدلّى على قفاه .

هذا ما جعلنى لا اتعرف عليه عند الوهلة الأولى .

أما الآن ، وقد مضى يتقدم موليا لى وجهه ، فإنى
أتعرف عليه . أجل ، أنه هو يا زوى .. يا اختى
الصغيرة الطيبة تعالى ، انظرى إليه ، أتوسل إليك .
(يفتح النافذة) هيه ، أيها الصديق ! (يلوح يديه) .

(يتدقق الصخب إلى داخل الغرفة ، ويملأها)

زوى : (تصيح) أغلق النافذة ! تعرف أن الضجيج يضايقنى .

(لا يسمعها آرى . يتابع دقات الطبول)

آرى : تارابابام ، تارابابام ...

زوى : (تسد أذنيها) أغلقها ! أغلقها .

(سكون مفاجئ . بينما يواصل آرى تردد بارابابام فيتردى صوته فى الفراغ .

بصمت بعد ذلك . تنزل زوى يديها من على أذنيها وتستدير دهشة)

زوى : ما عاد يسمع شيء . توقفوا عن العزف ؟

آرى : أجل .

زوى : ماذا يفعلون الآن ؟

آرى : تسمروا فجأة فى أماكنهم .

زوى : لماذا ؟

آرى : يبدو أن ثمة ما سيحدث . ربما سيزيحون الستار عن

التمثال . حفل إراحة الستار الذى حدثك عنه . يطوى

الناس مظلاتهم . يطوونها جميعا .

زوى : لم تعد الشمس طالعة ؟

آرى : بل هى طالعة . ولكن يبدو أنهم يريدون أن يدققوا

النظر . انتظرى .

(يتحرك بضع خطوات إلى اليمين ملتصقا بالحائط . ويطل يسارا) شيء ما
يجيء من ناحية الكنيسة ، لأن الجميع يتطلعون
ويحاولون المضي إلى هناك .. آخ ، لو كان بإمكانى أن
أرى . لابد أن الأمر على غاية من الأهمية ، لأنهم
يتدافعون ، ويتعجل كل منهم أن يرى قبل الآخر . مر
واحد من تحت الحبال . وآخر ، وآخر .. هاه !
يردونهم من حيث أتوا ، هؤلاء الأذكياء يفرضون عليهم
أن يقفوا مع الآخرين . الكشفة - لاشك أنهم كشفة -
يدفعون بهم إلى الوراء - لم أكن قد تنبعت إلى
وجودهم من قبل (بفرحة منبهة) زوى ! إنهم فتيان الكشفة
بعضيهم وسراويلهم القصيرة . . .

زوى : كشفة مثل أولئك الذين يخرجون يوم الجمعة الحزينة ؟
آرى : مثلهم تماما !

زوى : هل يمك كل منهم بيد الآخر فى شكل سلسلة ممتدة ؟
آرى : بالضبط. هذا ما يفعلون ، كى يمنعوا الناس من اختراق
الحبال . لا يتحرك أحد من جديد . إنهم يحملقون
فحسب ، يحملقون .. (بانفعال شديد) ولكن بالله ماذا
يرقبون . (وقد استبدت به الدهشة) يا إلهى ! كلاب .

زوى : كلاب ؟

آرى : أجل .. ما الذى جاءوا بالكلاب من أجله فى
الاستعراض ؟ يتزايد عددها بلا نهاية . بلغت المائة على
الأقل . يجرونها إلى وسط الميدان . ويرصونها

متلاصقة ، بعضها إلى جوار بعض .. لم أر من قبل شيئاً من هذا القليل قط! (إلى اخته) بالله تعالى وانظري .. دعى شغل الأبرة ولو مرة: وتعالى شاهدي بنفسك شيئاً .. إنها تلهث ، وقد تدلت الستها خارج أشداقها. (يقلد كلباً يلهث) أتعرفين ماذا تشبه الكلاب وهي متلاصقة هكذا؟ كرة رقطاء ضخمة . مازال الناس يتطلعون نحو الكنيسة . ترى ما الذى سيين؟ .. انتظري ...

زوى : ما الخطب ؟ ماذا ترى ؟

آرى : لا أتبين المشهد جيداً .. إنهم يحضرون شيئاً من جديد . يشبه عربة كارو (غير واثق مما يقول) عربة كارو مسورة بقضبان خشبية تحتل جوانبها الأربعة وسقفها . بدا طرف من العربة فحسب ، ثم أوقفوها . (يسمع وقع حوافر الجياد مكتوم)

زوى : ماذا كان هذا ؟

آرى : فرقة الحرس . يتقدمون بجيادهم نحو هناك . هذا بالطبع إذا كانوا الحراس فعلاً .. ماعدت متأكداً من شيء . لا أميز ستراتهم .. (تعود حوافر الجياد إلى إيقاعاتها)

زوى : (بصوت تشويه بعض الغرابة) قل ، ما الذى يجرى الآن؟

آرى : انتظري .. من جديد يتدافع هؤلاء الناس ويريدون أن يتسللوا من تحت الحبال .. مهلاً - مهلاً .. هيه ، أنت ، يا سيد ، يا من تلبس سترة من جلد الماعز ،

أين تذهب . ارجع ، ارجع . وأنت أيتها المدينة التي
تريدين أن تقفى فى الصدارة . وأنت ، وأنت أيضا ،
هيا . بسرعة عودا إلى مكانكما . . هاه! إن فتیان
الكشافة يعرفون عملهم . بدأت عربة الكارو تتدحرج .
على عجالاتها ، وتتقدم ببطء . ظهرت كاملة - لا أرى
جيادا - يعوقنى أولئك الذين على الجياد عن الرؤية .
إنها ليست عربة كارو ! . . (يستدير نحو أخته وقد استبدت به
الدمعة) زوى ! أنه قفص ، قفص مستطيل ضيق مثبت
على عجل ، ولا بد أن ما بداخله حيوانات ، لأنها
تتقافز وتتشبث بالقضبان . . (ثور إعصابه) مرة أخرى
هؤلاء الخيالة ! أنها ، أنها ، بشرا ! زوى ! أنهم
يحملون بشرا فى القفص!

زوى : (تسلك إلى النافذة . تطل بدورها إلى الخارج الآن) يا للجماهير
الغفيرة التى احتشدت !

آرى : هناك ! هناك حيث أشير إليك . .

زوى : يتوافد الناس إلى الميدان . . الكلاب . . أرنى الكلاب .

آرى : رأيت القفص؟

زوى : أين ؟ أين ؟ لا أراه . .

آرى : هناك ، هناك ، وسط الجياد .

زوى : جياد سوداء ! هل أحصيتها ؟

آرى : (غاضبا) شاهدى ما أريك . ما الذى تريته وسط الجياد؟

زوى : قفصا . وبداخله بشر .

- آرى : هل رأيت مثل هذا قط ؟
- زوى : أنهم عراة .. الكلاب .. أريد أن أرى الكلاب ..
- آرى : أناس مسنون .
- زوى : بشعور مسترسلة .
- آرى : يتسلقون القضبان .
- زوى : يحاولون القفز خارجه .
- آرى : هزيلون مثل هياكل عظمية .
- زوى : إنهم مجانين ، مجانين . يجلبون مجانين إلى الميدان .
- آرى : حذار .. حذار .. كفى عن المشاهدة !
- (نجاهد زوى للافلات منه)
- زوى : دعنى . أريد أن أرى (بمعها آرى) ما الخطب ؟ ما الخطب ؟ .
- آرى : هذا فظيخ ! .. ألم تلاحظى شيئاً ؟
- زوى : كلا ! خبرنى سريعاً ، خبرنى ..
- آرى : أولئك داخل القفص كلهم مشوهون ، مبتورة أطرافهم ، مقطعة أعضاؤهم البعض بلا ساقين ، والبعض بلا ذراعين .. وواحد بلا رأس ، يا إلهى ! لا أخطيء ، إنه بلا رأس .. ومع ذلك فإن رقبته تتلوى ..
- زوى : (بخوف طاغ) اغلق النافذة ، بسرعة ، أغلقها !
- آرى : ليسوا كلهم شيوخاً ، هناك أطفال بينهم .. ها هو من يحمل طفلاً ، ويرفعه عالياً .. آه ! ...
- زوى : ماذا ؟ ماذا جرى ؟
- آرى : وجهه مشوه ، محروق ...

(بتعالى ضجيج الجماهير)

زوى : (نصم اذنيها) أغلق النافذة . . أغلقها ! . .
(لا يحرك آرى ساكتا . يطبق السكون . ثم لا يلبث سريعا أن يعلو الصخب
هادرا) .

زوى : (بلهجة بطيئة ، خائفة ، ولكن لا تخلو من فضول سقيم) ماذا كان هذا
الصخب ؟

آرى : هجم الناس ومزقوا الحبال ، وتدفقوا على الميدان . .
لكنهم لا يتركون لشأنهم . . إنهم يدفعون إلى الوراء ،
ويضربون ، يضربهم الكشفة بالحبال الممزقة ، كما
ترجل الخيالة من على جيادهم ، وراحوا يهزون عليهم
بهرواتهم . يمسك أحدهم بامرأة من شعرها . يلقي بها
أرضا ، ويركلها في وجهها . . (يكاد يبكى) .

زوى : (بنخوف طاع) ابتعد عن النافذة . . ابتعد بسرعة . . (برمة
صمت) قل ، ماذا ترى؟

آرى : (بغثوق نحيبه ، ويقول بصوت فاتر) عاد الهدوء من جديد . عاد
الجميع إلى أماكنهم . خلا الميدان في وسطه . لم يبق
هناك سوى الكلاب والتمثال . وحتى أولئك الذين بداخل
القفص لا يحركون ساكتا . . صد . . صديقى . . ذلك . .
ذلك الذى قلت لك أنه ترك شعره مرسلا ، يقترب من
التمثال . يصفق يديه . . يلتفت الجميع من جديد نحو
الكنيسة . يحضرون شخصا . يجرونه من يديه ، لأنه
غير قادر على السير بمفرده ، فهو لا يرى (يعاود الاندماج في

الوصف ، ويمتلئ صوته بالمماناة) وجهة مغطى بقطعة من
القماش ، ولهذا فإنهم يقودونه ، يتعثر فى كل خطوة ،
ويصوب الجميع أنظارهم إليه .
(يطلق صرخة)

- زوى : ما الخطب ؟ ماذا رأيت ؟
آرى : إنى خائف ..
زوى : (ترنعد بصوت خافت) مم تخاف ؟
آرى : هذا الرجل ..
زوى : أفصح ، أفصح ..
آرى : يرتدى سترة زرقاء ومن تحتها صدرية صوفية صفراء ..
(تسلق زوى)
زوى : إفتح النافذة . أريد أن أتبين الأمر ..
آرى : انتظرى ..
(يتبادلان النظرات)
زوى : (تسأله بصوت خافت) أهو أبونا ؟
آرى : وما شأنه بما يجرى فى الميدان ؟
زوى : لم يخبرنا بأنه سيحضر الاستعراض .
(برهة صمت . يعود آرى بخطوات بطيئة إلى النافذة)
آرى : الآن ، يزيحون النقاب عن وجهه !
(صمت طويل ، بينما يمضيان فى التطلع إلى الخارج معا)
زوى : ليس هو ...
آرى : إنه غريب ! التبس علينا الأمر بسبب ثيابه .

- زوى : هل تعرفه ؟
- آرى : كلا . أراه لأول مرة .
- زوى : يالشحوب البادى عليه . وجهه أشد بياضا من قطعة القماش التى كانت تغطيه .
- آرى : انظر ! إنه مغلول اليدين . .
- زوى : والقدمين أيضا !
- آرى : هذا ما يجعله يتخبط فى مشيته هكذا . . ماذا سيفعلون به ؟
- زوى : ها هم يزيحون النقاب عن التمثال ! يزيحون عنه النقاب !
- آرى : ليس تمثالا !
- زوى : كلا ، ليس تمثالا . . ما هو ؟ خبرنى ما هو ؟
- آرى : إنها مشنقة . . كلا ، ليست مشنقة . أنها مقصلة . مثل تلك التى عرفتھا الثورة الفرنسية . أتذكرين ذلك فى كتاب التاريخ . . (ينزل يتزع كتابا ، ويقلب صفحاته بحثا عن الصورة ، كى يتأكد مما يقول)
- زوى : آرى . هذا ، هذا الرجل ذو الشعر المرسل ، يمسك به . ويضعه هناك . هناك ، يا آرى ! سوف يعدمونه . . جعلوه يركع حتى يقطعوا رأسه . . (يهجم آرى على النافذة) ولا يقول الناس شيئا . . افتح النافذة ، صبح ، أفعل شيئا . . .
- (يفتح آرى النافذة ، تائها ، يتدفق الصخب إلى الغرفة)

- آرى : هيه ، أنتم يا من هناك ! .. آيه ! ..
- زوى : لا يسمعون !
- آرى : ينصرفون .. يتركون الميدان ويختبئون . ألا ترين ؟
- يطاردونهم على الجياد ، يطلقون عليهم النار .. هيه ،
- لا تنصرفوا ! سوف يقتلونه !
- (بكاد يركى ، بينما يسمع صخب ووقع سنابك الجياد)
- آرى : وجهه ملطخ بالدماء !
- زوى : آرى ، الكلاب ! إنهم يطلقون عليه الكلاب ، الكلاب
- كلها انقضت عليه ، تمزقه أربا أربا ...
- آرى : ماعدت آرى شيئا .. لا أميز الأشياء .
- زوى : إنها تفترسه !
- آرى : ماعدت آرى شيئا . لا أميز الأشياء .
- زوى : آرى ، ابتعد ! ابتعد من النافذة .. ذلك الرجل
- ذو الشعر المرسل ينظر إلينا ..
- آرى : أجل . ينظر إلينا . وأنا ...
- زوى : يشير للآخرين .. سيأتون إلى هنا ، سيأتون ! ينظر
- الآخرون إلينا بدورهم ! إنهم قادمون .. آرى ، إنهم
- قادمون .. لا تصعدوا ، لا ... (تراجع) . (آرى ، كما لو
- كان يفيق إلى نفسه ، ينظر فيما حوله)
- زوى : يصعدون السلم .. سيحطمون الباب .. (تراجع) أنهم
- قادمون .. قادمون .. قادمون ...

آرى: (يهجم على الباب . يستند إليها ظهره ، يصرخ مولولا) كلا ، كلا ،
كلا !

زوى : (ماضبة فى التراجع كما لو كانت دمية آلية ، مادة ذراعيها أمامها كما لو كانت
بذلك تحمي نفسها) .

زوى : كلا ، كلا ، كلا !

(تعلو موسيقات عسكرية متصصرة على صخب الجموع ، إلى أن تغطيها تماما .
ولحظة أن تصل الموسيقى إلى أعلى قممها تنقطع فجأة . ويعم الظلام) .

ستار

انجلوس تيرزاكيس

السيد المطاع

الشخصيات

- لامبروس بيليكاس
 - مارينا
 - مانوس
 - زمارو
 - صوت براكاس
-

* في ضيعة بيليكاس
* الوقت الحاضر

(غرفة نوم. رحيبة ، ثمينة الأثاث . يبدو عليها ذلك الرخاء الذى تميزت به بيوت أثرياء الأقاليم فيما مضى . السرير إلى اليمين حريص ومزدوج . إلى اليسار المدفأة ثم باب وفى الأغوار نافذة حريضة وإلى جوارها باب شرقية . الضلفتان الخشبيتان مغلقتان . الوقت ليل . ومن فتحات النافذة وباب الشرفة يتسلسل ضوء القمر . المسرح معتم وخال .

تمضى بضعة لحظات . ثم يسمع قفل الباب الصدى . يثن بصعوبة . يفتح الباب ببطء وتردد، ومع حركة الانفتاح يسقط على خشبة المسرح ضوء مصباح أصفر. نرى الآن غرفة ظلت مغلقة منذ أمد ، ربما سنوات عديدة، التراب يغطى الأرجاء والساعة الموضوعة على منضدة صغيرة قد توقفت عقاربها . كل ذلك يظهر أن الغرفة قد ظلت مهجورة . ومع ذلك فكل شيء على غاية من النظام . كل قطعة من الأثاث فى مكانها والسرير مرتب النطاء .

تدخل زمارو ، الخادمة المعجوز ، تمسكة بالمصباح عالياً ، ويدخل معها مانوس وهو شاب فى العشرين من عمره تقريباً ، هزيل وتبدو عليه دلائل المرض . يسيران على أطراف أصابعهما وقد كتما أنفاسهما . يتوقفان ما أن يخطوا إلى الداخل بضعة خطوات .)

مانوس : (هامساً ، وقد تغشاه خوف مبهم وانتابه حزن ورعشة) إذن هي هنا .

زمارو : (بذات اللهجة تقريباً) هي هنا . (برهة صمت)

مانوس : (وقد جال بصره فيما حوله) أجل . . . أذكره . . . السرير . .

الدولاب . . . الساعة . . . متوقفة . أليس كذلك ؟

زمارو : متوقفه . لم يدخل أحد هنا منذ أحد عشر عاماً .

- مانوس : متوقفة . وعلى أى وقت ؟ ... الثانية عشرة الا ربعا
(يزداد صوته انخفاضا ، ويعناء) أكان هذا هو الوقت ؟
- زمارو : أى وقت ؟
- مانوس : عندما ... لفظت أنفاسها .
- زمارو : كلا . كان الوقت يقترب من الحادية عشرة . لكن
الساعة مضت تعمل بعد ذلك .
- مانوس : هاهى .. هاهى .. المرأة ! إنى اذكرها واقفة أمامها ،
تمشط شعرها . أكانت فارعة القامة ، أيه ؟
- زمارو : هم ... كلا ، متوسطة .
- مانوس : أذكرها طويلة . كنت صغيرا . لكن .. كان لها ذراعان
أبيضان ، ناصعا البياض ، وشعرها أسود ، حالك
السواد .
- زمارو : أجل ، هكذا كانت . وأنت كم تشبهها !
- مانوس : كلا ، كانت جميلة . أذكر ذلك . (برهة صمت قصيرة) آه ،
هاهى الشرفة ! منها كنت أشاهد الحقول . كانت
بعد أن تفرغ من لباسى ثيابى ، تطلب منى أن أخرج
إلى الشرفة حتى ترتب شعرها هى الأخرى . كنت
أجرب وأرى حبات الزيتون ، وسنابل القمح ، والجبال
البعيدة ..
- زمارو : هيه ، فلتنصرف الآن ، بسلام .
- مانوس : كنت اسمعها تغنى فى الغرفة بصوت خفيض . كانت
تغنى دائما بصوت خفيض وهى تمشط شعرها .

- زمارو : كيف تذكرها وقد مضى كل ذلك الوقت الطويل ! (بحفف دمة وهي تمضي منصرفة) .
- مانوس : (يتقدم إلى الأمام خطوة ، ويجيل يبصره حوله في نشوة روحية . يهمس بصوت خفيض يكاد لا يسمعه غيره) أماء ا
- زمارو : فلتنصرف الآن . ضوء الصباح يبين من ثنايا خشب النافذة ، مهما كان خفيضا . ولورأنا السيد . . .
- مانوس : (الذي لم يسمع ما قبل . بعاطفة متاجبة) تعالى ، نفتح باب الشرفة يارماروا
- زمارو : (وقد استبد بها الخوف) باب الشرفة؟! أتمزح يا مهجة قلبي؟! السيد يجلس تحت في القناء مع زوجي . هل تريد أن يشنقنا ، أنا وهو؟
- مانوس : (وقد انتابه انزعاج مفاجيء) هل أبي تحت؟
- زمارو : بالطبع هو تحت ، يسوى الحساب مع زوجي . أن براكاس يقدم له تقريراً عما أصاب الزيتون من جفاف . كان المحصول هذا العام ضئيلاً ، ومنذ أيام يخشى زوجي هذه اللحظة .
- مانوس : (يرف السمع) أجل . . . أصواتهما مسموعة .
- زمارو : السيد صارم . لا يتقبل أعذارا . أنت تعرفه .
- مانوس : خفّضى ضوء المصباح أكثر من ذلك . (ينخفض بنفسه)
- زمارو : لن يجدى ذلك شيئاً . أقول لك من الأفضل أن ننصرف . هل تصورت ما الذى سيصيبني ، أنا المرأة المسكينة ، لو دار بخلد أليك أننى قد فتحت لك هذه

- الغرفة ؟ هل تعرف ماذا يعنى أحد عشر عاماً ؟ أحد عشر عاماً كاملة لم يأت بك إلى الضيعة ، بينما كنتم ذات يوم تقضون هنا الصيف كله . . . هل تعرف لماذا ؟
- مانوس : لماذا ؟
- زمارو : حتى لا تطلب أن تدخل هذه الغرفة . ها أن أقول لك السبب ، طالما أنك لا تعرفه !
- مانوس : إذن . . . كان من الأفضل أن يبيع البيت . فما الجدوى أن يكون ملكنا ولا نجىء إليه ؟
- زمارو : ليس السيد من أولئك الذين يبيعون أملاكهم . إنه يعشق ملكية الضياع .
- مانوس : ها هو صوته ، صوته يعلو .
- زمارو : يالكارثتى وخراب بيتى ! (نهم بالمضى إلى الباب)
- مانوس : انتظرى ، فقد سكت .
- زمارو : فلتنصرف ، بربك ! فلتنصرف .
- مانوس : (متوسلاً) لم العجلة . . طالما أقول لك أنه قد سكت !؟ ثم من يدرى ، لو كنت سأرى هذه الغرفة مرة أخرى ، ومتى !؟ . تعرفين أتنى جئت وليس فى قلبى طوال الطريق سوى هذه اللهفة الخفية ؟
- زمارو : أعرف ذلك . أنت إنسان مختلف عنه ، يا مهجة قلبى . أنت تشبه المرحومة .
- مانوس : تعتقدين ذلك ؟

- زمارو : أجل . أذكرها - طيب الله ثراها - واذكركم بكت عند ما قرر السيد أن يزوجني إلى ناظر عزبته براكاس .
- مانوس : لم تكن تريدته ، أنت ؟
- زمارو : كلا ، يا مهجة قلبي . لا أنكر أنه رجل شريف ، لكنه نزق شديد الغضب عنيد . كيف أعبر لك عن ذلك ؟ وهو قاس ، قلبه مثل الصخر أيضا .
- مانوس : لكن ماذا كان موقف أبي من زواجك ؟
- زمارو : قال «فلتكف الدموع» «لقد قررت» هذا ما قاله .
- مانوس : إذن . . . (يتهد) فلنتصرف . (نظرة أخيرة على ما حوله) السرير . . . الدولاب . . . الساعة . . . لن تدور الساعة أبدا . . . فلنتصرف ، ألا زال بالدولاب شيء من فساتينها ؟
- زمارو : لا بد أن به فساتينها . فلم يفتح أحد منذ ذلك الحين .
- مانوس : هذا أحسن ، أحسن . . .
- زمارو : فلنتصرف الآن . حان وقت العشاء .
- مانوس : (وقد مضى بجيل بصره فيما حوله) آخ ! لا زال الوقت مبكراً . . .
- زمارو : كلا ، كلا . أقول لك فلنتصرف . ربما أتى إليكم بعد العشاء ضيف أيضا .
- مانوس : ضيف ، هنا ، في الريف ؟
- زمارو : بجوارنا . السيدة مارينا فتحت بيتها منذ بضعة أيام . أنها على الدوام أول من يحضر إلى هنا . . .
- مانوس : مارينا . . . أجل . . . أذكر هذا الاسم . صبية حسنة مع أمها العجوز . . .

- زمارو : الأم ماتت . أما مارينا فلم تنل السنين من جمالها كثيرا .
- مانوس : كانت تنادينى أحيانا ، فى الصباح ، من شرفتها . وكانت تضحك ، دائما تضحك . لابد أنها قد تزوجت الآن ، أية ؟ ... بعد أحد عشر عاماً ! ...
- زمارو : كلا . ظلت دون زواج . هيا بنا .
- مانوس : هيا .
- لامبروس بيليكاس : (داخلا على حين غرة) لحظة واحدة !
- زمارو : يا أيها السيد المسيح ! (يكاد المصباح أن يقع من يدها)
- بيليكاس : (بابتسامة رضاء) مهلك ... انتبهى إلى المصباح !
- (صمت جليدى . بيليكاس رجل فى العقد الخامس من عمره ، شعره وخطه الشيب . يتقدم على المسرح ثم يقف دون أن يتلفت حوله . يستدير إلى ابنه الذى لا يرفع عينيه نحوه)
- زمارو : (وضعت المصباح جانبا وشبكت أصابعها) سامحنى أيها السيد !
- بيليكاس : (إلى ابنه ، مشير إليها) أناس مخلصون ! ... وكنت أقول أن عندى أناسا مخلصين ! (يتسم ، ولكن سورة غضبه يادية) .
- زمارو : سيدى ، أذنبت ... ليس الذنب ذنب الولد ... أنا الذى فتحت له .
- مانوس : أبى ! ...
- بيليكاس : اسكت ! (إلى زمارو) اخرجى .. انزلى وقابلى براكاس وقولى له : (فتحت لابن السيد الغرفة المفلقة . الغرفة التى كان قد حرمها علينا) قولى له هذا ، وهو يعرف ماذا سيفعل .

- زمـارو : (مرتمة) لزوجى ؟ أقول ذلك لزوجى ؟!
- بيلىكاس : أجل ، براكاس مخلص . وهو أيضا رجل ، يعرف ما يجب أن يفعل . اذهبى .
- زمـارو : (ترسم علامة الصليب) يا أيها السيد المسيح ! (تنصرف منهارة) .
- بيلىكاس : (بعد برهة صمت ، ينظر إلى ابنه مبتسما . هادىء الصوت) إذن ، كنت تريد أن تراها .
- مانوس : (بصوت خائر) أجل .
- بيلىكاس : (يستجوبه بصوت خال من التأثير ، وقد بدا عليه عدم الاكتراث) هل انتابتك هذه الرغبة فجأة ، أم كنت من الأصل تريد ذلك ؟
- مانوس : من الأصل كنت أريد ذلك .
- بيلىكاس : هل مضى وقت طويل على دخولكما الغرفة ؟
- مانوس : كلا .
- بيلىكاس : و . . . كيف وجدتها ؟ أكنت تذكرها ؟
- مانوس : كنت أذكرها .
- بيلىكاس : (يجلس) يهمنى أن أعرف انطباعك : ما الذى كنت تذكره ، كيف كانت تبدو لك فى أحلامك - إنك كنت تحلم بها ولاشك . . .
- مانوس : أجل ، كنت أحلم بها .
- بيلىكاس : فى أحلامك ، هل كانت تبدو لك أفضل مما وجدتها عليه ، أم أسوأ ؟ أكبر أم أصغر ؟
- مانوس : (جانلا النظر فيما حوله) أكبر . . . ولكن ليس بهذا الجمال .

- بيليكاس : (مقطبا) آه
- مانوس : اقصد . . . لم أكن أتصورها حية إلى هذا الحد .
- بيليكاس : (ساخرا) حية . . أهكذا تصف غرفة امرأة ميتة !
- مانوس : بالنسبة لى ، هى ليست ميتة .
- بيليكاس : (فجأة ، يخط يده ، رافعا صوته) كلام سخيف ! سخيف ! إذ يصدر من ابن بيليكاس .
- مانوس : صدقنى ، لم أعرف أننى سأغضبك .
- بيليكاس : (الذى يخطو بضع خطوات . بهدوء ولكنه هدوء متكلف) حسنا ، حسنا ، لم تغضبنى . . أسأت الفهم فحسب . أجلس (يضع يديه على كتفيه) .
- مانوس : (منزعجا) أجلس ؟
- بيليكاس : أجل .
- مانوس : هنا ، فى هذه الغرفة ؟
- بيليكاس : ولم لا ؟ أنها غرفة مثل سائر الغرف الأخرى . وأريد أن نتكلم .
- مانوس : نحن الاثنان ؟
- بيليكاس : (ابنسامة مضبئة) نحن ، طبعاً ! السنأ أبا وابنا ؟
- مانوس : نحن كذلك .
- بيليكاس : وماعدت أعتبرك صبيبا الآن . يجب أن تعرف ذلك .
- بيليكاس : لقد تجاوزت العشرين . إذن ، فأنت رجل !
- مانوس : (يجلس)

- بيليكاس : هكذا ، حسنا . لكن الضوء هنا جدمعتم . ولا تعجبني
الأضواء المعتمدة . كما أن هذا المصباح يتصاعد منه
الدخان . (يصلحه) الأفضل أن أفتح الضلفة الخشبية .
هناك قمر بالخارج . (يذرع المسرح ويفتح النافذة) حسنا ، انظر
هذا الضوء ! كأننا بالنهار . (يفتح باب الشرقة أيضا) ليلة
صافية ، وضوء النجوم . هذا أفضل . سيكون الجو
غدا جميلا للصيد . (من باب الشرقة ، يطل متاديا) براكاس !
- صوت رجل : (من الخارج) أجل ، يا سيدى .
- بيليكاس : لاتنس أن توقظنى قبيل الفجر .
- الصوت : حسنا ، يا سيدى .
- بيليكاس : ونظف البنادق . لا أريد أن تطيش منى طلقة واحدة !
- ساكون رائق المزاج غدا .
- الصوت : إنى أنظفها ، يا سيدى .
- بيليكاس : (تاركاً باب الشرقة مفتوحاً ، إلى مانوس) فليدخل هنا بعض الهواء
حتى ينقى الجو . (نازلاً) سوف تأتى غدا معى ، للصيد ؟
- مانوس : لا أعرف .
- بيليكاس : لا تقل لا أعرف . إما أجل وإما لا . هكذا يجيب
الرجال .
- مانوس : إذن ، كلا .
- بيليكاس : (مبتسماً) أفزعتك مرة أخرى ، أراهن على ذلك . لكن
هذه طبيعة صوتى . فلا يجب أن تفزع . (بركة) والآن ،
هل أصارحك بشيء ؟ وددت كثيراً أن تأتى غدا إلى الصيد .

- مانوس : ماذا أفعل ، يا أبى . ليس الذنب ذنبى .
- بيليكاس : ماذا يعنى هذا الكلام ؟
- مانوس : لا يعجبني الصيد . هذا هو الأمر .
- بيليكاس : (غير راض . بجفاء) حسنا . فلنتقل إلى موضوع آخر . (برهة من الارتباك . ثم يقول) قلت لك من قبل أننى سأتكلم إليك كرجل يتكلم إلى رجل . إذن ، باختصار : إن مستقبلك يقلقنى .
- مانوس : مستقبلى ؟
- بيليكاس : لم تفكر فى الأمر بعد . وإنى لأعجب من ذلك . ربما كنت تتغافل ، أو ربما كنت تعتمد على الثروة التى سأخلفها لك مستقبلا .
- مانوس : لم تدر بخلدى أفكار من هذا القبيل قط ؟
- بيليكاس : ومع ذلك يجب أن تفكر فى الأمر ! هذه هى المشكلة . ما دام لا يفكر المرء فى أمر ، فهذا يعنى أن هذا الأمر لا يشغله . أنت تعرف أنك ستجد ثروة بانتظارك ، ولهذا فإنك لا تفكر فى شيء . ومع ذلك ، فقد جاهدت بكل الطرق منذ أن كنت صغيرا ، كى أفسد عليك مثل هذا التفكير . أردتك رجلا مقسدا ما مكافحا فى الحياة ، تبنى وحدك دعائمك ، مثلما كنت أنا . أردتك أن تكون ابنا لبيليكاس حقا .
- مانوس : إنى سأعمل .

بيليكاس : ستعمل ، ستعمل ! أعرفك أنك ستعمل . لكن المسألة هي كيف . أن النملة بدورها تعمل . لكنى لا أريدك ثملة . هل رأيتنى ؟ أنى أشدد قبضتى فيشعر بى الجميع . أمضى فى المقدمة فيتبعنى الآخرون . هذا هو السر فى الحياة : ألا تكون واحدا من كثيرين ، بل أن تكون الواحد المتفرد .

مانوس : هذا . . . ليس بإمكان أى واحد .
بيليكاس : (بحماس) لكن أنت لست أى واحد ! لا أريد أن تكون أى واحد . أنت ابن لامبروس بيليكاس . إفهم ذلك جيداً !

مانوس : سأبذل قصارى جهدى .
بيليكاس : (يطبق قبضتيه) إننى إزاء كلامك هذا وفتورك ، كائننى أسمع أمك .

مانوس : (يجبل النظر فيما حوله) أمى ! . . .
بيليكاس : هذا الطبع بالنسبة لأمك كان يناسبها ، فقد كانت امرأة . وربما كان هذا خصلتها الحميدة الوحيدة . ولكن أنت ، أنت ابنى ! . . . (يضعه خطوات) حسنا . ربما كان الجو هنا فى هذه الغرفة هو الذى لا يناسبك . أراك تنظر فيما حولك مرتعبا ، وتخفض صوتك (إشمامة ساخرة) غرفة امرأة ميتة ، أيه ؟ لكننى كنت أريدك حتى هنا فى هذه الغرفة رجلا ، بل وهنا على الأخص . وإنى تعمدت أن أبقىك هنا . أردت أن أشفيك من مخافك .

- ولو كان بإمكانى لأخذتك أيضا إلى المقابر لتمضى الليل فيها . إن تنفتح جراحك ويتزف منها الدم الأسود ، ويتخفف قلبك . ويصبح طائرا خفاق الجناحين مثل قلبى !
- مـانوس : أبى . . . ربما حان الوقت لأن تنزل العشاء سيرد .
- بيليكاس : أهذا مالدريك أن تقوله لى ؟ حسنا . إنى إلى الرعد أتكلم . دائما كنت أخشى هذا . أنت روح نسائية .
- مـانوس : يا للجنة ! . . . (يمضى بضع خطوات . وأمام باب الشرفة يقف . يطل إلى تحت) : يا براكاس ! مع من تتحدث ؟
- صوت براكاس : جاء إليك ضيوف ، يا سيدى .
- بيليكاس : ضيوف ؟ من ؟
- صوت براكاس : السيدة مارينا ، جارتنا .
- بيليكاس : (منبظا) مارينا ؟ حسنا . سأنزل (يعود إلى الداخل) هيا بنا الآن . مرة أخرى ، سنعاود الحديث فى الموضوع .
- مـانوس : (ينهض ، بينما يمضى أبوه إلى الباب ويهم بالخروج) لحظة واحدة ، يا أبى .
- بيليكاس : ماذا تريد ؟
- مـانوس : هل . . . يضايقك أن أطلب منك طلبا ؟
- بيليكاس : أى طلب ؟
- مـانوس : هناك فى ذلك الدولاب ، لازالت توجد على ما أعتقد بعض الأشياء المتعلقة بأمى . . .
- بيليكاس : لا أعرف . وماذا تطلب إذن ؟
- مـانوس : هل . . . تستاء لو . . . أخذت شيئا من متعلقاتها ؟

- بيليكاس : وماذا ستفعل بما تأخذ ؟
- مانوس : لاشيء .. سأحتفظ به تذكراً !
- بيليكاس : (بينما يدقق النظر فيه جيداً) إيه ، ياللعقل المريض ، وكم من سخافات تصدر عنه ! تذكّر ، إيه ، أهتاك يا فتى ، كبر جسمك ، وصرت رجلاً ، ولازلت على أفكارك الصبيانية ! ...
- مانوس : (منخفضاً صوته) لا أعرف .. لا أستطيع أن أقول لك .. ليس بمقدروك أن تفهم .
- بيليكاس : (يقترّب منه . وجهه لوجه) أن أفهم ؟ ما الذى يجب على أن أفهمه ، يا ولد ! أعتقد أننى لا أعرف ماذا تحيك من أفكار بداخلك ؟ تقول لنفسك «أعرف كيف أحب ، أما أنت فلا تعرف . أنت لم تحب أمى قط» .
- مانوس : لم أقل هذا .
- بيليكاس : وهذا هو السيء فى الأمر ! لم تقله ! لو كنت قد قلته لكنت رجلاً ابن رجل ، لكنت ابنى . ولكنك تفكر ، وتدع الفكرة تغلى بداخلك ، فحسب . وهذا ما أتقرّر منه !
- مانوس : سامحنى .
- بيليكاس : كلا . إننى لا أسامحك . لا أسامحك ، لأننى كنت أود أن تجاهر بأفكارك ، وعندئذ كنت سأقول لك بدورى إنك مخطئ إذ تعتقد أننى لم أحب أمك . أحببتها قدر ما أعرف كيف أحب ، دون نحيب ودون ثرثرة ،

أحببتها كرجل ! أحببتها كما يجب أن يحب الرجل

امرأة : أحببتها مدركا لقوتى محوطا إياها برعايتى !

ربما كنت تشفق عليها فحسب .

مانوس :

هراء ! كنت أشفق عليها بطبيعة الحال . المرأة مخلوق

بيليكاس :

ضعيف . ويجب أن تكون مخلوقا ضعيفا . وإلا فما

المعنى من وجود الرجل ؟ ولا يجدر أن تقف فى حياته

عقبة ، حية كانت أو ميتة ! (ضحكة مارينا فى الخارج تخرق

الليل وتتدحرج صافية رقاقة) .

لم تقف أمتى عقبة فى طريقك .

مانوس :

ولهذا أحببتها . هيا بنا !

بيليكاس :

وثمة شيء آخر . . .

مانوس :

ما هو أيضا ؟

بيليكاس :

إلى هذه الغرفة ، هنا ، لم تأت بى زمارو . أنا الذى

مانوس :

أكرهتها على ذلك .

لا يعنينى هذا .

بيليكاس :

كلا ، يجب أن أقول لك . . . إنها لم تكن تريد .

مانوس :

اضطرتها إلى المجيء ، رغما عنها .

قلت لك ، لا يعنينى هذا .

بيليكاس :

لا يجب أن تعاقبها ، يا أبى .

مانوس :

(طلقة فى البستان ، وصرخة)

(وقد سرت البرودة فى عظامه) ما هذا ؟

مانوس :

- بيليكاس : (وقد بدا عليه قليل من الاضطراب) طلقة بندقية . لا بد أن
براكاس يجرب البندقية المزدوجة الطلقات (يمضى إلى باب
الشرقة ويطل منها) . ماذا يجرى هناك ؟
- صوت براكاس : لاشيء ، لا شيء ، يا سيدى . مجرد خطأ .
- بيليكاس : هل أصيب أحد ؟
- صوت براكاس : كلا .
- مانوس : (مرتعشا) ثمة من يبكى . . .
- بيليكاس : (صوب الخارج) من الذى يبكى ؟
- صوت براكاس : لا أحد . أنها زمارو .
- بيليكاس : ولماذا تبكى ؟
- صوت براكاس : فزعت . مسها رشاش من طلقات البندقية .
- مانوس : آخ ، إنه أصابها !
- بيليكاس : اسكت . كفى هراء .
- مانوس : (يطل خارجا) زمارو ! كلمينى ! . . . هل أصبت ؟
- صوت زمارو : (متحبة) كلا ، يا سيدى . مجرد جرح فى الساق .
- صوت براكاس : خدش . مجرد خدش (يقهقه ضاحكا)
- مانوس : يا إلهى ، يا إلهى . سأذهب لأراها . (يتدفع خارجا من جهة
اليسار) .
- بيليكاس : (ينظر إليه وهو يمضى خارجا . يهز رأسه . ثم يدخل بخطى وثيلة ، يفتح
الضلف الخشبية لباب الشرقة . يمضى المسرح الآن نور المصباح والقمر الواقع
من النافذة . فى هذه الاثناء تدخل من اليسار بلاجلية امرأة تقف بالقرب من
الباب وتمضى ناظرة إلى بيليكاس . يستدير فيراها . بشراسة : من هناك ؟
(صمت . يدقق النظر إليها . ويقترب منها خطوة) من هناك ؟

- مارينا : (تلقى الوشاح من على رأسها) .
- بيليكاس : (وقد أضاء وجهه) مارينا ! ...
- مارينا : أجل ، أنا . لم تتعرف على ، من أول نظرة .
- بيليكاس : كانت عيناي مبهورتين بضوء القمر . ثم إن الانتقال إلى هذه الظلمة هنا فجأة ...
- مارينا : الظلمة وفوات السنين .
- بيليكاس : السنين .. كلا ! ماذا تعنى ثمانى أو عشر سنوات !
- مارينا : إنها إحدى عشرة سنة .
- بيليكاس : فتلكن إحدى عشرة ! من كان مثلك لا يصبح عجوزا ، يا مارينا . ولا من كان مثلى .. لكن كيف صعدت إلى هنا؟ ليس هذا بالمكان المناسب . فلنتزل .
- مارينا : صعدت لأقول لك عن زمارو . أصابها براكاس بجراح .
- بيليكاس : أصابها ؟ هذه دعابة ! منذ هنيهة سألتها ، فقالت ...
- مارينا : أصابها فى ساقها .
- بيليكاس : خطأ . كان يجرب البندقية ذات الطلقات المزدوجة . أتعرفين ؟ أريد أن أخرج غدا للصيد ، لأستعيد قليلا من الأيام الخوالى .
- مارينا : أنت ، تستعد الأيام الخوالى ؟ ...
- بيليكاس : (ضاحكا) أجل . لماذا ؟ يبدو لك الأمر غريبا ؟
- مارينا : رأيت ابنك .
- بيليكاس : (مكتئبا) آه !
- مارينا : أنه لا يشبهك .

- بيليكاس : (مجننا) وكيف تعرفين ذلك ؟
- مارينا : أريد أن أقول ملامح وجهه لا تشبه ملامحك .
- بيليكاس : ملامح الوجه لا تعينى ، كثيراً ، كما تعرفين . ولكن متى سنحت لك فرصة رؤيته ؟ ... إنه كان هنا فى هذه الغرفة منذ لحظة .
- مارينا : التقينا عند الباب الخارجى . بينما كنت قادمة كان هو يمضى خارجا . رأيت برهة فى ضوء القمر . كان أشعث الشعر مضطربا ، نظرتة معتمة ، وكان يجرى .
- بيليكاس : أجل ، سمع طلقة البندقية وتملكه الجزع من أجل زمارو . إنه عاطفى بعض الشيء . وهذا لا يعجبنى .
- مارينا : رأيت برهة قصيرة ، وخيل لى أننى أرى هيلينى .
- بيليكاس : على اسوأ الفروض ، ربما تشبه ملامحه ملامح أمه أيضا . ولكن ليس لهذا الأمر أهمية .
- مارينا : كان لقاءه مفاجأة لى ، حتى أننى بقيت - صدقنى - لحظة فاقدة النطق ، كما لو كنت أرى هيلينى عند باب غرفة المائدة . اذكر ؟
- بيليكاس : (بجفاء) هيا ، هيا !
- مارينا : ارتسم على وجهه ذات التعبير .. تعبير الهلع والألم ...
- بيليكاس : أوف ، حسنا !
- مارينا : الذى ارتسم على وجه هيلينى عندما فتحت الباب فجأة وبغتت بوجودى بين ذراعيك .
- (صمت)

بيليكاس : (الذى جال فى ارجاء الغرفة دورة أودورتين) حسنا . دعك من ذلك الآن . أنى لأدهش من تلذذك باسترجاع مثل هذه الذكريات ! ...

مارينا : آه ، تعرف ، أننى لا أحب أبدا أن أتذكر الماضى . لست من تلك النسوة اللاتى يعشقن ذلك . . لكن فى بعض الأحيان ، رغما عن إرادة المرء . . . ثم لا تنظر إلى نفسك . أنت سافرت وغيّرت أجواء وبيئات ومعارف وطرائق حياة . أما أنا فبقيت هنا وانحصرت فى إطار الحياة ذاتها التى كنت أعيشها من قبل . أحد عشر عاما وحياتى على وتيرة واحدة .

بيليكاس : (سائرا) فى النهاية ، وحدك أردت ذلك . كان باستطاعتك أن تتزوجى أفضل زواج .

مارينا : (تنظر إليه بطرف عينها وإن كان صوتها قد أحكم كى ينم عن عدم الاكتراث) . أجل ، هذا يجب أن يقال .

بيليكاس : (متوقفا عن السير) إذن ، ماذا تقولين ؟ هل نزل الآن ؟

مارينا : نزل ؟ هل ثمة ما يدعوك إلى العجلة ؟

بيليكاس : كلا . ولكن . . هل تجدين هذا المكان جميلا لتتجاذب فيه أطراف الحديث ؟

مارينا : (تثبت نظراتها فى عينيهِ) هل تجده أنت قبيحا ؟

بيليكاس : يعنى . . . (مقطبا جبينه فجأة) ماذا تقصدين ؟ هل مر بخاطرك . . أننى خائف ؟ (ضحكة عالية) .

مارينا : لم أقل ذلك . . .

بيليكاس : من المضحك على أى حال أن تكونى قد فكرت فى ذلك .
لا أنكر أن أحد عشر عاما شىء لا يستهان به ، ولكنها
ليست بالكافية أن ينسى لامبروس بيليكاس أحداً ! إيه ،
مارينا ! ... لم يهرب بيليكاس الأحياء قط ، فهل
يخاف الآن من الأشباح ؟

مارينا : وهل تستطيع أن تصارع الأشباح ، أنت ؟ باستطاعتك
أن تتصرف مع الرجل الحى التصرف الذى يناسب المقام ،
وأن تحمله على الركوع لك .

بيليكاس : (يقف امامها) كما لو كنت لا أعرفك ، يا مارينا . كما لو
كنت قد تغيرت عن ذلك قبل .

مارينا : تعتقد ذلك ؟

بيليكاس : لست متأكدا .

مارينا : وددت أن تفكر ، من الأقوى منا نحن الاثنين ؟ أنت
الذى رحلت ، أم أنا التى بقيت ؟

بيليكاس : إنى لم أرحل هاريا - أعرف ماذا تريدن أن تقولى ! -
رحلت لأن ثمة حياة أكثر رحابة كانت تدعونى إليها .
كانت لدى طاقات جياشة بداخلى ، رسالة على الوفاء
بها ، نداء يشدنى إليه . كان على أن أحقق ما خلقت
من أجله .

مارينا : أن تصبح قويا ، يشار إليك بالبنان ، مسموع الكلمة . .
أن تظفر بالثراء والسلطة . . هذا هو النداء الذى شدك
إليه .

بيليكاس : هل تذكرين ؟ كانت هذه مبادئي . كنت أنت أيضا

تحيينها وتدفعيننى إلى تحقيقها .

مارينا : وبقيت أنا أجتر الماضى .

بيليكاس : سوف يكون غريبا أن تهيمتنى الآن . لم تكن مصائركنا

معقودة بعضها ببعض . كان لك طريقك ، وكان لى

طريقى . ولم يكن الطريقان يسيران متحاذين .

مارينا : لقد أردتهما أنت غير متحاذين !

بيليكاس : (بحمىة) ذات الشئ من جديد ؟ ذات الشئ من جديد ؟

تكلمتنا فى هذا الأمر العديد من المرات ، مللت من تكرار

ما قلته لك . مضت أحد عشر عاما ، لكننى لم أنس

ما قلت . رفيقة لروحي أحس بك يا مارينا ، لأنك

تشبهيننى . إن روحك قد انتشت بنفسها ، مثل روحي

التي انتشت بنفسها أيضا . رفيقة لحياتى أحس بك !

أنت تشبهيننى أكثر مما كان يجب .

مارينا : هل كان ذلك شعورك منذ أن كنت أعزب ؟

بيليكاس : منذ ذلك الحين ، ولا شك .

مارينا : ولم يجعلك الزواج تغير من رأيك ؟

بيليكاس : كلا .

مارينا : ولهذا أيضا فقد ظلت رفيقة روحك حتى بعد زواجك .

رفيقة وفية ، ألم أكن يالامبروس ؟ لم أحمل لك ضغنا

من أجل إقصائك لى .

- بيليكاس : أى إقصاء لك ! طالما شرحت لك الأمر ، شرحته لك
برجولة . هل تنسين ذلك الآن ؟
- مارينا : كلا ، إنتى لا أنسى أبدا . وها هو الدليل على ذلك !
- بيليكاس : ماذا ؟
- مارينا : ها أنا ذا . هل ترحزحت قيد أنملة ؟ هل خطوات خطوة
أبعد من مصيرى الذى شققته لى ؟ بقيت وفية ليس
لصحبتك فحسب بل ولذكراك أيضا . لم أتزوج .
- بيليكاس : (يساوره الشك) أمن أجل ذلك لم تتزوجى ؟
- مارينا : (ساخرة) ألم تكن تعرف ؟ !
- بيليكاس : كلا ، ولكنتى . . . كنت أقول . . .
- مارينا : أنه لم يكن باستطاعتى ذلك !
- بيليكاس : لم أقل شيئا مثل هذا . بالطبع كنت تستطيعين . ولكن
أقول لك الحق ، كنت أعرف طبعك . . كنت على
الدوام صعبة الإرضاء ، امرأة - كيف يمكن أن نقول
ذلك - صعبة المراس ! . . .
- مارينا : متعبة .
- بيليكاس : (ضاحكا) قليلا . . . (صمت)
- مارينا : (مجلس) إذن ، فهذا ما كنت تعتقده . . . وإنى فى الحق
مشوقة لأن أعرف : هل لارلت تعتقد ذلك فى ، إلى
الآن ؟
- بيليكاس : لا أعرف . لم أفكر فى الأمر .

مارينا : بالطبع ، سوف كان الأمر يبدو غريبا لو كنت قد فكرت .

أكانت ثمة أشياء كثيرة استحوذت على اهتمامك ، وأنت
فى زحمة صعودك إلى القمة ، يا لامبروس ؟

بيليكاس : أجل ، أعترف بأنه كان ثمة أشياء كثيرة . طوال

سنوات ، خمس ، أو ست ، أو ربما سبع ، عشت فى
حالة من الحمى المتصلة .

مارينا : أنت قوى واسع الثراء .

بيليكاس : واسع الثراء ، وعلى أن أفى ، بصلاحياتى . لست نكرة

من النكرات بل متفرد الشخصية أنا . أفرض سيطرتى
فيحس الجميع بوجودى . وإن تصادف أن تخلفت افتقدوا
مكاني . ألا تعتقدن أن هذا شئ جدير بالاعتبار؟

مارينا : بالطبع هذا على الأخص حلمك . وهو ليس بالأمر القليل .

بيليكاس : ماذا يعنى ذلك ؟

مارينا : أن يحقق كل امرئ حلمه .

بيليكاس : أصبت القول .

مانوس : (داخلا من اليسار) أبى . . . (يرى مارينا) أوه ! معذرة . . .

بيليكاس : (بكياسة) تعال ، تعال ، ماذا تريد ؟ لا تخجل ، ألا

تذكر السيدة ؟

مارينا : (تنهض مرحة به) أنا مارينا . عندما كنت صغيرا كنت أومئ

إليك من شرفتى كل صباح . وكنت تأتى إلى بستانى

لتأكل الفراولة . أنك لا تذكر بالطبع ، ليس بإمكانك

أن تذكر .

- مانوس : كيف ! أذكر .
- مارينا : حقا ؟
- بيليكاس : والآن ، فيما كنت تريدني ؟
- مانوس : أرجو معذرتي ، فلم أكن أعرف . . رأيت أنك تأخرت في النزول فجئت أسألك .
- بيليكاس : حسنا ، اذهب . . سأحضر حالا . .
- (يخرج مانوس . تتابعه مارينا بنظراتها)
- مارينا : حقا ، إنه يشبهها .
- بيليكاس : (باصرار) لا أعرف ، هذا ما سوف نرى .
- مارينا : آه . .
- بيليكاس : (مكتبا) لم أفقد كل أمل بعد . سأواصل جهادي . وربما في النهاية ، كسبته .
- مارينا : معنى هذا أنك لست واثقا تماما . . .
- بيليكاس : بل أنني لكذلك ، يجب أن أكون كذلك ! ألا تعتقدن ؟
- أليس صحيحا أن الابن يشب على شاكلة أبيه ؟ إنه ولى عهدى الطيعى .
- مارينا : مهما يكن . . .
- بيليكاس : إن به بعض نقاط الضعف ، ربما بسبب السن ، لا أنكر ذلك . (وقد ثارت ثائرتة) اسمعى ! أتعرفين ماذا جاء يفعل الآن هنا ؟
- مارينا : ماذا ؟

بيليكاس : جاء يرى الغرفة من جديد ، غرفة أمه . كما لو كان
ثمة ما يشده إليها !

مارينا : آه !

بيليكاس : لكن مهلك ، فقد عملت لكل شيء حسابا . أحد عشر
عاما كاملة أقصيته بعيدا عن كل ما يذكره بها . طوال
أحد عشر عاما لم آت به إلى هذا البيت .

مارينا : آه ، هذا هو السبب .

بيليكاس : أجل ، غيرنا من محل إقامتنا ، ومن الناس المحيطين بنا ،
ومن عاداتنا . فى أثينا حيث عاش ، كانت الحياة أكثر
رحابة وجرأة ، وليس لها رخم حياة الأقاليم المغلقة .

مارينا : ربما ، وجب ألا تأتى به إلى هنا أبدا .

بيليكاس : هذا ما كنت سأفعله ! ولكن صحته التى اعتلت ...

مارينا : آه ...

بيليكاس : أجل . ليس الأمر جد جسيم ، لحسن الحظ . مجرد
خلل صغير فى الغدد . أوصى الأطباء بالإقامة فى
الريف .

مارينا : آيه ، وهل اقتصر الريف على هنا ؟

بيليكاس : آه ، حقا ، ولكن مهلك . سوف ترين . فقد عملت
على أن أجمع بين «المتعة والفائدة» وقد كان أسلوبى
على الدوام ألا أترك شيئا يضيع ، فقررت فجأة أن آتى
به إلى هنا كى أنتهى .

مارينا : وما الذى أردت أن تنتهى منه ؟

بيليكاس : أن أنتهى من ذكره عن أمه . كنت أخشى وأرتاب من أننى كلما أقصيته عنها تماماً ، كلما كمن فى قلبه شيء مثل شجن ، أو أمنية غير متحققة ، أو ربما أيضاً مجرد فضول يتحول مع الوقت إلى حنين .

مارينا : وبناء على ذلك ؟

بيليكاس : لم أكن مخطئاً . فبدخله اختبأ ضعف من هذا القبيل . كنت قد أوصيت براكاس أن يغلق هذه الغرفة . ولكن الشيطان أراد أن يكون المفتاح فى حوزة زوجة براكاس . وهى التى فتحت له ، وإن كان الفتى والحق يقال قد لجأ بنفسه إلى إكراهها على ذلك .

مارينا : آيه ، هذا أفضل إذن ! هكذا ستعجل بالانتهاء من الأمر .
بيليكاس : (بقلق) أجل . لا أعرف . . أرجو ذلك . . لكن موقفه هذه الليلة لم يعجبني ، أعترف بذلك .

مارينا : خل عنك ! إن ذكرى أمه بعيدة ، حلم من أحلام الصبا . أما صورة الأب ، فعلى العكس من ذلك تماماً ، هى صورته الحية ، الماثلة أمامه يومياً ، والتى ستملأه إعجاباً بها ، لأنه ولاشك معجب بك ومفتون .

بيليكاس : (متشائماً) لست أدري . . .

مارينا : (بحيوية) مستحيل ! لا تقل ذلك لأننى لا أسلم به . كيف لم تجبره على الإعجاب بك ؟

بيليكاس : أجبره ؟ وهل تعتقدين أن الإعجاب من تلك الأشياء التى يمكن أن تسقى بالقطارة ؟

- مارينا : هذا ممكن بالنسبة للإعجاب . إن الحب وحده هو الشيء الذى لا يحمل عليه المرء جبرا .
- بيليكاس : (بغف ومصيبة) آه ، هذه هى المسألة ! إننى لا أريد ابنى أن يعجب بى فحسب ، بل أريده أن يحبنى أيضا!
- مارينا : (تنهض، يوقار) إذن ، انفض يدك من الأمر يالامبروس بيليكاس . إنك خسرت اللعبة .
- بيليكاس : (دمشا، ينهض واقفا) لماذا ؟
- مارينا : لأن الحب ليس تحت إمرتك .
- بيليكاس : (يضحك ضحكا أجوف) ليس حقا ؟
- مارينا : كلا .
- بيليكاس : أنت تقولين ذلك ؟
- مارينا : أنا التى أعرف ذلك جيدا ، أعرفه أكثر من أى شيء آخر .
- بيليكاس : معنى ذلك . . . إنك تتعارضين مع نفسك . .
- مارينا : ليس ثمة تعارض مع نفسى . هل خيل إليك أننى أحبك ؟
- بيليكاس : أنت لا تحييتنى الآن ، ولكن فيما مضى .
- مارينا : ولا فيما مضى .
- بيليكاس : كيف ! (فجأة وقد ارتست على شفتيه ابتسامة) أعرف . . إنها ضغائنك القديمة . لقد ندمت على مافات .
- مارينا : على الاطلاق . كنت فى التاسعة والعشرين من عمري أقرأ كتاب نفسى جيدا ، وذلك قدر ما أقرأه الآن وقد بلغت الأربعين . . إننى لم أحبك قط . لم أحبك قط !

- بيليكاس : قط ، ومع ذلك فعلت كل ما بوسعك لتفرقي بيني وبين هيليني ، ومن أجل بقيت عانسا .
- مارينا : أنت تقول ذلك ، أما أنا فلا أقوله . وهل تعتقد أن المرأة تجاهد لتظفر برجل ؛ لأنها تحبه فحسب ؟
- بيليكاس : كلا ، بالطبع . إنها تصارع أيضا اغتاما لفرصة ، لكن أنت أرفع من ذلك .
- مارينا : إنها تجاهد من أجل متعة النصر أيضا . لقد أشرت أنت إلى ذلك منذ قليل ، عندما قلت : «إن روحك يا مارينا ، متشبة بنفسها» .
- بيليكاس : (شاحبا) آه ..
- مارينا : رأيت أنك كنت على حق عندما قلت ذلك ؟ إننا متشابهان نحن الاثنان ، أكثر مما يجب .
- بيليكاس : هيه ... (يتسم ساخرا) ولماذا بقيت عانسا ؟ ..
- مارينا : لأنه لم تعد بي رغبة في الزواج . ملأتنى الحياة بالتقزز .
- بيليكاس : رأيت ؟ رأيت ؟
- مارينا : لقد حطمتني الهزيمة . لا بد أنك تفهم ، أنت ، ماذا تعنى «الهزيمة» ، أنت يا من تشبهني .
- بيليكاس : (يجلس مجهدا) لأول مرة ، أسمع هذا .
- مارينا : لو كنت جديرا بأن تحب ، ما كنت لتتظر حتى تسمع ذلك ، سوف كنت تشعر به في داخلك .
- بيليكاس : (مفكرا) حسنا ، ولماذا ... إذن حتى بعد زواجي ...

مارينا : تقصد لماذا بقيت عشيقة لك : أليس هذا ما تريد أن تقول ؟ إن هذا بالضبط ما كان يجب أن يجعلك تتشكك في الأمر . بقيت لأننى لم أكن قد فقدت كل أمل بعد . كنت لازلت أعتقد أننى سأظفر بك . كنت أعتقد ذلك بإصرار .

بيليكاس : إلى هذا الحد كنت تعتبرينه نصرا مينا أن تستحوذى على ...

مارينا : كنت أعتبره نصرا مينا لذاتيتى ، وترضية قيمة لأثرتى الشخصية .

بيليكاس : (ينظر إليها مدعورا) آه ، يالك من امرأة مخيفة ، يا مارينا ! الآن ، أشعر بك . . تبعثين الرعب فى أعماقى .

مارينا : خسرت تلك المعركة آنذاك ، لكن يبدو أننى أعوض الآن بعض ما خسرت . (تشهق بعمق) هذه اللحظة انتظرتها أحد عشر عاما !

(صمت)

بيليكاس : (ينهض) فليكن ، ما حدث قد حدث . لست ، كما تعرفين ، من أولئك الذين يقفون أمام أشباح أو من أولئك الذين ينظرون إلى الخلف . فلننزل . (يمضى متجها نحو الباب . فجأة بإصرار وعصية) ولكن حب ابنى ، لن يقوى أحد أن يزلزل منه . لن يقوى أحد على ذلك ، فما بالك بامرأة ميتة ؟ سترين أننى سأظفر به !

مارينا : إنه أملك الأخير ، لا أستطيع أن أقول شيئا .

- بيليكاس : (مرتبا) ولماذا هو «أملى الأخير» ؟
- مارينا : لأنك بلغت ، يالامبروس ، السن التى تضحى فيه القوة غير كافية . أخذ يستيقظ فى أعماقك حين إلى الحب ، ويتغشاك الضعف الإنسانى بدورك . آن الأوان لذلك .
- بيليكاس : فليكن هذا هو الوضع .
- مارينا : آه ، أجل ! أن لم تكسب هذا الحب ، ضعت . جرداء ستكون شيخوختك ، ولن يكون لديك ما يدفع ذكرياتك .
- بيليكاس : أنت مخطئة . أنايتك قد ضللتك : تعرفين جيداً أن هناك من أحبني .
- مارينا : من ؟
- بيليكاس : (مشيرا إلى الفراش) صاحبة هذا الفراش .
- مارينا : (بتسمة) تعنى أنك كنت سيدها المطاع .
- بيليكاس : اطاعتنى باختيارها ، لأنها أحبت ذلك . كانت امرأة بحق . إنه شيء ليس بإمكانك أن تحسبه .
- مارينا : ويكفيك هذا ؟
- بيليكاس : ولم لا ؟ إن ذكرها تدخل الراحة إلى قلبى . كرسست نفسها من أجلى ، وظلت وفية لى . لا أدري ، يقولون أيضا إن إخلاصها لى قد زاد عن الحد ، بل وإنها قد ضحت بنفسها من أجلى . صارت عشبا عند مواطئ قدمى .
- مارينا : وقد كان هذا هو السبب أيضا الذى جعلك تختارها زوجة لك . . .

- بيليكاس : أجل ، كان نكران الذات أبرز خصالها .
 مـارينا : وقد ظلت صامتة ، منسحقة تحت ثقل طموحك الجامح .
- بيليكاس : أعتقد إلى حد نسيان ذاتها .
 مـارينا : ولكن كيأنا النسائي المهمل يتقم لنفسه إن عاجلا أو آجلا .
- بيليكاس : ماذا تريد أن تقولى ؟
 مـارينا : أن هيلينى دفعت فى النهاية ثمن اختناقها هذا تحت وطأتك .
- بيليكاس : وكيف ذلك ؟
 مـارينا : دفعت الثمن من راحة بالها . لم يطل بها العمر على أى حال حتى تتنبه أنت إلى الأمر ، ثم إنك كنت آنذاك غائبا منذ شهور فى اثينا . ولكن لو كانت امتدت بها الأيام قليلا . لو كانت مضت تحت وطأة الخيانة ...
- بيليكاس : (متفضا) الخيانة ؟ ..
 مـارينا : أجل ، لأن هذا الأمر على أقل تقدير يعتبر خيانة .
- بيليكاس : (يستدير نحوها . ويقترب منها كما لو لم يكن يسمع جيدا) هل تعنين ما تقولين ، أم إنك فقدت صوابك ؟
 مـارينا : أفهم بطبيعة الحال أن الأمر يثير عواطفك ، ولكن بعد كل هذه السنين .
- بيليكاس : (يمسك برسفيها) عن أية خيانة تتحدثين ؟ هل تقدرين ما تنطقين به ؟ ... أرجوك انتبهى إلى ما تقولين !

- مارينا : (تراجع بضع خطوات وتظر إليه) عجباً ، وما الذى يجعلك تتأثر بقولى إلى هذا الحد ؟
- بيليكاس : اسمعى ! لا أريد مزاحاً . قلت قولاً جسيماً ، لا أعرف ما إذا كنت قد نطقت به عمداً أم زل لسانك . لكننى أصر على أن تقدمى لى إيضاحاً . وإنى لفى الانتظار .
- مارينا : ها أنت قد اكتسيت من جديد بطابع السيد الذى يصدر الأوامر فيطاع ! ..
- بيليكاس : أجل . تكلمى !
- مارينا : ما كنت أتصور ، أصدقك القول ، إن الأمر كان سيضايقك إلى هذا الحد . أعتقد أنك أسمى من هذه الصغائر .
- بيليكاس : تكلمى ! تكلمى !
- مارينا : آيه ، ماذا تريدنى أن أقول لك ؟ هل تعتقد أن فتح القبور شيئاً جميلاً ؟
- بيليكاس : (ثائراً) إذا كانت تخفى سراً ويلاً فأننى على استعداد أن افتحها بأظافرى ! تكلمى !
- مارينا : إنك تلوى يدي ، ألا تحس ذلك ؟
- بيليكاس : لا أدرى . (يتركها فجأة) إذن ، عجلنى بما عندك قبل أن ينفد صبرى . (يشبك يديه . صمت . ينظر إليها محملاً) والآن ! (فجأة ، يطلق ضحكة شرسة) هيا ، تكلمى ، أفصحى عن أكذوبتك الحمقاء ، انفضى سمك الثعبانى ! لأنك وأنت فى صوابك لا تصدقين بطبيعة الحال أن لامبروس

بيليكاس سيتردى فى شباك غيرتك ووشايتك الدنيئة التى
تفح بها شهوة الانتقام فى أذنيك . لا يمكن لصوابك أن
يصدق أننى سأضحى لعبة بين يديك ! تكلمى . سألهو
كثيرا وأنا استمع إليك .

مارينا :

(رابطة الجاش) كنت أنتظر هذا ، وكنت مترددة ، أنت ترى
ذلك . ليس من السهل أن تصدقنى ، وقد جاءت
الأمور على ما جاءت عليه . . . ولكن هذا شىء لا
يهمنى أيضا . ليس ثمة ما أكسبه فى هذه المسألة . . .
فلتصرف .

بيليكاس :

(يقطع عليها الطريق بشراسة) كلا ! قول مثل هذا يلقي به فى
وجه لامبروس بيليكاس ، لا يبقى قائله بغير أن يدفع
الثلث . هل ستفسرين ما قلت ، أم تدفعين الثمن ؟

مارينا :

دعك من الكلام الطنان ، فهو لا يعنى شيئا . وكفى ما
وصلنا إليه . فلتصرف من هنا ، أقول لك .

بيليكاس :

(يقبض على يدها) للمرة الأخيرة ، أقول لك : تكلمى !
(وجهها لوجه . يحملق كل منهما فى الآخر)

مارينا :

(يبطاء ، وبدمشة) عجبا . . . لم أكن أتصور . . .

بيليكاس :

(مهددا) ماعدت أستطيع الانتظار !

مارينا :

(مكملة فكرتها) أجل ، هذا هو الأمر . . . لا يمكن أن
يكون غير ذلك . . . جرححت أنانيتك ، ولهذا فقد
ثارت ثائرتك .

بيليكاس :

هل ستكلمين ؟

مارينا : (تطلق ضحكة عصيبة) حقا ، سوف يكون باعثا على الجنون
أن يتصور المرء الأمر الآخر سنين عديدة ،
وزوجتك على قيد الحياة ، لم تحبها . أهملتها ، ملقيا
بها فى أحد الأركان ، ناسيا ما إذا كان لها وجود ، لم
تنظر إليها قط كإنسان حي . كانت شيئا من ممتلكاتك .
والآن ، فجأة ، تظهر كل هذا الاهتمام بها ! . . .
ولكن الذى يعنك بطبيعة الحال هو شرف الاسم . . .
إنها ، على أسوأ الأحوال ، كانت زوجة لامبروس
بيليكاس ! . . .

بيليكاس : اللعنة عليك ! (يلوى يدها . تطلق صرخة وينحنى جسدها رغما عنها .
تتفرض واقفة بحركة ضارية) .

مارينا : آه ، هذا هو الأمر إذن ! عنوة ! . . . حسنا ، أنت
الذى أردت ذلك . . . (كما لو كانت تبصق الكلام فى وجهه)
اعلم ، إذن ، مادمت تتعطش إلى معرفته . اعلم بالأمر
بعد ثمانية عشر عاما : إن زوجتك قد خدعتك .

بيليكاس : (بتفرض كما لو كان قد صفع) كفى !

مارينا : كلا ! لن أكف الآن . سوف أتكلم . سوف أصبح بما أريد
أن أقول . إنه حقى أنا ! لا يمكنك أبدا أن تتزعه منى .
لقد دفاته فى صدرى وريته ثمانية عشر عاما كاملة ، كى
أستطيع أن أقذف به فى وجهك عملاقا ، كى يسحقك !
أنه ابنى أنا هذا السر ، أرضعته لبنى . ما الذى كنت تظنه ،
يا بيليكاس ، أنه ليس لى أنا بدورى ابن ؟ لى وهو

أقوى من أيه ، طالما أنه يقتله . آه ، هنا ! انظر إليه !
إنه يزك بنظرته ، يدينك بلا رحمة ويطعنك فى القلب
طعنة نجلاء . هكذا الأبناء ، وهو ابنك أنت !

بيليكاس : (يمسك بكتفيها ، ويصوت مختق) كفى ، لا تصيحى !

مارينا : كنت فى العشرين من عمرى ، يا بيليكاس ، وانقضت
ثمانية عشر عاما أخرى ، الآن . ثمانية عشر عاما كنت أنت
تسود مطاعا ، أما أنا فكنت أنتظر . كم هو عذب أن تنتظر .

بيليكاس : (يجلسها على الكرسي عنوة . يغلق الباب ويعود . وقد كز على ناجزيه .
بصوت اخرس) تكلمى الآن .

مارينا : ماذا أقول ؟

بيليكاس : (بقسوة) التفاصيل .

مارينا : لست مدينة لك بذلك . يمكننى أن أحتفظ بها لنفسى ،
وأستمتع بعذابك المؤبد . وهذا يكفينى الآن .

بيليكاس : أيتها الشيطانة !

مارينا : رأيت أن ثمة من هو أقوى منك أيضا .

بيليكاس : لن تخرجى من هنا حية !

مارينا : وأنت ماذا ستكسب من ذلك ؟ هل ستزيد معرفتك

شيئا؟ ثم يجب أن تعرف أن الحياة بالنسبة لى قد

انتهت . كانت بانتظار هذه اللحظة فحسب كى تصل إلى

ختامها . سعدت بالخطوة الأخيرة . بلغت أعلى مراتب

الفرحة التى لم يبلغها سوى قلة . ومن أجل ذلك ،

فأنى اشكر الله الذى خلقنى .

- بيليكاس : عليك اللعنة ! سارغمك على الكلام . . .
- مارينا : كيف ؟ بألة التعذيب ؟ وددت أن تجرب هذا حتى يكون لى الحق أيضا فى أن أشفق عليك .
- بيليكاس : هيا ، إننى أتركك ، تكلمى فحسب .
- مارينا : ماذا ؟ هل تطلب التفاهم ؟
- بيليكاس : أجل ، التفاهم ، ما تريدينه ، فحسب عجلنى بما عندك .
- مارينا : كنت دائما واثقة من أنك سستنهاري يوما . يكفى أن تهب فى وجهك قوة أخرى ، أشد بأسا . هذا ما كان يستهوئنى ، كى ألعب معك لعبة الحب . ويقولون إن الحب كراهية عذبة . إنك لم تمنحنى قط لحظة حب أشهى من هذه اللحظة .
- بيليكاس : (يجلس ويمسك رأسه بين يديه) اللعنة ، كم سيطول تعذيبك لى !
- مارينا : يكفينى هذا ، لى أنا أيضا كبريائى . والآن ، قلت إنك تريد التفاصيل ، خذها ، وهى على أى حال ليست بالكثيرة . . .
- بيليكاس : (يهب واقفا) انتظرى ! كلمة واحدة ، قبل كل شىء ، أعطنى اسمه . من هو ؟
- مارينا : (تنظر إليه وقد استغرقها التفكير) من هو ؟ . . .
- بيليكاس : أجل ، من ؟ خبرينى بسرعة !
- مارينا : وماذا يجدى ذلك ؟
- بيليكاس : آه ! تتوهمين ذلك ؟

مارينا : آخ ، يالك من طفل صغير ، يايليكاس ! كنت أعرف
على الدوام إنك فى أعماقك طفل ، طفل قاس غير
مروض . هل تعتقد أن الانتقام يشفى غليلا ؟

بيليكاس : هذا شأنى أنا .

مارينا : وماذا ستكسب من هذا ؟ ما الذى ستطفئه ، يا شقى
الحظ ؟ أهى الفحمة التى كانت تحرق قلبك ، قلبك
الذى مزقه الجرح ؟

بيليكاس : (يصم اذنيه) ياللعنة ، فقط لو لم أكن قد سمعت .

مارينا : إذن ، لا تسألنى .

بيليكاس : وحق أى اله تعبدن ، خبرينى . هل تعتقدن أن الأمر
بهذه السهولة ؟ ألا ترين أننى أهوى لحظة بعد أخرى .
خبرينى ، إذن ، خبرينى !

مارينا : بماذا أبدا ؟

بيليكاس : باسم الرجل !

مارينا : كى تأمر براكاس بأن يقتله ، إيه ؟ فات الأوان الآن .
أنه قد مات .

بيليكاس : (مستاء) هو بدوره ؟

مارينا : هو بدوره .

بيليكاس : (منهارا) إذن . من كان ؟

مارينا : مضى على الأمر ثمانية عشر عاما . . حدث ذلك فى
هذا المكان ذاته . . فى بيتك هذا . . جئت بعد زواجك
لتقضى الصيف بصحبة هيلينى . ولكن فجأة جرفتك

إحدى حماقتك المعتادة . هجرتها وسافرت إلى اثينا .

غبت مدة طويلة ، الصيف بأسره تقريبا . . .

بيليكاس : أجل ، دعاني إلى هناك عمل جليل . ارسيت آنذاك الدعائم الأولى لثرائي . اشتريت سفيتين وبجسارة أرسلتهما إلى البحر بمخران عبابه . كنا في الحرب العالمية .

مارينا : كنا في الحرب العالمية . بعد بضعة أيام من سفرك ، عاد

ابن عمي ناسوس من الجبهة مصابا ، يعاني المرض . . .

بيليكاس : (ينظر إليها متألما .. بصوت اجوف) آه . . .

مارينا : لم تكن إصابته خطيرة ، لكن مرضه كان أشد . كان

يعاني من داء الصدر .

(صمت)

بيليكاس : (بصوت مبجوح) وبعد ؟

مارينا : جاء يقيم في الريف ، هنا في بيتنا . التأم جرحه رويدا

رويدا كما أخذ يشفى من مرضه . كنا نضع له مقعدا

ليجلس في الشرفة وقت الظهيرة . كان يقرأ ويتطلع إلى

الحقول ويحلم . كان ناسوس روحا حاملة ، وفنتي

وسيما . . .

بيليكاس : (ينهض على مهل . مرتعشا) إذن . . . كان هو ١٩

مارينا : بطبيعة الحال ، بدأ الأمر بالشفقة ، وبمشاعر رقيقة مبهمة .

كان هو يكتب أشعارا وكانت هيليني مغرمة بالأغاني ،

فكانت تطلب منه أن يقرأها لها ، وكانا يقرأها معا . .

- بيليكاس : (متخبط الخطى ، بصم اذنيه) اسكتى ! .. اسكتى !
- مارينا : هكذا بدا الأمر . وبعد ذلك .. بعد ذلك دون أن يتبين
الاثنان الأمر ، وجدا نفسيهما ينزلان المنحدر العذب .
- بيليكاس : (يهوى فجأة بقبضته على المضدة) يا للجنة !
- مارينا : إني امرأة ، وأشعر ذات الشعور . أهملتها ، ولم
تمنحها لحظة حب واحدة ! أن الأرواح التى تنتظر ،
يجب أن تعلم ذلك ، أكثر عطشا من غيرها .
- بيليكاس : (وقد اطبق قبضته) يا أيها القدر الأسود ! لم أعرف بالأمر
إلا الآن ! ..
- مارينا : أجل ، الآن .. لحسن الحظ ، إنك لم تعرف به إلا
الآن .
- بيليكاس : «لحسن الحظ» تقولين «لحسن الحظ» ! ياربى وإلهى !
والآن ، أين أضرب ضربتى ؟ هرب الاثنان . اختبأ
الرعديدان تحت بلاط القبر مثل الديدان . لا حدود
لسورة غضبى وتقزرى ! .. «لحسن الحظ» تقولين
«لحسن الحظ» تنحازين إلى صفهما .. (فجأة، متوحشا)
ايتها الغول ! أنت التى دفعتهما إلى ذلك . الآن ...
الآن يتضح لى كل شىء : فعلت ذلك ، من أجل
عقابى .. من أجل الانتقام منى . أين كانت عيناى
حتى الآن ! .. لك ، إذن أنا مدين !
- مارينا : كذب هذا !

بيليكاس : (يهجم عليها ، ثائرا) لا تقولى لى شيئا ! لا تتكلمى !
لا تبسى بينت شفة ! .. انى أتعرب عليك فى هذه الفعلة
السوداء ، الشيطانية . كنت تحفرين لى الهوة ، تنخرين
فى دعائى ، بينما كنت أصارع هناك بعيدا صاعدا حر
الروح منتشيا . ايتها الساحرة الشريرة سأغرقك فى
دمائك واختقك ! (يمسك بها . يتصارعون برمة) .

مارينا : أجننت ؟ .. يالامبروس ! ثب إلى رشذك .. إنك
تكتم انفاسى ... (دقات على الباب . يتركها) .

بيليكاس : (بصوت مبجوح) من بالباب ؟

مسانوس : (من الخارج) أنا ..

بيليكاس : ليس الآن !

(تنهض مارينا بعناء من على الأرض . بخطوات متخبطة يجوب بيليكاس
أرجاء المسرح مثل حيوان ضرب على رأسه . بدا الآن نائها وصار صوته
مكتبا) مهما بحثت عنهما .. لن أجدهما مهما بحثت
.. أفلتا منى . من بين يدي أفلتا .. اختبأ تحت التراب
.. (يتهد بحرقة) آه ! (يقع يده على عينيه) هكذا عميت .
عيناي ... (يجول يصره فى أرجاء الغرفة ثم فجأة) وربما كان ما
حدث قد حدث هنا .. فى هذه الغرفة ! .. هذا رائع !
(برباطة جاش ورنة احتقار خفيفة) اعتقدت أنك على قدر أكبر
من رجاحة العقل .

بيليكاس : (يثوقف . يستدير) ألا زلت هنا ؟

مارينا : (ثابتة الجنان) أنت بحاجة إلى الآن .

- بيليكاس : بحاجة إليك ؟
- مارينا : منذ الآن فصاعدا أنت بحاجة إلى عون ، يالامبروس .
- بيليكاس : لأول مرة في حياتك يتألم جسمك . لقد جرحت .
- بيليكاس : (مهتما ، يمضى بخطواته المتخبطة ويلقى بنفسه على كرسى ، وقد اغرورقت عيناه بالدموع) هكذا اذن . . . هكذا . . . ظننت أنني القوى المتفرد بينما الآخرون كانوا يضحكون من حولي .
- مارينا : كلا . أخذ الاثنان سرهما إلى القبر . وأنا الثالثة التي أعرفه ، لم أتكلم .
- بيليكاس : آه . . . (متألماً من جديد) ولكن ما الجدوى ! .. الوحشة باقية . . (كما لو كان يحدث نفسه) إذن حتى هي لم تحبني . . .
- مارينا : حتى هي .
- بيليكاس : لا أحد . (بعد هنيهة ، يعود إلى دائرة عذاباته المعنوية) اللعنة . . . ومن رجل مريض !
- مارينا : لا أعرف ما لو كانت قادرة أن تحب زوجاً عجوزاً . إن غرامها المذكور قد تولد عن الشفقة ، وهذا ما جعلها تزل . أعتقد أنها ما كانت تريد أن تخونك . .
- بيليكاس : (كما لو كان لا يفهم) آه . . . (يجل النظر حوله من جديد) كيف بدأت هذه الغرفة تكتسب لنفسها روحاً ، وأخذت تدب فيها الحياة ! .. (إلى مارينا دون أن ينظر إليها) قلت أنه كان رجلاً حالماً . . .
- مارينا : أجل ، من يدري ، ربما كان ذلك أيضاً لإحساسه بدنو الموت .

- بيليكاس : وكان فتى وسيما .. ومريضا ..
- مارينا : أجل ، كان كذلك .
- بيليكاس : (فجأة ، تزداد حيوته) و ... كم من السنوات ، تقولين أنها ،
قد مضت ؟
- مارينا : ثمانية عشر أو عشرون عاماً .
- بيليكاس : ابني .. هل تذكرين .. هل كان آنذاك ، وقد ولد ؟
- مارينا : (قلقة) الولد ، كلا !
- بيليكاس : (يتهد بارتياح) هذا أفضل .. على الأقل لم تصب الابن
خيانتها .
- مارينا : كلا ، لم يكن الابن .. قد ولد بعد !
- بيليكاس : مضت إذن ثمانية عشر أو عشرون عاماً ... (تدب فيه
حيوية مفاجئة .. ينظر إليها) ثمانية عشر أم عشرون عاماً؟
- مارينا : لا أعرف على وجه التحديد ...
- بيليكاس : (محاولاً أن يقدح زناد فكره) سأحاول أن أتذكر .. مضت
عشرون عاماً .
- مارينا : وما الجدوى من ذلك ؟
- بيليكاس : اسكتي ! أريد أن أعرف كل شيء . مضت .. أجل ،
عشرون عاماً ... عند عودتي من أثينا سمعتها تعلنتي
بالنبا السار . (منهكاً) ياله من شيء رائع شرف المرأة!
إنها أوضحت لى على وجه التحديد . الوقت الذى
تلقت منى بذرة ابني .
- مارينا : (صاخبة) أوه ! هيا ، دعك من هذا .

بيليكاس : (يتزايد انفعالا ، رويدا رويدا) فى تلك الآونة تماماً ، أفهمت ؟
ما من شيء جعلها تحجم ، ما من شيء جعلها تتردد .
ولا حتى خفقات الوليد الجديد الذى كان يتشكل فى
أحشائها .

مارينا : وما ادراك . ربما لم تكن قد أحست به بعد . . .
بيليكاس : كيف ؟ أتظنين هذا ؟ عدت إلى هنا من أثينا وقد دخل
الحريف . ربما كان ذلك فى سبتمبر . ومانوس ولد فى
يونيه . .

مارينا : (وقد استبد بها القلق) حسنا ! حسنا ، ليس لهذه الأمور من
معنى . . .

بيليكاس : (فجأة ، يقفز كما لو كان قد أكل نباتاً حريفاً) أوه ! . . . (يمسك
برأسه) يا إلهى !

مارينا : ماذا ؟

بيليكاس : اسكتى ! .. انتظرى ! .. (يتهدم) يالللخاطر الذى
ومض فى عقلى ! .. لكن ، كلا . . . مستحيل !
(ينفض عليها ويمسك بكتفها) قولى لى إنه كذب !

مارينا : عما تتكلم .. يالامبروس ! .. هل جنتت ؟

بيليكاس : (يزلزل كيائها ، ثم يتخلى عنها) أجل . . . أجل .. إننى فى
طريقى إلى الجنون .. أحس بعقلى يتخبط . . . كلا ،
كلا ، يا إلهى ..

مارينا : (مقتربة منه) ثب إلى رشذك .. اجلس .. إنسى
لا أفهمك .

بيليكاس : (بعف شديد) تفهمين ! ولكنك تضحكين على . تضحكين

على الآن أيضا كما كنت تضحكين قديما . كلكم ضحكتم على . أنت واللذان ماتا ، وابنـ... آخ ! (يضع يده على نكه) أواه ، يا إلهي الرحمة ، اجبني ! ...

مارينا : كفى ، يالامبروس ، اسكت ! سوف يسمعونك .

بيليكاس : (بآلم شديد ، جاثلا في أرجاء المكان متخبطا) من أسأل ؟ أين لى أن

أعرف ؟ لكننى سأعرف ، يجب أن أعرف ! وإلا فالحياة تضحى مستحيلة ... (امامها) أواه ، أيتها الغول ! لقد حطمتنى .

مارينا : وما الذى قلت لك ؟ لم أقل شيئا .

بيليكاس : لم تقولى لى . لكن يجب أن تقولى لى . ستقولين لى .

مثل هذا العذاب لا يجب أن تتركه فى فؤادى . منذ الذى أسأل أن لم أسألك أنت ! .. من ! (يطبق قبضته وينظر فيما حوله) من ؟ تلك التى رحلت ، هناك ؟ الميتة ؟ آخ ! لو كنت أقدر فحسب .. (تعلق نظره بالدولاب ، فيهمم عليه . يمسك بمقبضه الصغير ويجلبه بقوة عمياء . ويفتح الدولاب ، يثلف القفل . ضحكة خشنه) ها ! .. ها هى ! ها هى بأكملها ! .. إنى أمسك بها (يدس يديه ويحتضن فسائنها المعلقة . يتزعجها خارجا . يحتضنها بوله ثم يلقي بها أرضا ويدوسها بقدميه) انها هنا ! ... جسدها اللدافىء .. رائحته الفواحة ... وإنى أدوس عليه ! أدوس عليه ! .. (بطا الفساتين المبعثرة على الأرض بخطوات رقصة متخبطة شرسة) .

مارينا : انتظر بربك انتظر ! اصغ الى ...
بيليكاس : اجل ، اجل ، ها انا اصغى إليك . هذا ما أريده بدورى ! وما الذى اطلب أكثر من ذلك ؟ قولى لى .
مارينا : ماذا تريد أن أقول لك ، مادمت لا أعرف .
بيليكاس : (يمسك بها من جديد) قولى لى ، قولى لى !
مارينا : لا أعرف ، أقول لك !
بيليكاس : أليس لك قلب ؟ أليس فى عروقتك دماء ! أليس لك جسد ؟ أى شعبان كنت أضحم العديد من المرات الى صدرى ؟ ماذا تطلين أكثر من ذلك كى تشفقى على ؟ فليقف انتقامك عن هذا الحد . تكلمى .
مارينا : أحس بمعاناتك ، يالامبروس ، وأتعاطف معك . ولكنى لا أعرف شيئاً عن ذلك الذى تسأل عنه ! ...
بيليكاس : (ينخر راجعاً على قدميه) هيا ، هيا .. أرجوك ، إنى أتوسل إليك ، وأقبل قدميك ... ما الذى تريد من أكثر من ذلك ! انظرى الى : كنت لامبروس بيليكاس ! أما الآن فلست شيئاً ، مجرد مخلوق تعس ، لست الآن شيئاً . إنى أستجدى سكينتى الذليلة البائسة . كل مخلوقات هذا الوجود تنعم بسكينتها ، أما أنا فلن يعرف جفناى طعم النوم بعد الآن ، لن أذوق لقمة هنيئة ، لن أسند رأسى الى وسادتى خلى البال . أبدا . أنظرى الى . آخ ! إنسان خرب ، هذا أنا . موحش وحشة مريرة .

**مسارينا : انهض ، انهض . أقسم بروحى المقدسة أنتى لم أكن
أريد ذلك !**

بيليكاس : (ينهض بعناء ، وقد أثقلت الشيخوخة كاهله) لم تكن تريدته لكنه حدث .. وبفعلك حدث . انهار الصرح الشامخ . وداعا أيتها الآمال والأحلام الذهبية . كنت أرفع رأسي عاليا ، في كبرياء ، والسحب وتداعب جبينى . أما الآن فقد مُرَّغت في التراب . آخ ! التراب أليم ، وفى إصرار يحتفظ بسرّه المخيف ...

مارينا : أشفق عليك ، يالامبروس ييليكاس . أقسم بالله الذى
بدأت أو من به أننى أشفق عليك .

بیلیکاس : آخ ! إنک لا تشفقین علی بما فیہ الکفایة .

مارينا : إشفاقى عليك كبير ، فقد ضاع منك وقت الحب ،
وفات الأوان كثيرا .

بیلیکاس : إنك لا تشفقین علی . لو كنت تشفقین ، لتكلمت ، وقلت لی .

مساريننا : لا أعرف أن أقول عن ذلك شيئاً . ما من أحد في هذا العالم بإمكانه أن يجيبك على كل ما تسأل .

پیلیکاس : (یجر قدمیہ) وهل يجب إذن أن امضى حاملا هذا العناء

طوال ما بقي من حياتي ؟ ... (يقف أمام السرير - يميل

ويجلس عليه . ويمسك في رفق بالوسادة . ويمتلىء صوته بركة الاستجداء)

أصغى إلى أنت ، أنت يا من جرتُ عليك ، وظلمتك ..

ماعدت اضمير لك ضغنا . أنصتي إلى ... ترين أنني

في ميسس الحاجة إلى هذا الابن لأتكا عليه سنوات عمرى

الباقيات ، سنوات الشيخوخة الموحشة . أنصتى إلى .
إنى لا أريد أن أتزرعه منك . ما من أحد بقادر على ذلك .
ولكن أنا ؟ هل أبقى بلا ولد ؟ أترضين أنت بذلك ؟ ...
كف عن ذلك ، استحلفك بالله ! كف .

مارينا :

أوه ! شفاه القبر هذه الرخامية الباردة ، أين أجد حرارة
تجعلها تلين فتتحرك ناطقة بالكلمة الوحيدة ! ...

بيليكاس :

(مراجعة ، وقد استبدت بها الدهشة العميقة) هذا .. هذا لم أكن قد
تصورته ! ...

مارينا :

(يمضى فى سلاطفة الوسادة بحنان) خبرينى ، إذن ... ألا
تريدين ؟ ... كلا ؟ ... ألم تغفرى لى بعد ؟ ...
ألم تغفرى لى ؟ ... كنت ذات قلب طيب .. عامر
بالحنان .. وكان حبي لك فى محله .

بيليكاس :

(تراجعت إلى الباب ، وقد استبدت بها الدهشة العميقة) هذه إذن ما
انتهت إليه الأمور ! ... (تأخذ المصباح . وعلى مهل وبلاجلية ،
وقد تسمرت حينها على السرير ، تخرج) .

مارينا :

انظرى ! أصبحنا وحدنا . الآن ؟ ... الآن ،
ستخبريننى ؟ .. تعالى ، ارقدى إلى جوارى ...
فلنضجع لنستريح ، كلانا . قطعنا طريقا طويلا ،
اتكئى إلى ذراعى ... أوه ! ما أعذب الإحساس بثقلك .
لم أشعر به من قبل قط ... والقمر ! ... انظرى إلى
القمر ! ... كنت تحببته . (بكاء عميق) لماذا لم تعلمينى
أن أحبه أنا أيضا .

بيليكاس :

ستار

اندرياس اندونياديس

آدم وفانيسا

الشخصيات

آدم
فانيسا
رجل مجهول

زمن المسرحية : اليوم

المشهد : « حجرة فى شقة صغيرة . تستخدم كصاله ومكتب . فى أحد أركان الحجرة عدة وسائد وبيك - آب . وفى ركن آخر منضدة مرتفعة تستخدم كمكتب بكل لوازمه المألوفة . الحائط الذى يربط ركنى الحجرة حاجز زجاجى . ثمة باب يؤدى إلى حجرة النوم ، ويجواره باب آخر يقود إلى المطبخ . أمام الباب المؤدى إلى حجرة النوم اثنتان أو ثلاث سلال مما يستخدم فى الرحلات ، وشبكة بها رجالات .

ترتدى فائيسا ملابس مناسبة للرحلات . وتجلس على أحد الوسائد تستمع إلى مقطوعة موسيقية هادئة ، وتشتغل بصورها إلى الخارج . تفتد جلبية خطوات وتسمع صوت مفتاح يدار فى الباب . ثم يدخل آدم . يقرؤ فائيسا سلاما مقتضيا ، ويشغل بنفض المطر عن معطفه . تتطلع إليه فائيسا بنظرات مفعمة بالحب دون أن تجيب .

آدم : سلام . لماذا لا تجيبين ؟
فائيسا : أهلا . كنت منشغلة بالمطر .
آدم : (يخلع معطفه) أجل . . أفسد المطر ما خططناه ! .
فائيسا : فكرنا كثيرا فى هذه الرحلة (تنهض وتأخذ معطفه وكوفيته)
اليس كذلك ؟
آدم : حقا . كنت تقولين لى أن نكف عن أخذ الأمر مأخذ الجد ، وكنت أسخر من قولك هذا .
فائيسا : (تحاول الابتسام) أجل . كنت تسخف بى . ولكن ها هو الجو يمطر ، فلا نخرج إلى الرحلة .
(تخرج حاملة معطف آدم وكوفيته)

آدم : (يبحث عن سجائر . ينادى) فانيسا ، هلا أحضرت لى

السجائر ، من فضلك . إنها فى معطفى .

(يقترب من البيك - آب ، ويوقف الاسطوانة . تدخل فانيسا)

فانيسا : هل غيرت نوع سجائرك ؟

آدم : كلا . لم أجد السجائر التى آلفها فى المنطقة ،

فاشترت غيرها .

فانيسا : إذا كنت تريد من سجائرك فلدى منها

آدم : لا يهم . تعالى خذى واحدة من هذه .

(يشعل كل منها سجارة واقفين . تنظر إليه فانيسا) هل جرى شىء ؟

فانيسا : ولكن هذا التغيير يقلقنى

آدم : (مرحا) سندبر الأمور ، أليس كذلك ؟ سأساعدك فى

إعداد شىء للغذاء وسنستمع إلى موسيقى . وسوف . .

فانيسا : ياله من جو سىء .

آدم : متى تجمعت كل هذه الغيوم ؟ هل تعتقدن أن

فانيسا : أن الجو تعمد أن يفسد يومنا ؟ لماذا أوقفت البيك-آب ؟

آدم : كانت الأنغام شجنية للغاية .

فانيسا : ما الذى تفضله (تعود إلى أيبك - آب ، ويلهجة تداخلها بعض

السخرية) بالتأكيد ، شىء لا يشير الشجن . .

آدم : شىء ما يجرى من ناحيتك . يخيل للمرء أنك على

وشك البكاء .

فانيسا : دعك من الهزل

آدم : بالعكس . إننى ، بكل بساطة ، أحاول أن أشخص حالتك . . .

فانيسا : ليست حالتى بحاجة إلى ذلك . .

آدم : لماذا ؟ إننى أعتقد العكس . لا أرى سببا كى تكونى فى

هذه الحالة . كنا قد أعددنا رحلة إلى الريف . بالأمس فحسب ، كنا نتحدث عن الطريق إلى هناك والقرية التى سنزل بها الشطائر والمشروبات التى سنأخذها معنا ، واليوم المريح الذى كنا سنتنعم بقضائه . . والآن ؟

فانيسا : أنت على حق . كنا سنقضى يوما مختلفا عن أيامنا

الرتيبة . وخارجا عن . . أنت تعرف ، يا آدم ، أن كلينا بحاجة ملحة إلى الراحة . توترت أعصابنا إلى حد سىء . ألم تتبه إلى ذلك ؟ كم من مرة تشاجرنا هذه الآونة الأخيرة ؟ بالطبع كان يدب الشجار بيننا لأسباب واهية ومع ذلك كان كل منا يناول الآخر كلاما غير لائق . أعتقد أن هذا بدوره سبب من أسباب توتر أعصابنا ، واضحيننا نتصيد الفرص للتناحر . اليس الأمر كذلك ؟ الا توافقنى على ما أقول ، يا آدم ؟ والآن ، ينهمر المطر . ضاعت هذه الفرصة أيضا ،

ونحن نتحدث عن الرحلة . كنت تقول إننا لن نفوتها
مهما كانت الأسباب (بسخرية) نسينا وعود الأحاد .
ومع ذلك . كان الجو يبشر بيوم من أيام الصيف .
آدم . . لماذا لا تتكلم ؟

آدم : استمع إليك . أنت على حق فى بعض الأشياء

فانيسا : بل فى كل شيء

آدم : دعك من الإصرار والتشبث بالرأى

فانيسا : لماذا ؟ فيما لا توافقنى عليه ؟

آدم : فى مسألة السأم . تحدثت عن أسباب لعدم التوافق .

وعرضت واحداً من هذه الاسباب . السأم من الحياة
اليومية . تملكك من حياة كل يوم . هذا موضوع
السأم

فانيسا : (بعد تفكير) أجل

آدم : حقا ، لا أعتقد أن الأمر يقتصر على السأم

فانيسا : إذن ، ما الذى يجعل عدم التوافق يدب بيننا غير ذلك ؟

آدم : نحن .

فانيسا : ماذا تعنى ؟

آدم : شيء التوى بداخلنا ، منذ قرابة شهرين

فانيسا : منذ قرابة شهرين !

آدم : أجل ... بالطبع مررنا بمرحلة صعبة ، تركت بصماتها ...

فانيسا : و ؟

آدم : يخيل لى أن الجراح لم تلتئم . نستخدم من أجل ذلك شتى الحيل . نتظاهر بأشياء حتى نؤكد لأنفسنا أن ما من أمر حدث منذ شهرين . ولكن دون جدوى ..

فانيسا : دون جدوى ؟ لم تقول ذلك ؟ لماذا تبخس من جهدى الذى أبدله ، وجهدك الذى تبذله أنت بالطبع ؟ تعلم جيداً أن حياتى لم تكن على هذا الحال من قبل .. تعرف أننى حاولت أن انصاع لموال حياتك ، أن أتجاوب معك . كل يوم حاولت أن أصبح آدمًا آخر ، صورة طبق الأصل منك ..

آدم : وما الجدوى من ذلك

فانيسا : أكان الأفضل أن أفعل مثلك وأختط لنفسى نهجاً خاصاً لحياتى ؟ أكان من الأفضل أن أضيع لىالى بأكملها منزوية فى أركان مبهمه ؟ هذا ، لمجرد أنك مررت بمرحلة سيئة فى حياتك ؟ أكان من الأفضل أن أنسحب من وجودك ؟ أكانت هذه هى المساعدة التى أسديها لك فى لحظاتك الصعبة ؟

آدم : فانيسا ، ليس

فانيسا : (غير متالكة لنفسها) تريدنى أن أختفى من حياتك ؟ أن
انمحي ؟ انزويت فى هذه الغرفة ، وظللت أنتظرك
أغلقت على نفسى بابى واختليت بذكريات حبنا ،
محاولة أن أرعم لنفسى أننى لم أنخدع ، من المستحيل
أن نكون فد عشنا كل هذه اللحظات الحبيبة ، لحظات
الصدق تلك ، ويكون كل ذلك قد اندثر ، وانمحي
الآن وخلصت إلى أنك كنت تحببى ، وأنتك سوف
تعود . سوف تعود فى اللحظة التى تفيق فيها وتريد أن
تجد نفسك هنا ، فلماذا لا تجدىنى ؟ . . . وبقيت دناى
كلها كما كانت عليه .. هيه . . . أى شىء من
متعلقاتك الشخصية قدر له البقاء هنا إن عمدا أو
مصادفة .. صحيفة ، علبة سجائر ، قطعة من
ملابسك الداخلية ، ماذبجته من كتاباتك وقليل من
الموسيقى . كثيراً مامر أصدقاءؤنا للاطمئنان علينا ،
فكنت أنتحل لغيابك الأعذار . كنت أقول لهم طراً له
ظرف بالغ الأهمية وأبتسم بسذاجة وأنا أعتذر عن قبول
دعواتهم للخروج فى نزهة أو ارتياد إحدى دور السينما

آدم : كنت فترة صعبة

فانيسا : وقد اجتزناها .

آدم : لا جدوى من كلامك ، يا فانيسا . لماذا تقولين أننا
اجتزناها ؟ لماذا ندأب في هذه الآونة الأخيرة على
تلمس أسباب للشجار ؟ لماذا أمضى أقاوم وأرفض منذ
شهرين ؟ لماذا نبدد ليالينا ، وأنت تتشبثين بالانتظار ؟
لماذا أحاول أن أبدع بيئة جديدة للحياة ؟ لماذا يتحاشى
كل منا الآخر ؟ لماذا لم أعد أشعر بما كنت أشعر به في
حيننا من قبل ؟

فانيسا : آدم

آدم : إننى أعترف . مهما كان الأمر مأساويا ، لكنى به
اعترف . فى لقاءاتنا التى أضحت نادرة ماعدت أشعر
بما كنت به من قبل فى لقاءاتنا السابقة .

فانيسا : آدم . .

آدم : أزداد تقززا من نفسى ، لأننى اتخلى عنك كل مرة
وأنت فى ذروة معاناتك . ومع ذلك . فإن الجراح ،
والرضوض التى تخلفت عن الأحداث المعروفة التى
جرت منذ شهرين تضغط على وتلح ألا أحس
بالارتياح معك فقط ، لو كنت أستطيع أن . . .

فانيسا : أنت قوى . . ستنجح ولكن لا تتحدث هكذا . . لا
تنشر الغسيل القذر .

آدم : لست سمججا ، وأنت تعرفين ذلك . وفى الكلام ، لا

أتدنى . بل بكل بساطة أحدثك فحسب بصراحة ،
كى تدركى أنها ليست رتابة الحياة اليومية السبب فيما
أصاب أعصابنا من توتر ، أو ربما بعبارة أدق ليست
هى وحدها السبب فيما أصابنا

فانيسا : ومع ذلك ، فإننى أحبك ، يا آدم

آدم : أعرف ذلك ، يا فانيسا (يتوقف شارد البال ، يبحث عن سبب
يشعل سيجارة . ويدعوها إلى التدخين) هل تريدين سيجارة ؟

فانيسا : كلا ، شكراً . .

آدم : يجب أن أثوب إلى نفسى .

فانيسا : تثوب إلى نفسك . .

آدم : فليكن . . . (صت)

فانيسا : لماذا لا نتحدث ؟

آدم : هل يلزم أن نقول شيئاً أخرى ؟

فانيسا : أجل ، يا آدم . . يلزم ذلك . . (تلتفت إلى النافذة الزجاجية)

لم يتوقف المطر ، بعد . . . يمكننا أن نواصل
الحديث ، إذن . .

آدم : هلا توقفنا قليلاً ، للاستراحة . . .

فانيسا : استراحة ؟

آدم : أجل ، كجملة اعتراضية فى حديثنا . . .

فانيسا : هل تعتقد أنه لاغناء عن ذلك ؟

- آدم : سادير بعض الموسيقى الآن .
- فانيسا : كما تشاء . هل تشعر بالجوع ؟ تريد أن تتناول شيئاً ؟
- آدم : هيه . فلنر ماذا أعددت للرحلة . (تمضي فانيسا إلى سلة
الماكولات ، بينما يضع آدم اسطوانة ذات نغمات مرحة) هل تروق لك
هذه المقطوعة ؟
- فانيسا : لا تتفق مع الجو ، إلا إذا كانت تروق لك جداً . . .
- آدم : حسناً ، حسناً (يوقف الاسطوانة . ويبحث عن غيرها ، جالساً على
الوسائد)
- فانيسا : (تقترب منه ، حاملة شطيرتين . تجلس إلى جواره) هل تعجبك هذه
الشطائر ؟
- (يتخلى آدم عن سيجارته)
- آدم : فلاأذق طعمها نحن ، أولاً . هيه . . . لذيذة . . . هيه .
لذيذة جداً . . .
- فانيسا : أيها العنيد ، يامن لن ينصلح حالك .
- آدم : لماذا ؟ لماذا ؟ (يكون وجه فانيسا شديد الاقتراب من وجهه . يتجه إلى
ذلك ،)
- فانيسا : (يتعد عنه) هل وجدت مقطوعة موسيقية مناسبة ؟
- آدم : أجل . . . أجل . . . موسيقى تتحدث عن المطر .
- فانيسا : (بابتهاج) شاطر . إنها (تجد مشقة في تذكر اسم المقطوعة) إنها
. . . لا تخبرني باسم المقطوعة . . . (ترفع يدها إلى جبينها)
(مبتهجة) " حكايات المطر " !

آدم : شاطره . أهنتك (يضحكان)

فانيسا : ما الذى جعلنى أنسى اسم هذه المقطوعة . إننى أذكرها
كما أذكر المناسبة التى سمعتها فيها ..

آدم : أهو الاسم مانسيته فقط ؟ !

فانيسا : لا تسخر منى . هيا اذن ، فلنسمعها . (يضع آدم الإسطوانة ..
على اليك-آب . يفرغ من الشطيرة . يعلو صوت المقطوعة فيتبادلان النظر)

آدم : أتذكرين ؟

فانيسا : هيه

آدم : سنة مضت .. عندما تعارفنا ...

فانيسا : تماماً ..

آدم : كان الجو يمطر .. وأنا كنت أحاول بيع منتجات
إحدى الشركات .

فانيسا : هيه . كنت موزع منتجات ... وطرقت الباب كى تسأل
لو كنت أحتاج إلى أدوات تجميل - مساحيق للوجه .

آدم : أجل ، كنت آنذاك أحاول أن أحصل على توكيل تلك
الشركة ...

فانيسا : (نجول يصورها فى أرجاء الغرفة، كما لو كانت تعين المسرح) فتحت لك ،
كانت ثيابك تقطر مطراً . عندما فرغت من كلامك
عن سلعتك دعوتك إلى قدح من الشراب ، فقبلت .
وجلسنا فى هذا المكان هناك نتبادل أطراف الحديث .

آدم : كما لو كان كل منا يعرف الآخر منذ قديم

فانيسا : أجل ، أنت على حق . مضينا نتحدث بألفة عن مشكلاتنا . وكان ثمة ما يجمع بيننا ، وهو العزلة . كان قد مضى عام آنذاك على فقدى لأنجيلوس .

آدم : فانيسا ، كفى عن هذا الحديث . لن يعود عليك بالنفع أن

فانيسا : إنه لا يضرني ، كما أن ثمة مبرراً لذلك . . .

آدم : ما هو ؟

فانيسا : سوف ترى . حالا . مضت حياتى رتيبة . لحظات سقيمة فى جو من الغرابة ، مختنقة فى مربع مكانى . على أن الكارثة (تقرب) بعد عام قررت أن أرحل . ولكنك دخلت ، وسألتنى ما لو كنت بحاجة إلى مساحيق لوجهى . وتحدثنا فأعتقدت أن الحياة تبدأ مرحلة جديدة . آدم ، هل تفهمنى ؟

آدم : فانيسا ، ما الذى تريدان الوصول إليه ؟

فانيسا : إلى ما أنا بحاجة إليه ، لأن ماضى يأخذ بخناقك . وتخاف منه .

آدم : فانيسا ، دعك من الحماقة

فانيسا : كلا ، يا آدم . أعرف ما أقول . .

آدم : هل تمزحين إذن ؟

فانيسا : لا أمزح على الإطلاق ، بل إننى لم أكن جادة فيما أقول قدر ما أنا الآن . أنت على حق ، إذ تريد الرحيل . كنت على الدوام تهوى التغيير . ألم تخبرنى بكافة الأعمال التى تقلدتها فى سنوات عمرك ؟ ألم تحدثنى عن كل النساء اللاتى عرفتهن ؟ لماذا إذن سوف يتغير طبعك ، الآن ؟ هذا مستحيل . .

آدم : ليس هذا هو السبب ، يا فانيسا . تعرفين جيدا ، أننى لم أعر ماضيك اكترًا قط . كما أن ماضى أنا ليس بأفضل من ماضيك . . أننا نرى من نحب على ما هم عليه فحسب . نراهم بكل عيوبهم . واخفاقات حياتهم . أنه لسوف يكون شيئاً مضحكاً حقاً ، أن تتطلب المثالية فى هؤلاء فحسب . ولكن مع ذلك . .

فانيسا : ماذا ؟

آدم : (بتراجع عما كان سوف يقول) لا يستحق الأمر أن نعاود الموضوع ذاته .

فانيسا : ولم لا ؟ على الأقل ، يجب أن نعرف السبب الذى نفترق على أساسه .

(يشعل كل منهما سيجارة ويجلسان . يتوقف الحاكى . تطفئه فانيسا) فأتنا

أن نستمع إلى الأغنية .

آدم : فلنستمع إليها ، إذن .

فانيسا : لا يحتاج الأمر إلى موسيقى تصويرية . أفضل أن تبقى
الدراما بلا زخارف غير مجدية . . .

آدم : لا تجعلى من نفسك مثار سخرية . معذرة ، لم أكن
أريد أن أوجه إليك إهانة . . .

فانيسا : لا تعر الأمر اكترأا . . فى كثير من الأحيان كانت
أعصابى تثور ووجهت إليك بدورى الشتائم . هل
تذكر ذلك ؟

آدم : لا يستاهل الأمر ، الآن ، أن يكشف كل منا عن
صغائر الآخر ، ونحدث عن عيوبنا . . .

فانيسا : حسنا ، حسنا . . توقفنا إذن عند " هم معنا " أليس
كذلك ؟

آدم : أعترف بشخصيتى البشعة ويطباعى السيئة . أعترف
بتقلبنى وميلى إلى التغيير . ولكن ليس هذا ما فى
الأمر . هناك ما حدث منذ شهرين . . .

فانيسا : (ضاحكة فى عصية) ألم أكن أعرف ذلك ؟

آدم : اعتقد أنه كان مجرد كابوس عابر ، حلم مزعج سرعان
ما سوف يمضى إلى حاله ، وأعود لأكون آدمك
القديم . ولكن شيئا من هذا لم يحدث . ومضى
الكابوس يستحوذ على أفكارى كلها . .

فانيسا : (ضاحكة فى عصية) تلمس أعذارا ، أعذارا فحسب . .

آدم : اعدارا ؟ .. (مواصلا حديثه) أقول لك كوابيس ..
أتسمعين ؟ كنت أشعر بأننى مدان وأعرف أننى لست
أثما ... كل يوم كنت أقرر أن أعود إلى ما كنت
عليه فى الأيام الخوالى ، ولكن ما من شيء حدث .
وعندما قررت فى النهاية أن أواجهك ، اعتقدت أننى
سوف أقدر . وكل ليلة كنت أطارحك فيها الغرام ،
لبثت أضغط على نفسى موهما إياها أن ما من شيء
يحدث ، ولكن كل هذا كان بلا جدوى . عندما كنت
أتحاسب مع ضميرى على ما كان يحدث ، كان عقلى
يتوقف ويصاب بالشلل ، وجسدى يسرى فيه خدر ..
وانت كنت تطلبين منى حبا ، لم يكن له وجود ..

فانيسا : ولماذا ؟

آدم : لأننى لا أحبك

فانيسا : (مزجرة مولولة) كيف ، ولماذا ؟

آدم : (بقوة) لا يوجد تفسير .. هذا ما كنت أشعر به ،
فحسب .

فانيسا : (تقترب منه وترفع يدها كي تصفقه) لماذا ؟ ألا أروق لك ؟

آدم : لك أن تفهمى الأمر على ما تشائين .

(يخطف يديها ويمسك بهما . ويواجه كل منهما بالآخر) أجل ..

أجل ...

فانيسا : (تحاول الإفلات من قبضتيه) ماذا فعلت أنا ؟ لماذا لا أروق لك ؟ هل كنت تريدني أن أتشبه بالعاشرات ؟ هل تريد أن أكون عاهرة ؟ ماذا تريد ؟ .

آدم : أنت تجعلين من نفسك أضحوكة . . .

فانيسا : سبق أن قلت لى ذلك . أجل ، إذن ، فأنا أضحوكة . وسوف أضحي عاهرة . . تريد ذلك ، أليس كذلك ؟
آدم : (بصوت أقوى) أنت مجنونة .

أنت مجنونة . . (تنظر إليه فانيسا بلوثة . ثم تهوى واقعة إلى الأرض . يحاول آدم أن يجعلها تتمالك نفسها . ثم فى النهاية يجرى إلى المطبخ ، ويعود حاملا كوبا من الماء . تجرعه فتفريق إلى ما حولها) .

فانيسا : آدم . . أشكرك

آدم : هل أنت على ما يرام ؟

فانيسا : ليس بى شىء . أنا بخير . . وأنت بخير . . وكلنا بخير . . هل أنهض ؟

آدم : أستطيعين ؟

فانيسا : بعونك ، أستطيع بالطبع . (يعاونها آدم على النهوض . ثم يمضى الهوينا إلى النافذة وينظر وراء الزجاج) توقف . توقف المطر . . هل سترحل ، يا آدم ؟

آدم : كلا . . (تلفت إليه فانيسا وتتنظر إليه نظرات تكاد تكون سعيدة) .
كلا ، لن أرحل قبل أن تستردى عافيتك . .

فانيسا : ولكتنى .. بخير .. إسمعنى .. بعد ما حدث أشعر
أنتى كنت مضحكة ..

آدم : اسكتى !

فانيسا : لهذا يجب أن نفعل شيئا ، كى ينمحي من ذاكرتينا
هذا المشهد السمج . هل تريد ذلك ؟

آدم : فانيسا ، أنت مريضة ...

فانيسا : لا تشرع من جديد فى توجيه الالهات إلى ، يا آدم .
إنى على خير ما يرام ... وأريد أن تنفصل على نحو
متحضر قدر الامكان .. بلا مأس ونوبات هستيرية ..
وأنت بدورك تفضل ذلك .. أعرف ، ولهذا ،
انتظر ... (تضع يدها وراء كتفها وتحاول أن تفك أزرار رداثها
الخلفية .)

آدم : فانيسا ، ماذا تفعلين ؟

فانيسا : لا تتزعج (تضحك) لأ أنوى أن أحتفظ بها مؤدية أمامك
رقصة الاستريبتير (تمكنت من فض أزرار رداثها) وإنما أنوى
أن أغير ملابسى ، كى نفترق على أكرم نحو يستطيع
زوجان أن يفترقا عليه . أقصد على نحو أرستقراطى .
هل يروق لك ذلك ؟

آدم : فانيسا أرجوك .. (بغضب) لا تخلعى ملابسك
أمامى ...

فانيسا : (ضاحكة) حسنا ، حسنا ، يا آدم ..

(تستدير وتمضي متجهة إلى غرفة النوم . تشمهل عند بابها ، وتحدث إليه
بلهجة جادة لا تخلو من اضطراب) فقط ، أعد شيئا نشربه
ودعك من سحنتك الجهمة هذه .. أرجوك .. لا
أستطيع أن أراك تنظر إلى هكذا .. ولا أريد أن أبكى
أمامك .. يا آدم ..

(تدخل الغرفة . يشعل آدم سيجارة ويجمع الأشياء من الأرض . ثم يجلس
على الوسائد . ويضع اسطوانة ' حكاية المطر ' على البيك أب ، ويجهز
الكاسان) .

فانيسا : (من غرفة النوم) آدم .. لماذا أدريت ' حكايات المطر ' ؟
المطر توقف ، بالخارج . (تضحك) وحكايتنا نحن
انتهت .

آدم : لا تضحكى ، يا فانيسا ...

فانيسا : (تدخل مرتدية ثوبا من ثياب السهرة . وتحمل معطف آدم وكوفيته) آدم !
(بلهجة من ثثار لنفسها) هل أعجبك ؟

آدم : لماذا تعاودين المهزلة ، يا فانيسا ؟ لماذا ؟

فانيسا : ولكن .. يا آدم ، أننا نفترق ، بلا مأس . هذا كل ما
فى الأمر (تنير من لهجتها) إنك لم تحبنى ؟ هل أعجبك ؟
أروق لك ؟

آدم : أجل . وعلى الدوام كنت تروقين لى ، وأعجب

بك . ولكن ما هذا الذى تتأبطينه ؟

فانيسا : ما تراه بالضبط (بنبرة سخرية) حذارى إذا ما رحلت . لا

أريدك أن تقفل راجعا بعد خمس دقائق ، لاننى إذا ما

عدت لن أتركك ترحل من جديد . استوفيت فرصة

كافية كى تتخذ قرارك هذه الآونة الأخيرة !

آدم : فانيسا ، ما الذى تحاولين قوله ؟

فانيسا : (بلهجة تشف) أنا نفترق .. وسنظل صديقين ..

آدم : ما الذى يلجئك إلى هذا الهزل ؟

فانيسا : إننى أهزل . ولكن ما الذى يجعلك لازلت تستبقى

هذه الموسيقى ؟ (تمضى إلى البيك-آب وتوقفه) إذن ؟

سوف .. سوف ترحل ؟

آدم : (مستاء من استفزازها) أجل .. احتملتك بما فيه الكفاية ..

ألا تعتقدين ذلك ؟

فانيسا : (بسخرية) وماذا أفعل ؟ الدور المسند إلى يحتم على

ذلك (تناوله معطفه وكولته . فيرتديهما بسرعة . وباضطراب يتوجه إلى

الباب ، يفتحه .. ولكنه يتركها فى الحرق) .

آدم : (بتزعة إلى العاطفية) سلاما ، يا فانيسا .

(بخطوة أو خطوتين إلى الامام) .

فانيسا : سلاما . لا داعى أن تقبلنى !

(يدفق آدم النظر إليها) آدم ! .. لماذا ينادونك ، يا آدم ؟

آدم : لا أحد يناديني .. أنت وحدك تهتفين بهذا الاسم .
أن إسمى

فانيسا : (تقاطعه بإيماء من يدها) لم يعد لذلك بعد الآن معنى ...
سلاما ... يا آدم ..

(يخرج آدم من الحجرة . تقترب فانيسا من الباب الزجاجي . وتراقب ساكنة
ما يحدث بالخارج . ثم تعود بعد قليل إلى الحاكى وتديره وتكتب على
الاستماع إلى ' حكايات المطر ' . يفد وقع خطوات تصعد درجات السلم ،
فتجرب بلهفة ورجاء إلى الباب . وتفتح) .

فانيسا : آدم ، يا حبيبي .. (عند عتبة الباب يقف رجل مجهول يرتدى
معطفا ويحمل في يده حقيبة . وإذا تراه فانيسا تدير له ظهرها وتغطي وجهها
بيديها . ويتد من شفيتها صوت مغمم بالياس والأسى) .

الرجل المجهول : (مرتبكا من وقع المفاجأة) معذرة ، هل أخفتك ؟
(يراها تفقد توازنها فيلقى بحقيته ويهرع إليها ويمسك بها كي يتفادى
سقوطها) ماذا حدث ؟

فانيسا : (بهتيرة) أتركنى ..

(تفلت منه وتجرى إلى الحائط الزجاجي . تسند إليه ظهرها وتحملق في
الرجل بنظرات ملؤها الرعب . ولكن ما يلبث التعبير أن يتغير على قسمااتها .
وتسأله بصوت أنثوى)
ماذا تريد ؟

الرجل المجهول : (مرتبكا ازاء سلوكها الغريب نجاهه) تعرفين . . أنا مستخدم بشركة لأدوات التجميل (تضحك فانيسا) وكنت على وشك أن أطرق بابك لأسألك ما هي أدوات التجميل التي تستعملينها . وذلك من أجل دراسة تجربتها الشركة . .
شيء من قبيل الإحصاءات ، كما تعرفين . (يتوقف عن الكلام ، وهو يراها تضحك وتضحك بشدة وعصية . غاضبا .) ما الذى تريته مضحكا ؟ لماذا كنت تولولين فى البداية ، والآن صرت تضحكين ببلاهة ؟ على أى حال ، ما الذى جرى لك ؟ بالله ، خبرينى ما الذى جرى لك ؟

فانيسا : (بهدوء) تريد أن تعرف ماذا جرى لى ؟

الرجل المجهول : (باهتمام) أجل ، أجل . .

فانيسا : إذن . . تفضل بالجلوس (يهم الرجل للمجهول بخلع معطفه فتقبل فانيسا راضية لتعاونته ، وهى تبسم له) ما الشراب الذى تفضله ؟

الرجل المجهول : (وقد زابت له الرهبة) كونيّاك ! . . .

فانيسا : (مقترية من الخافى) سأجلب لك الشراب ، ولكن دعنى أولاً أغير الموسيقى .

الرجل المجهول : وما السبب ؟ أنها موسيقى طيبة .

فانيسا : هل تروق لك ؟

الرجل المجهول : أجل . كما تروق لك أنت أيضا ، يا آنستى . . .

فانيسا : إسمى فانيسا . وأنت بلا شك اسمك آدم . . (يقترب كل منهما من الآخر يبطء . وقبل أن يتعانقا .. تخفت الإضاءة)

ستار

يورغوس سكورتيس

.

.

هموم الآخرين

الشخصيات

ماجدة
اليكوس

(المكان مقدس بالأشياء وياد عليه الإهمال . تقوم ماجة - وهى فى الأربعين من عمرها ، عصبية ، غير معنية بمظهرها - بكى الملابس . من الغرفة الداخلية يسمع بكاء طفل . تترك المكواة بسرعة وتجري إلى الداخل . يتوقف البكاء . تعود ماجة حاملة الطفل فى حضنها ، وتهدهده . تضم الطفل إلى صدرها بذراع ، وتحاول أن تمضى فى كى الملابس بيدها الأخرى . وفجأة تتذكر شيئاً . فتترك المكواة ، وتعكف على البحث من حولها ، ترفع الأشياء وتنظر تحتها . تعثر على منبه . تحاول ملأه بقلق ، وتجري إلى المطبخ - الذى يبدو للعيان - وهى تحمل الطفل والمنبه . تحاول أن تفتح باب المطبخ ، فتضع الطفل فى الحوض ثم تعود إلى حمله ، تبحث عن مكان تضع فيه المنبه . وفى النهاية تلقى به فوق كومة من الثياب . تشعل الموقد ، وتتناول قدرا تضعه على النار ، ثم تجرى إلى المكواة ، وتضعها فى وضع عمودى حتى لا تحرق الثوب المكوى . تعود إلى المطبخ ، وتقلب ما فى القدر من طعام . ترش عليه بعض الملح . كل ذلك والطفل فى حضنها ، وقد بدا عليها القلق .

يرن التليفون . تحاول بجنون أن تعثر عليه لكنها لا تجده . يرن التليفون أربع مرات ثم يكف . تكتشب ويزداد قلقها . وفجأة يتغير مسلكها . تقبل الطفل ، وتهدهده ، وتلاعبه ، وتبسم له ، وتحمله إلى الغرفة الداخلية) .

يرن التليفون من جديد .. تأتى ماجة من الداخل ، وهى تجرى بدون الطفل . ولكن ما أن تهتم بالبحث عن التليفون حتى يتعالى بكاء الطفل ، فتتوقف ، ولا تعرف إلى أين تذهب أولاً . وفى النهاية تعود إلى غرفة الطفل . فيكف البكاء . ثم تعود ماجة بسرعة للرد على التليفون . ولكنه الآن وبعد أن رن خمس رنات يتوقف ... يتأبها الإحباط ، وتدور حول نفسها فى حركات هوجاء . توشك على البكاء ، وهى تخاطب الطفل . وفجأة تجرى إلى المطبخ ، ترفع غطاء القدر . تلمس يدها ، فتلقى بالغطاء إلى الأرض ، وتضع أصبعها فى فمها ... تترك القدر بغير غطاء وتجري إلى مقدمة المسرح تبحث عن شيء ، وهى تحمل الطفل فى حضنها ، واضمة إصبعها فى فمها . تترك أشياء مختلفة تلتقى بها فى طريقها . تعثر مصادفة على أحد المجلات ، فتقلب صفحاتها بقدمها العارية ، وتشاهد الصور فى هدوء . تجد أمامها المذياع فتفتحه بغير مبالاة ، وتواصل البحث ... يقدم المذياع برنامج لريات البيوت ، ولكن ما يقال فيه يخالف تماماً كل ما تفعله ماجة . تأخذ الطفل إلى الغرفة الداخلية .

يفتح باب الشقة فى هدوء بفتح ، ويدخل اليكوس زوجها وهو فى الخمسين يبدو عليه أنه موظف متحفظ خجول ... يغلق الباب برق ، ويتأمل الفوضى الضاربة أطنابها فى البيت . يبدو عليه القلق بدوره . ولكن قلقه تختلف مظاهره عن قلق ماجة . فإذا كانت هذه عصبية الحركات ، فإنه على العكس ساكن الإيماءات ... ويبدو عليه أن ثمة شيئاً داخلياً يعذبه ، مشكلة ما تعكس على قسما وجهه حزناً عميقاً ... يقف عند الباب فى حالة من اليأس ...

تأتى ماجدة ، بدون الطفل ، ولا زالت تدمس إصبعها فى قمها ، وتواصل البحث . ويمتنعها استغراقها من أن ترى زوجها فوراً . وفجأة ، تذكر المكواة . تجرى وتنزعها من (البريزة) ثم تهوول إلى الطبخ وإلى القدر ... وفى طريقها إلى هناك تلمح اليكوس . ولكنها لا تتوقف تتكلم إليه وهى مارة به .

ماجدة : آخ ا . .

اليكوس : سلاما ، يا ماجدة . . .

ماجدة : (من الآن فصاعدا ستتكلّم إلى اليكوس دون توقف ودون أن تعبّرہ الثغرات .

وسيكون حديثها ناضحا بالمعاناة ، مثلما يبدو على حركاتها . وستتحرك بلا

انقطاع ، وتزدى عدة أعمال ، دون أن تتجزأ أيا منها ، تترك عملا لتجرى إلى

غيره ، وذلك كما كان حالها قبل أن يأتى اليكوس)

سلاما . الطفل ليس فى حالة طيبة اليوم . إنه دائب

البكاء . يبدو لى أنه عصبى المزاج . لا يستطيع أن

افهم كيف يكون الأطفال عصبى المزاج . هذه

المخلوقات الصغيرة كيف يكونون عصبين .

(لا زال الملباع يث إرساله . يقف اليكوس متوترا متصلب القوام كما لو لم يكن

فى بيته . ويفلق الملباع بحركة صريحة . ولكن ماجدة لا تنبه حتى إلى ذلك ...)

الأولاد بشبهونك ، على ما يبدو . الولد الكبير انفلت

عياره . ما عاد بإمكانه أن تتحدث إليه . يشور . تقول

له " يا بنى لا تصح . الزم هدوءك . لا تجسدى

الأعصاب الثائرة الإنسان فى شيء " لكنه يزداد

صخباً ، ويكسر الأكواب .

(يحاول اليكوس أن يخلى مقعدا تكدمت عليها أشياء ، كى يجلس ...

تواصل ماجدة انشغالاتها فى كى الملابس ، والطبخ ، وغير ذلك) .

اليكوس : هل كسر كوبا آخر ؟
ماجدة : لا أعرف كيف يحدث هذا ... أجل ... هل أنت
متعب ؟ ... جائع ؟ ... لحظة واحدة ... بعد
لحظة أفرغ .

اليكوس : اجلسى إلى جوارى ، قليلاً .
ماجدة : إننى قادمة ... لحظة واحدة ... (تضع كوس الكواة) هل
وضعت ملحاً فى الطعام ؟

اليكوس : ماذا ؟
ماجدة : ملحاً . أقول ملحاً . أجل وضعت . ولكن حتى لو
لم أكن قد وضعت ، ضع أنت ، إذا أردت ، أليس
كذلك ؟ قال الولد الكبير أنه لن يأتى لتناول الغداء .
أنه على موعد . هو مدعو للغداء . فى الآونة الأخيرة ،
يدعونه للغداء كثيراً . تلدهم ، تربيهم ، تشقى من
أجل أن يكبروا ، وفجأة يقولون لك " أنا مدعو للغداء "
وهوب ، تفقدهم ألم تفقد ماريا بهذه الطريقة ؟ بينما
كانت تؤنسنى ، وتضحك لى ، وتلعب معى ،
صاحت بى فجأة " إننى راحلة " أين وجدت نيقوس ؟
متى كلمته ؟ متى رتبنا أمورهما معا ؟ متى تزوجا ؟
راحت هى الأخرى ... (تشرع فى كى بعض ملابسها الداخلية)
ملابسك الداخلية تسخ كثيراً .. لا يضيرنى أنا ذلك ،

ولكن من أجل صالحك ، يجب أن تذهب إلى
طبيب ، كي يعطيك علاجاً للبواسير .

اليكوس : ليس الأمر بذى أهمية . إلقى عنك كل هذا . .
وتعالى اجلسى معى قليلا !

ماجدة : أنت تقول لى ذلك . . . تقدمت بنا السن ، ويجب أن
نكون أكثر حذرا . أقول لك يجب أن ترتدى سراويل
داخلية من الصوف ، لكنك تتصرف كصبى ، وتلبس
سراويل داخلية قصيرة ، تختارها زرقاء اللون .
(تضحك) سراويل داخلية قصيرة ، سراويل داخلية
قصيرة ، ولكن عليك أن تهتم بالبواسير . . .

اليكوس : (يبدو عليه على الدوام أن لديه ما يريد أن يقوله لها) ماجدة . . .
ماجدة : الطفل دائم البكاء . . وددت أن أعرف ما الذى يريده
بيكائه .

اليكوس : ماجدة . . . أريد أن أقول لك شيئا .
ماجدة : الأكل . . . (تجرى إلى المطبخ ، تلبس الطعام ، تلسع يداها الاثنتان ،
تحاول أن تختبر مذاق الطعام ، تلسع شفتيها . توجه إلى زوجها بعض
الإيماءات كي يرفع المكواة عن السروال . لا يفهم اليكوس ما تقصده .
يلتهب فمها . تجرى بمسكة بالملقعة الكبيرة فى يدها ، ترفع المكواة ، تتساقط
بعض قطرات من الصلصة على الملابس البيضاء . يتأبها اليأس . تقذف
الملقعة إلى المطبخ . تتناول أحد الملابس البيضاء تبصق عليه ، تدعكه ... تثبط
همتها ... تلقى به) .

اليكوس : (برقة وحياء) لا يهم ذلك .. قلت لك أن تستأجرى خادمة لمساعدتك ..

ماجدة : لماذا تقول لى ذلك ؟ (تنخرط فى لهجة احتجاج) ألا أجيد عمل البيت ؟ ألا يعجبك الطعام ؟ ألا أننى وسخت هذا السروال ؟ ..

اليكوس : كلا ! كلا ! ليس هذا هو السبب ، بل أقصد كى لا ترهقى نفسك ... كل هذه السنين تفنين نفسك هنا ... أن الأوان أن تكفى .. اجلسى إلى قليلا .

ماجدة : (تسترد أعصابها . تلعب إلى القدر) إننى لا أتعب ... يعجبنى عمل البيت . تتصور أننى استعين بخادمة ، هيه ؟ تطبخ لى ، وتغسل لى ! وأنا ماذا سأفعل ، إذن ؟ سأجلس انظر إليها ؟ سوف اجن قال لى الولد الكبير أول أمس " كفى ، فى النهاية . طوال النهار تصولين وتجولين . اجلسى ولو مرة واحدة ! " ولكن أين أجلس ! .. وإذا جلست منذ الذى سيغسل لكم ، ومنذا الذى سيظهر لكم الطعام ... وبعد كل ذلك ، يبدى استياءه ، ويقول " لى أم ، ولا أرى أمى . أمى موجودة وغير موجودة " أسمع ما يقول ؟ ماذا يريد ؟ لقد أرضعته وربيته . وضميرته وغمرته بقبلاتى . ماذا يريد أكثر من ذلك ؟ صار فتى يافعا الآن ، ولكنه

غاضب منى ، لأننى نسيت أن أخبره أن ميمى طلبته

فى التليفون .. ميمى ! هل رأيت أنت ميمى هذه ؟

اليكوس : مرة واحدة ... فى الشارع .

ماجدة : أما أنا فلم أرها ، ولا حتى فى الشارع . أسمع عن

ميمى ، ولا أرى ميمى . يا لها من مفارقة ، هيه ؟

اليكوس : أجل ، يا ماجدة .. أريد ...

ماجدة : تريد قهوة . انتظر . سأعد لك قدحا .

اليكوس : لا أريد قهوة !

ماجدة : كأسا من الشراب ؟ أو أى شىء آخر ؟

اليكوس : أريدك أن تجلسى معى قليلا .. لنتحدث .

ماجدة : حالا ... لحظة وأفرغ لك . يبدو أن بك شيئا اليوم .

تبدو مختلفا . لست أدري ما خطبك . من حسن

حظك أنى لك . آيه ، أليس هذا صحيحا ؟

اليكوس : أجل .

ماجدة : من حسن الحظ أننى لك ، وأنت لى . وإلا ، بعد أن

صارت الحياة إلى ما صارت إليه اليوم ، لكان الأمر لا

يطاق . وددت أن أعرف منذ الذى يفسد الحياة ...

كيف حال عملك اليوم ؟

اليكوس : على ما يرام . كالمعتاد ..

ماجدة : هل بدت البقعة لأحد ؟

اليكوس : ماذا ؟

ماجدة : البقعة التى على قميصك .. هل راوها ؟

اليكوس : ولا أحد لاحظها ...

ماجدة : انتظرت أن تكلمنى فى التليفون ! تلهفت أن

تكلمنى .. انتظرت .. رحت أقول لنفس " الآن ،

سيمسك التليفون ويكلمنى . الآن سيمسك التليفون

ويكلمنى " وظلت نظراتى عالقة بالتليفون طوال

الوقت .

اليكوس : اتصلت بك .

ماجدة : أجل .. آه ، أجل .. لكنى لم أجد التليفون ، هذا

التليفون الملعون ... يخبئه ذلك الولد المكير . يخفى

عنى التليفون ... لا أعرف ماذا يفعل به ، يلعب ..

يخبئه فى مكان ما ، يتلفه ... لا أعرف ...

أى حزب هو منضم إليه الآن . هل تعرف ؟

اليكوس : كلا . إننا لا نتبادل الحديث ...

ماجدة : أراهنك أنه منضم إلى حزب ميمى . إلى أى حزب

من الأحزاب تنتمى هذه البنت ؟

اليكوس : لا أعرف ! .. قلت لك أنتى رأيتها مرة وحيدة ،
مصادفة . ولم تتبادل كلمة ... كفى قليلا ..
وتعالى ، اجلسى ...

ماجدة : ولم تتبادلا كلمة ؟ ولا كلمة .. ولا كلمة ؟
اليكوس : ولا كلمة .

ماجدة : على أى حال ، يبدو لى أنها بنت طيبة .

اليكوس : كيف ، ما دمت لا تعرفينها !

ماجدة : إنى أعرف كل شيء ، لا تزعج بالك .. وهل كنت
أعرف نيقوس ؟ ولكن ما داما قد تزوجا ، وأتت به
إلينا فى البيت ، بادرت وقلت لها " كنت أعرف أنه
فتى طيب ! " ضاع منا الابن أيضا ... لم يبق لنا
إلا الصغير . انت لم تكن تريده بالطبع ، ولكن
اسألتى أنا ... وعلى أى حال ، لا أذكر أن
الآخرين كانا يكيان فى طفولتهما ، هل تذكر
أنت ؟ ولكن مستحيل ، لابد أنهما كانا يكيان .
إنهم جميعا عصبيون ، مثل أبيهم .. جعلك عمل
المكتب رجلا عصيبا .. خذ اجازتك لتستريح ...
ما موعد إجازتك ؟

اليكوس : اخذت الاجازة ، يا ماجدة .

ماجدة : آه ، حقا ، نسيت ذلك ... أمضيتها فى الجزيرة ..
الحياة جميلة فى الجزيرة .. هيه ؟ إننى وإن كنت من
الجزر إلا أننى لم أذهب إلى جزيرة قط ! أمضيت وقتا
طيبا ؟

اليكوس : سبق أن قلت لك ، يا ماجدة ...

ماجدة : قل له لى مرة أخرى . ماذا سنفعل ؟ حتى الكلام نمتنع
عنه ؟ إذا شئت ذلك ، فانا بالطبع لن نتكلم ...
يمكننى أن أتكلم وحدى . اليوم - أسمع ذلك
لتضحك - اليوم تكلمت لأول مرة مع (شيشى) هل
تصدق ؟ أقسم لك أن ذلك حدث . فجأة ، وأنا أهم
بارتدائه ، خيل لى أنه يفتح فمه . صحت فيه
" لا تفتح لى فمك ! " قلت له ذلك ، وهددته
بأنى سألهبه بالفلفل ! وأمسكت بالفلفل وسودت
له فمه ! ... سودته ! ... فلم ينطق بعد ذلك
بكلمة ! ... وبعد ذلك ، أشفقت عليه طبعاً ،
فأخذته فى حضنى ، وصالحته ...

(يفتح الطفل فى البكاء)

الولد ! ... (تجرى إلى الغرفة الداخلية) .

اليكوس : (يشعل سيجارة بيد ترتعش . تبدو عليه الهزيمة . تغطي وجهه مسحة من الحزن العميق) .

ماجدة : (تخرج وهي تدلل الطفل بحجة . تذهب إلى المطبخ . وتطفىء الموقد . وتعد الأطباق) .

اليكوس : (كان قد نهض واقفا من قبل ، فيعود إلى الجلوس واجفا) .

ماجدة : (تترك الأطباق ، وتتصرف إلى ملاعبه الطفل ، ثم تنظف المائدة) .

اليكوس : (ينهض لمساعدتها) .

ماجدة : اجلس ، اجلس . ماذا تظن ، إننى لا أستطيع ؟ انى متعبة قليلا ، قليلا فحسب . أعبائى كثيرة ، لكننى انجح فى تأديتها . اجلس انت ، ودخن سيجارة . ألا تريد أن تشرب قهوة ؟

اليكوس : كلا . . . لا أستطيع أن أتناول شيئا .

ماجدة : بك اليوم شيء ، وتخفيه عنى . هيه ؟

اليكوس : سأقول لك . تعالى اجلسى . اتركى كل شيء !

ماجدة : لحظة واحدة ، وسأفرغ لك . . . إننى أفلح فى أداء أعمال البيت ، ألا أفلح فى ذلك ؟

اليكوس : أجل ، يا ماجدة ، تفلحين . لكنك لا تجلسين أبدا . الولد ، على حق .

ماجدة : (مشدومة) أى حق ! أعنى ، كيف يكون الولد على حق ! أى ولد ؟

اليكوس : عمل طوال الوقت ، على الدوام تعملين . لا تتحدثين إلينا أبداً . لا نتحدث معا أبدا . ولا شئ نفعل أبدا . لا تتحدثين إلى الولد أبدا .

ماجدة : أنا ؟ لا أتحدث أنا إلى أولادى ؟

اليكوس : تتحدثين . ولكن هؤلاء ... كما تعرفين ... بحاجة إلى لحظة هدوء الآن . يريدونك أن تضحكى معهم قليلا أن تلعبى ، أن تذهبى إلى السينما .

ماجدة : أنا لا أضحك ! آخ !! . أنا لا أضحك ! إنى أضحك وألعب أيضا ... إنى لا أفهم (تشير إلى الطفل) ألم أكن ألاعبه منذ برهة .. ألم أكن أبتسم إليه ... لا أفهم لماذا تهموننى .. لا أفهم لماذا تعتبروننى غير صالحة ... (عن الطفل) وهذا بدوره عندما يكبر غدا سيقول لى أننى لم ألاعبه ، ولم أبتسم إليه قط (ترك الطفل ، ونمضى إلى المطبخ متنمة) ... لقد ذبل ثدى ...

اليكوس : لماذا لا تجلين شغالة تعنى لك بالطفل ؟ ... كى تلتفتى إلى نفسك قليلا ... طوال الوقت أنت مدفونة هنا ، مدفونه هنا . أنت بحاجة إلى الراحة ... نحن بحاجة جميعا إلى ذلك .

ماجدة : أجل ، بالطبع ... يجب أن أذهب إلى السينما ... هل يعرض فيلم طيب ؟ يعجبينى دوجلاس فيريبانكس . أجل ، هذا النجم أحب أن أشاهد

أفلامه ! بلا شك ، يجب أن أذهب إلى السينما . .
ولكن مع من أذهب ؟ الأولاد يذهبون إلى حيث يروق
لهم . إلى أفلام غير ما أريد مشاهدتها . ماريا تذهب
مع نيقوس . والولد الكبير مع ميمي . وأنت
متعب . . . والطفل أين سأتركه ؟ . . . عند من ؟

اليكوس : قلت لك أكثر من مرة . . . أحضري شغالة . . .
سوف نذهب معا إلى السينما .

ماجدة : لو كانت لي صديقة ! أنا التي يعجبني أن يكون لي
صديقات ، ليس لي صديقة واحدة !

اليكوس : ليس بإمكانك أن تعيش هكذا مدفونة هنا . لا أحد
منا بإمكانه ذلك !

ماجدة : عندي زوجي ، وأولادي ، وبيتي ، وطفلي ، آه ،
أتراه ؟ إنه لا يبكي الآن ! أحسنت ، يا بني الصغير .
كانت أمي تقول لي « عليك أن تكوني ربة بيت .
وعلى الزوجة أن تعرف كل شيء . من إنجاب الأولاد
حتى غسيل الملابس الداخلية ، دون أن تتقزز من
ذلك . » وأنا لم أتقزز منك قط .

اليكوس : ليس هذا وحده كل ما في الأمر . . .

ماجدة : أن ألبى كل طلب . فقط إطلب ما تريد . . .

اليكوس : ما عدت أستطيع أن أطلب شيئا ، يا ماجدة ! تعالى
اجلسي . تعالى اجلسي ، نتحدث قليلا .

ماجدة : قل ما عندك . إنني اسمعك . . . يعجبني جدا أن
أتحدث معك . . . وإن كان يبدو لي أن ثمة شيئا

يحدث اليوم . ولكن الأمر مجرد خاطر طراً على . لا
تكثر لذلك ، على الدوام أقول لك كلاماً مثل
هذا ، ولا يحدث شيء أبداً .

اليكوس : عندي ما هو جسيم ، أريد أن أقوله لك .
ماجدة : ستترك المكتب ؟

اليكوس : كلا ، يا ماجدة ! سأ . . . (يتوقف عن انمام قوله بانها) .
ماجدة : جسيم هذا المكتب . إذا كان بقاؤك فيه يعنى موتك ،
من الأفضل أن تتركه . أنت المهم . ستجد عملاً آخر
حالا . وعلى أسوأ الفروض سألتحق بعمل أنا أيضاً .
ولماذا لا أعمل أنا أيضاً . هيه ؟ لماذا أجلس في
البيت وانتظر منك كل شيء ؟ هل أنت أسير عندي ؟
أنت زوجي . سأذهب أنا أيضاً وأعمل . . . سأجد
عملاً . اطمئن . . . ولا تقلق ، سأوفق في الجمع بين
عملي في البيت ، وعمل المكتب ، والأولاد ، وأنت
. . . الشيء الوحيد الذي أخافه هو أن أصير عصبية ،
مثلك . . . يضايقك واحد ، يضايقك آخر . .
أعصابك تتحطم . وإذا تحطمت فقل على الدينا
السلام .

اليكوس : ماجدة ! . . .

ماجدة : أنك تنطق باسمي كثيراً اليوم . يروق لي ذلك . . .
كففت عن النطق به منذ وقت طويل . . . أوه ، أوه ،
أوه ! اليوم نطقت به خمس مرات . إنني أحصيتها . . .
خل عنك . . ليلة أمس كنت تتكلم وأنت نائم . . .

اليكوس : (مرتعبا) ماذا كنت أقول ؟
ماجدة : شيئا ما . لا أعرف . لم أجلس لأصغى كنت
تصرخ . . ربما كنت ترى حلما مزعجا . ما الذى
كنت تراه ؟

اليكوس : لا أذكر .
ماجدة : وهل أنا أذكر ؟ أننى لا أذكر حتى إذا كنت أرى
أحلاما ، حقا . الليلة قبل البارحة كنت تشخر ولكننى
استيقظت . . . هذه الآونة الأخيرة ، ما عدت بقادرة
حتى أن أنام . . كنت أنت نائما . أنت تنام نوما
عميقا . متعب أنت ، ولكننى احرص على عدم
إزعاجك ، لا تستطيع أن تنكر ذلك . نهضت ،
وذهبت إلى غرفة الطفل وسمعتة يتمتم بشئ . . . هل
تتصور ذلك ؟ هذا الطفل الرضيع ! ثم ابتسم ! لعله
كان يرى حلما . . . هل تعتقد أنه كان يرانى فى حلمه
ويبتسم لى ؟ كان الولد الكبير متغيبا مرة أخرى . لا بد
أنه كان مع ميمى ! بالأمس كسر صحنين من جديد .
بغير ما سبب ! كنت قد خرجت لعملك ، وأنا كنت
أرتب البيت . أنت تعرف ، هذه التحرشات اليومية .
إدعى أننى أقلق نومهم وأنا أذرع الشقة جيئة وذهابا .
قلت له « ماذا تريدنى أن أفعل ؟ أن أذرع الشقة صعودا
وهبوطا ؟ ابنوا لى بيتا مختلفا عن هذا وسترون أننى
سأذرع الشقة صعودا وهبوطا ، صعودا وهبوطا . »
عندئذ ، أجل ، ساكف عن المجئ والذهاب . . .

هل جعت ؟ لحظة واحدة . الأكل جاهز . . . لم
تكلمنى ماريا فى التليفون اليوم أيضا . بينما قلت لها
مرارا « يا بنيتى ، أمسكى التليفون وكلمينى . قولى
لى فحسب السلام عليك يا أمى ، واقفلى السكة »
أتعرف ماذا قالت لى « لا أستطيع ، كلما سمعتك
أخاف أن أصاب بالجنون » أسمعت ؟ هذه ابنتى .
الجوهرة المصون . حمدا لله ، أنت باق لى . وددت
أن أعرف ماذا كنت سأصبح لو أضحييت بدونك .
الأولاد ، يرحلون ، يتركوك ، يتخلون عنك
ويهجرونك . أنت ترحل ولكنك تعود .

اليكوس : (يكاد يكلم نفسه ، يائسا) اسكتى ! .

ماجدة : هيه . . . هل قلت شيئا ؟

اليكوس : كلا . الطعام تفوح منه نكهة طيبة . . .

ماجدة : أجل . علمتنى أمى كل شئ . كانت تقول لى « يجب

أن تكونى زوجة صالحة » عملت بنصائحها ، وها هى

النكهة الطيبة تفوح من طعامى الآن . وأنجبت لك

ثلاثة أولاد . على أن ثمة أمرا واحدا لا أفهمه . . .

سبق أن حدثتك فيه : السياسة . أمور السياسة هذه

تحيّر عقلى . طوال النهار لا أفكر إلا فى السياسة .

السياسة هنا ، السياسة هناك . وأقول لنفسى « ماذا

سيحدث ؟ » ثم أرد على نفسى قائلة « كل شئ

سيكون على ما يرام . وأنا ؟ فى أى حزب أنا ؟ أريد

أن تدلنى . أريد أن أعرف فى أى حزب أنا ؟ لهذا

الأمر أهميته . سأصل إلى قرار . لقد تركت ماريًا
أمور السياسة بدورها ، ما إن تزوجت . كفت عن
التهتافات ، ونقضت عنها أمور السياسة كلها .
باللخسارة . كنت أقول لنفسي سأسأل ماريًا وستوضح
لي كل شيء . ولكن فجأة ضاعت هذه مني . هل
تشعر بالجوع ؟ هيه ؟ تعال ، اجلس ، الأكل
جاهز . . اغسل يديك . . . سأذهب إلى غرفة الطفل
وسأعود .

اليكوس : وأنت ، ألن تتأولي الطعام ؟
ماجدة : آيه ؟ كلا ، سبق لي أن تناولت لقمة .
اليكوس : متى ؟

ماجدة : (لا تذكر) ماذا ؟ أتراني لم أتناول طعاما ؟ (تضحك)
كلا ، أكلت . لا بد أنني أكلت ، إجلس أنت .
إذهب لتغسل يديك ، وسأحضر إليك . (تأخذ الطفل
وتذهب إلى الغرفة الداخلية . يقضى اليكوس لحظات من الحزن العميق .
يشعل سيجارة ، ويتناول منها نفساً عميقاً . تعود ماجدة) .

ماجدة : كل شيء على ما يرام . نام . (تؤدي الآن أداء قاتنا ، ولكن
بهستيرية ، دور المضيف . تنحنى له) طعامك جاهز ، يا صاحب
السيادة . تفضل . هل غسلت يديك ، يا صاحب
السيادة ؟ كلا ؟ لا يهم . سأتولى أنا غسلهما لسيادتك
(تلحس كفى اليكوس بينما يكاد هو يخنق دون أن يستطيع أن يوقفها)
أصبحتا لامعتين (تمسحهما يديها) مثل المرأة ! آه فلأرى ،
فلأرى نفسي قليلاً . هيه ؟ (تنظر إلى نفسها في كفيه ، كما لو

كانت تنظر فى مرآة) جميلة أنا ! حمدا لله ، مازلت
جميلة ! كانت أمى تقول لى « يجب أن تكونى دائما
جميلة ! جذابة ، فاتنة ! » أجل ...
(اليكوس على وشك الانهيار)

اليكوس : ماجدة ...

ماجدة : ماذا حدث لك ، هيه ؟ هل حدث لك شئ ؟ قل لى
ماذا حدث ؟ وألا فلماذا أنا هنا ؟ لماذا أنا روجتك ؟

اليكوس : اسكتى !

ماجدة : حسنا ... فلنؤجل ذلك إلى ما بعد تناولك الطعام .
ساغسل أنا الصحون وتكلمنى أنت .. لكن ألن
تأكل ؟ لا تضغط على نفسك ! دع الأمر الآن ،
دعه ... أجل ، دعه لتأكل ، وفيما بعد تخبرنى .
غدا تخبرنى . لدينا متسع من الوقت . اجلس وكل .

اليكوس : (لا يحتمل أكثر من ذلك . ينفجر ، ولكن بشجن هقيق ، دون صياح . بحب
لماجدة . وليس بكراهية .) لا أستطيع أن أكل ، يا ماجدة !
لا أستطيع أن أبتلع المزيد ، أن أبتلع المزيد ! ... أن
أبتلع المزيد ! يجب أن أكلمك ! يجب أن تسمعينى
مرة واحدة . ليس لدينا وقت ، يا ماجدة . أريد أن
تسمعينى ، دون أن تنشغلى بعمل ! مرة واحدة ،
تبدين أنك تسمعين ، أنك تفهمين ، إنك تشعرين أن
ثمة من بجوارك . أنت امرأة ، يا ماجدة ... لا
أستطيع أكثر من ذلك . لا أحتمل . من المؤسف
يا ماجدة ، ولكن ليس ما يمكن عمله بعد كل ذلك .

لا مفر ، الآن لا يمكن أن تمضي الأمور على هذا النحو . أفهمى ذلك ، يا ماجدة ! ... سوف أرحل ، يا ماجدة ! سوف نفترق . سوف أرحل . سأتركك ، لا أطيق المزيد . سأطلقك ! ...

(بعد أن كانت ماجدة تتابع انفجار البكوس هذا بإبتسامه حنون ، تبين حقيقة الأمر فجأة ... ولبرهة ستمر بكل حالات الانفعال الممكنة ، وستعبر عن شتى الأحاسيس التي تميش بنفسها ، متضحك بعصية ، ثم تكتسى بمسحة من الجلد ، منهم بالكلام لكنها متجفل مرتعبة ، تضحك ، تحزن ، تصاب بالبكم ، تطلق صرخات مبهمة ، تمسك شعرها ، تنحس وجهها ، تنظر إلى ملابسها وإلى يديها ، تتفقد جسمها ، تحيل نظرات يائسة فيما حولها ، تعض شفتيها . دقيقة دقيقتين ، ثلاث دقائق ... ثم يسمع بكاء الطفل .)

ماجدة : (تجزع ، وتفيق لنفسها) آه ! الطفل ! ... الطفل ... نام جوعانا ! إني ذاهبة إلى الطفل ! ذاهبة إلى الطفل ! (تجرى إلى الغرفة الداخلية . أما اليكوس فيبعد لحظة ينفجر في البكاء)

ستار

يورغوس سكورتيس

العواظلى

(ميناء امرأة من عامة الشعب يتراوح منها بين الخامسة والثلاثين والأربعين ،
يبدو عليها التعب والمسكنة ، تصلح من زيتها أمام مرآة ، وترتدى ثوبا من
ثياب البيت . وعندما نقول تصلح زيتها يكون هذا قولاً فيه مبالغة ، مادامت
بحالتها التي هي عليها بتمذر اتصال زيتها . بين الفينة والفينة ندندن بمقطع
لا يتغير من أغنية شعبية شائعة .. يفتح الباب فينز مقبضه القديم لهالكه -
ويدخل فاسيلي .. وهو رجل من ذات منها متعكر المزاج .. تجفل ميناء)

ميناء : تبا لك ، يا فاسيلي ! تبا ! اخفقتني ! (تكف عن التزين)
فاسيلي : (يسخر منها بإيماءة) آه ، يامسكينة ! وهل تخافين أنت ؟ !
(يخلع سترته)

ميناء : ما الأخبار ؟ (تشرع في ترتيب هندامها)
فاسيلي : لا شيء .

ميناء : (حزينة) لا شيء من جديد ، هذه المرة أيضا ؟
فاسيلي : وماذا كنت تتوقعين ؟ أن يحدث شيء جسيم ؟ أنت

نائمة ؟ صبح النوم ، أذن أم أنك كنت تتصورين أن
المجتمع يتغير هكذا ، فجأة ، بين يوم وليلة ؟

ميناء : وما أدراني أنا ؟ النحس كله يحط علينا ؟
فاسيلي : النحس يحط على أصحاب البنوك والمال أيضا ،

ولكن هؤلاء يفقدون رصيدا ، وتبقى لهم الوف
الأرصدة الأخرى . اتفهمين ؟

ميناء : وصلني خطاب من أبي اليوم أيضا . أنه لن يبيع قطعة
الأرض . هذا ما يقوله ، لأن السعر المعروض عليه قليل .

فاسيلي : فليذهب هو وأرضه إلى الشيطان ! أرضه ، أرضه .

نفخ أمعاءنا بسيرة أرضه هذه . هاهى خمس سنوات مضت الآن ، وتمضى معها الأرض وحكايتها ! لا يكف عن أن يردد لى قوله « يا زوج ابنتى ، أجل ، يا زوج ابنتى ، مهلا ، سأبيع الأرض ، وأصلح من حالك » . مللت هذه الأقوال من هذا العجوز القدر ، وسئمت سماعها ! اكتبى له ألا يطأ قدمه بعد الآن هنا .

مسيناه : وماذا تريده أن يفعل ؟ ! يبيع أرضه بثمن بخس ؟ بسعر التراب ؟

فاسيلى : فليهنأ بها يا امرأة ، فلينقعها فى الماء ، ويشربه . شئ مقرف . خيبة الله عليه . . .

مسيناه : يقول لو شئت فلنذهب إلى الجزيرة ، وسيساعدك على فتح محل الخضار ذاك الذى وعدك به . .

فاسيلى : وأقول أنا كفاه بعثا للمرض فى أوصالى . . أهذه هى المكافأة التى أحصل عليها لقاء زواجى من ابنته ؟ ! محل خضرى ! ؟ محل خضرى ؟ ! ياله من شئ رائع ، رائع حقا ! إنها أمور سخف وهراء ، حقا . . بالصفقة أليك ، يا امرأة . يريدنا أن نترك العاصمة لنذهب إلى الجزيرة الجذباء نبيع خضروات . . . ويل له لو وطأت قدمه أثينا مرة أخرى . سوف يكون لى معه كلام آخر !

مسيناه : هل الأمر بهذه الصعوبة أن يوجد من أجلك أنت أيضا عمل . . . وأنت على هذا القدر من المعرفة ! ألم تقابل أولئك الناس اليوم ؟

فاسيلى : حتى لو كنت قابلتهم ، ماذا كان سيحدث ؟ نفرض
أننى قابلتهم ماذا كان سيتغير ؟ (يخرج سيجارة ويشعلها)
هذا الروث ، ماذا سيكون أمره . لا أدري . إلى أين
تمضى هذه اللعبة ، لا أستطيع أن أفهم أننا حتى ورقة
يनावيب لا نربحها . ليس لنا حظ فى ورقة يनावيب
واحدة . واحدة فقط . ما رأيك ؟

مسيناه : وهل اشتريت أنت قط واحدة ؟

فاسيلى : قلت لك أشتري ورقة اكم من مرة قلت لك ذلك ؟

مسيناه : أمن المعقول أن تكون الرابعة من نصيبنا نحن ؟

فاسيلى : النحس الذى يلازمك . لا يتركنا نكسب شيئا ، أو
نفلح فى شئ ...

مسيناه : عدت تلقى اللوم على من جديد ؟ حتى اليانصيب
بحاجة إلى نقود ، يا فاسيلى إنه مكلف ...

فاسيلى : يا نصيب ، لا ، جلا جلا ، لا ، سباق خيل ، لا .
إذن عافاك الله وإبقاك . هل عندك ما يؤكل ؟

مسيناه : لم أطبخ بعد .

فاسيلى : وهل الوقت مبكر ، يعنى ؟

مسيناه : آيه ، يا فاسيلى ، اعتقدت أنك ستأخرا

فاسيلى : آيه ، يا ميناه ، هل تلعبين بى ؟ هل اعتقدت أننى

أضربت عن الأكل ، وأننى لن أكل بعد اليوم ؟ أرى

ثيابا وأشم عطورا هنا ، إلى أين العزم بالسلامة ؟

مسيناه : أبدا ، باقية فى البيت .

فاسيلى : هل نحن بانتظار أحد ؟

مسيناه : لا أعرف . ربما أتى أخوك ...
فاسيلي : إني أسأل عنا ، إذا كنا ننتظر أحدا ، ضيفا أقصد ،
هل تعتبرين أخى ضيفا ؟ أقول أحدا ...
مسيناه : كلا ...
فاسيلي : تمام ، هل جاء أحد ، هل سمعت شيئا ؟
مسيناه : لا شيء ..
فاسيلي : ولا رأيت شيئا ، هيه ؟ حتى اللقمة التى تأكلينها
حرام . فيك ..
مسيناه : هذا لو كنت قد خرجت ! .. منذ اليوم الذى أغلقنا
فيه محل الكباب لم أغادر البيت ، فكيف أسمع أو
اقابل أو أرى أحدا ...
فاسيلي : هيه ، وأين تريدان الذهاب ، يا امرأة هيا ، تفضلى ،
انخرجى ! أين ستذهبين ؟
مسيناه : هيه ، حسنا ، لم أقل شيئا ! لم أعترض !
فاسيلي : بل قلت ! واعترضت ! دأبة التذمر أنت ! كان عليك
أنت إذن أن تبقيه مفتوحا ، يا امرأة لتأكلى من لحم
جسمك الحى ، كبابا ! ولكن أين المفر من النحس
الذى جبلت عليه . أين المفر من نكدك الذى لا ينتهى .
من الفجر للفجر كنا نقف فى المحل ، نقف حتى تتورم
منا السيقان والأقدام ولم نكن نكسب حتى الكفاف .
مسيناه : أجل . حسنا .. كان الأجدر بك إذن ألا تترك المحل
وتذهب للجلوس فى المقهى ...

فاسيلى : أسمعى أذن . كفى عن تصديع رأسى بحكاية المقهى

هذه وإلا هشت وجهك هيه ، فاهمة ؟

مسيناه : لماذا أكف يافاسيلى . سيرتك على كل لسان .

الكوتشينة والكوتشينة . هذا شغلك الشاغل ،
ولاشئ غير ذلك !

فاسيلى : كفى عن هذه السيرة ، يا امرأة ! اخرسى (يلوح يده

ويصنع الهواء بكفه بينما تقف بعيدة عنه) .

مسيناه : (تتمتم متذمرة) بالطبع ، تريدنى أن أخرس . لا يروق لك

كلامى . اشتغلت على تاكسى وتركت العمل . رحت
إلى سيارات النقل فتشاجرت . فتحنا محل الكباب
ومن خيبتك أغلقناه . خسرنا نقودنا وها نحن الآن
فوق ذلك مدينون . وسوف يكون مصيرنا السجن ، فى
النهاية .

فاسيلى : لن يسجنونى أنا ، بل أنت التى سوف تسجنين .

مسيناه : اسكت . . اسكت . (تذهب إلى المنضدة . وتهم بأخذ قدحين

للقهوة ، موضوعين عليها ، وكانت ميناء قد عمدت منذ برهة إلى تغطيتهما

كى لا يراهما فاسيلى)

فاسيلى : دعى كل شئ فى مكانه .

مسيناه : (منكشة) كى أرتب الحجرة قليلا . وأصنع شيئا

للغداء . .

مسيناه : (ترحل الصينية جانباً على المنضدة التى يجلس عليها فاسيلى)

فاسيلى : (يتظر إليها) هات وخذ (يرفع الغطاء تشعر مينا بالخروج . يتمتم

فاسيلى متندماً) تقسمين أنك لم ترى ولم تقابلى أحدا .

هيه ؟

مسيناه : دعك من هذا يافاسيلي !

فاسيلي : لاشئ .. هيه ؟ ! لم تر شيئا .. هيه ؟ ياأيتها المتخلفة عقليا ، ماذا سبق لى أن قلت لك ؟ هيه ، لماذا أدخلت كاتينا مرة أخرى فى بيتك ؟ ماذا تقول لك هذه المرأة القدرة ، وتسلب به عقلك . هيه ؟ .. ماذا عادت تقول لك من جديد ؟

مسيناه : اخفض صوتك ، يا فاسيلي ، لماذا تصيح هكذا ؟ إنها لاتقول شيئا سيئا ! إنها تحبك ، المسكينة .
جاءت هنا دقيقة واحدة فحسب ، كى تتناول معى قدحا من القهوة .

فاسيلي : وهل كنت تريد أن تشربا أكثر من قدح واحد ، ياملعونتين . أنت وهى ! ماشاء الله ! نحن نغرق ، وهذه النسوة لايعملن لشيء حسابا . يحسبن القهوة ، أقداحا تلو أقداح . ولا يكثرثن بما نعانيه إطلاقا ..

مسيناه : آيه . يافاسيلي يا أخى . كما تذهب أنت إلى سباق الخيل ، أقرأ أنا الفنجال ، ماذا فى هذا ، أليس هذا بدوره رزق ؟

فاسيلي : أى رزق هذا ، أيتها المتخلفة . هراء وأكاذيب . الخيل فى السباق ترينها رؤى العين تجرى ، تشير حوافرها التراب ، يعلو الصياح والهتاف ، تنزل المراهنات ، وتردد اللعنات من أفواه الخاسرين فى أرجاء الملعب !
مسيناه : هيه ، هل تفضل لى إذن أن أدخل وأراهن فى سباق الخيل ؟

فاسيلى : يبدو أنك لست على مايرام . لم يبق إلا هذا الآن .
أن تصبحى مقامرة ! أهذا ما تقوله لك صديقتك
كاتينا ؟ .. هذه المرأة كفيفة بأن تتاجر بك دون أن
تدرى أنت بذلك .

مسيناه : يتجه فكرك إلى كل ما هو سيئ فحسب ، كى تضيع
وقتك ..

فاسيلى : أخشى أن تفعلأ أموراً أخرى أيضاً للتسلية وقطع
الوقت . كفانا وجع دماغ اليوم ، وليذهب كل شئ
إلى الشيطان . أعدى قدحا من القهوة .

مسيناه : الآن

فاسيلى : (يشعل سيجارة) للتسلية - قال - وقطع الوقت ! ومن
قال لك يا امرأة أن الوقت لا يفوت . هيه ، انظرى
إلى ، انظرى إلى وتذكرى صورتى كما كنت فى
سالف الأيام ! تذكرى كيف كان فاسيلى وكيف كانت
حياته ! هيه ! من أجل التسلية وقتل الوقت ، هيه ! ومن
أتخفك بهذه الصنخام الذى لطخت به وجهك وتقولين
عنه مكياج ، زينة ، هيه ؟ ألم تعدى القهوة بعد ؟

مسيناه : هيه ، مهلك ، ياشيخ ! هل ترانى أعد لك قدحا من
الماء ؟ تحتاج القهوة إلى إعداد .. لحظة واحدة .

لماذا لم تحضر معك بعض الحلوى ، يا أخى ؟

فاسيلى : (دمعا) ستفقدىنى عقلى ، يابنية ! من أين أحضر لك
الحلوى يا امرأة ، ولماذا أحضرها لك ، دون
مناسبة ؟

مسيناه : قد يحضر أحد ...
فاسيلى : ما الذى دهاك يا أيتها المرأة الغامضة ؟ وما هذه الألغاز التى توحين بها ؟
مسيناه : ايه ، يا فاسيلى . هل نسيت فى أى الأيام نحن ؟
فاسيلى : إننا فى يوم الأحد . ولكن لماذا هذا التلميح ؟
مسيناه : إنه يوم الأحد . هذا صحيح . ولكن أى أحد هو ؟
 يمر اليوم خمسة عشر عاما بالتمام والكمال على زواجنا ...
فاسيلى : (بضحك لهذا الكلام) هيه ، يالها من نكتة ! هل أنت جادة فيما تقولين ؟ ألهذا تثيرين من حولك كل هذا الغموض ؟ يالها من نكتة ، حقا ! (تحضر له مينا القهوة)
 كم من الأعوام مضت ، تقولين ؟
مسيناه : خمسة عشر .
فاسيلى : خمسة عشر عاما فى المستقبل القدر ذاته ! يالله ما الذى يجعلك تتذكرينها ؟ وهل نحن ممن يتذكرون مثل هذه الأشياء ؟
مسيناه : (كطفل يوبخه أبوه) هذا ما جعلنى أصلح من زيتى اليوم قليلا ..
فاسيلى : وهل تعتقدين أنك أصلحت شيئا من زيتك ، حقا ؟ أبهذه السهولة تنصلح السحن ، يامينا ؟ لو كان الأمر كذلك لأصلحت صديقتك فاسيلياذو من سحتها ...
مسيناه : (متدمرة بدلال) إيه ، ماذا تريد أن يفعل من كان على شاكلتنا ..

فاسيلى : كفى تدمرا وشكوى ، يا امرأة !
 مسيناه : (بصوت اقرب إلى البكاء) كل لوم تلقيه على ! تخسر فى
 سبق الخيل ، أدفع أنا ! لا تجد عملا ، الذنب يقع على
 أنا ! يسرقونك فى لعب الورق ، أتلقي أنا منك
 الشتائم ! وددت أن أموت كى استريح . مللت هذه
 الحياة ! كل لوم تلقيه على . أنا الملوثة على الدوام !
 فاسيلى : وفيمن تريدبنى أن انفجر بما بداخلى ، أيتها المرأة ،
 هيه ؟ لماذا أذن تزوجتك ، لو لم يكن بإمكانى ذلك ؟
 خبرينى لماذا أحملك على كفى خمسة عشر عاما
 بأكملها ؟ ألكى انفجر فى الحائط ؟ كفانى وجع دماغ .
 مسيناه : هيه ، وما ذنبى أنا ؟
 فاسيلى : تسألين ماذنبك ؟ ما ذنبك ؟ سوف أقول لك أنا
 ماذنبك يا شاطرة . الدنيا ملائكة بالنساء ما الذى جعلنى
 اقع عليك أنت ، يا امرأة ، أنت بالذات ، ولا أحد
 غيرك ؟
 مسيناه : هيه ، أنه حدث وكفى ، يا فاسيلى . حظ ، يا
 أخى !
 فاسيلى : لعنة الله عليك . تسمين هذا حظا ؟ تقولين حظا .
 تصاريف الأيام القلرة هيات كل شئ على النحو الذى
 تسمينه حظا !
 مسيناه : هل انفجرت أنا فيك أبدا ، أو القيت عليك همومى ؟
 فاسيلى : وهل قلت لك أنا لا تنفجرى !

مسيناه : ولو حدث ذلك ، لو حدث أن انفجرت فيك ودلقت

على رأسك همومى ، بما سأخرج من ذلك ؟

فاسيلى : روث . روث . ولاشئ غير ذلك . ستكون محصلة

ما ستخرجين به روث . (يبحث من حلبة سجائره) فى أى

داهية ذهبت سجائرى ؟ ماذا فعلت بها ؟

مسيناه : أنا ؟

فاسيلى : أجل ، أنت . أم هل تقصدين أنا ؟ كانت السجائر هنا

وكنت أدخن الآن .

مسيناه : هيه ، وأين وضعتها ؟

فاسيلى : وهل كنت أبحث عنها لو أعرف أين وضعتها ؟ أم

يخيل إليك أننى كنت سوف أسألك ؟ أبحثى عنها !

(تعكف ميناه على البحث . فتجدها وراءه على الأرض .. يجرع رشقة من

القهوة .. يتوتر) سأموت . يا امرأة ستقتلينتى ، يا امرأة !

كلما طلبت منك قدحا من القهوة « بن ثقيل ،

مضبوط » تصنعينها أنت كما يعن لعقلك المفلوت أن

يصنعها ، أية قهوة والسلام . عليك اللعنة ربيت لى

وجع الدماغ . لا أستطيع يا امرأة أن أشربها « سكر

زيادة » . أتفهمين ؟ شفتاى ، ولسانى ، وعقلى ،

وكل شئ فى يضحى لزجا . فاهمة ؟

مسيناه : ايه، يا فاسيلى ، يا شيخ ، أليست هذه قهوتك المعتادة ؟

ألا أصنعها لك دائما هكذا ؟

فاسيلى : أذهبى إلى الشيطان يا امرأة . وليخطفك الجن

الأحمر . إعطنى سجائرى .

مسيناه : (تمسك بها ، فتعطيها له) خذها (تجمع بعض الأشياء المتفرقة) على الدوام ، نحن الذين ندفع . كل الأوجاع من نصيبنا نحن . هذا المال الملعون سيفترس حياتنا ! جاء ذلك الرجل بشأن الثلاجة مرة أخرى ، اليوم ..

فاسيلي : أيجئ يوم الأحد ، هذا المأفون . وماذا كان يريد ؟
مسيناه : كان يريد نقوداً . أم ماذا تعتقد أنه كان يريد ؟ نحن مدينون له بنصف ثمن الثلاجة .

فاسيلي : وما العيب في أننا مدينون ؟ ألا يستدين هو ؟ ومن الذى لا يستدين ، خبرينى ! المجتمع بأسره يتحرك على سندات وشيكات غير محصلة . تشاهدنيهم سادة ، يجلسون في سياراتهم الفخمة ، ينحنون لهم بالتحية وجيوبهم عامرة بالصفقات ! اليوم ، قابلت في المقهى السائق الذى يشبه وجهه وجه الكلاب ، والذى كنا نعمل معاً على عربة النقل ، كانت بحوزته كومة من الشيكات المستحقة الدفع بعد سنة ...

مسيناه : وماذا في هذا ؟
فاسيلي : وماذا في هذا ؟ جاء علّه يجد مرابيا ، يشتريها منه بالخصم حتى يستطيع هو بدوره أن يدفع أقساط الثلاجة . أفهمت ؟ المال يقتنيه الرعاع ، أما نحن فلا نتقاضى أوراقاً مالية ، بل أوراقاً للمرحاض .

مسيناه : وهل وجد ؟
فاسيلي : وكيف يجد ؟ ! أتظنين المرابين على هذا القدر من السذاجة ؟ هؤلاء إن دفعوا فلقاء أوراق مضمونة في السوق ، وليس لقاء أية أوراق .

مسيناه : وماذا سيفعل هذا المسكين ؟

فاسيلى : وهل أعرف أنا ؟ . إما أن يدخل السجن ، وإما أن يدور على البنوك عليه يجد بنكا مفلسا يرضى أن يقرضه ليجرى هو بدوره وراءه من جديد . . . وجع دماغ ، ولاشى غير ذلك . ولهذا ، إذا جاء هذا الرجل وعاد يطلب باقى ثمن الثلاجة . . . قولى له فليأخذها وليتربع عليها . وجع دماغ . . . لا نريد بالمرّة ! نحن المطاردون ، بطبيعة الحال . ومن غيرنا سيطارد هؤلاء الثعالب الشرسة ؟ السجن ملأنا بأمثالنا ، أنا ، وميتشو ، وجيكا وكوستا . أما الآخرون فهم قراميط . . . فهمت ؟ أنهم مثل ثعابين الماء تنزلق من قبضة من يحاول إمساكها ، وتفلت . . .

مسيناه : ألا تقوم بجولة إلى النقابة ؟

فاسيلى : علام أذهب إليها ، يا امرأة . ماذا أفعل هناك . نقابة ؟ هيه ! . . . لاجدوى ولا نفع يعود منها . . .

مسيناه : هيه ، كيف تقول ذلك . أنت لاتعرف ، ماذا يمكن فى بعض الأحيان أن يعود علينا منها .

فاسيلى : فى بعض الأحيان . هذا هو مربوط الفرس . ننتظر الفرج من حيث لا يأتى ! أجل ، من يدري قد يحدث ما وضعت أملك فيه ، فنجد عملا يملأنا طربا ، ونهتف قائلين « أمانة يازمان طول » ولكن متى يحدث ذلك ، على الدوام النقابة تطالب ، وتطالب ، وتطالب . مطالب النقابة لاتتهدى ، أما عطاؤها فيكاد يكون معدما . . !

مسيناه : هيا ، شئ ما سيحدث ، وسوف تفرج .
فاسيلى : متى ؟ اربعين عاما ، استيقظ مع تباشير الفجر الاولى
كل صباح ! منذ طفولتى على الرصيف . فى الثامنة
من عمري أنقل حديدا ، فى العاشرة رفعت على
كتفى أطنانا من الصناديق الثقيلة ، فى العشرين قادتني
قدماى إلى سوق الخضار ، وفى الثلاثين انكفأت على
عجلة القيادة ، ورييات مسائية تلو ورييات ، وها أنا
فى الأربعين عاطل أتضور جوعا ! متى إذن سيحدث
هذا الشئ الذى تقولين أنه ربما يحدث ؟ متى ؟ ثم
فتحنا محل الكباب كى نكون سادة أنفسنا وأصحاب
عمل ، ولا يتحكم فينا أحد من أولاد الكلاب . وإذا
بالدنيا تنطبق على الأرض ، ولكأنه صدر أمر سلطانى
بألا تأكلوا أيها الناس الكباب والكفته ، بألا تقربوا
ياجميع الناس محال الكباب والكفته ! كما لو كنا نبيع
للناس روثا وليس أفضل أنواع اللحم المفروم ، ولكن
ربما كان هذا هو السبب فى الكساد الذى حط على
محلنا ، هل رأيت صاحب المحل الآخر ماذا كان
يفعل؟ ماذا كان يبيع لسبائته ؟ يقال أنه كان يشوى
على السيخ قراقيش واحشاء فاسدة. وماذا لقى بعد
ذلك ؟ ألقوا به فى السجن ثمانية أشهر فحسب . .
أواه ، يا أيها المجتمع الداعر ! ثمانية أشهر فحسب !
أما أنا فقد ألقوا بى فيما هو أسوأ من السجن أربعين
عاما . هو ثمانية أشهر يؤديها ويعد ذلك ، هوب يفتح

جناحيه ويطير. عصفور حر طليق من جديد.. وغدا ،
عملية قدره أخرى ، وبعد غد أخرى وأخرى ! أما
نحن فلا شيء نفعل ! لم نقدر حتى على عملية واحدة !
ولا حتى عملية واحدة ! حشونا شطائنا بأجود
أصناف اللحم المقروم ، أفهمين ؟ مثل أبي ، إبان إبان
الاحتلال الكل كان يبيع ردة ونشارة طباشير على أنه
دقيق في السوق السوداء . أما أبي العجوز ، الذي كان
فرانا ممتازا فكان لا يبيع إلا دقيقا أبيض ، وبرخص
التراب ! برخص التراب ! حتى أن تجار السوق السوداء
كانوا يقفون طواير أمام بيتنا . ثم كانوا بعد ذلك
يبيعون جرام الدقيق كما لو كانوا يبيعون ذهباً ! وأنت
تقولين اليوم عيد ، عيد زواجنا السعيد ! وتقولين أنك
أصلحت من زيتك ! وتقولين إن هذه الخمسة عشر
عاما مضت كما كمضت غيرها من السنين !

مسيناه : هيا فاسيلي ، إهدأ ولا تحزن ! ...

فاسيلي : إهدأ يا فاسيلي ! هيه ؟ ! فاسيلي أنتهى . دب فيه
عطن الفقر ، وأكله الصدا ! يا أيتها الثروة ، اللعينة ،
أين أنت ! ولن تذهبين !

مسيناه : هل أقول لك شيئا ولا تغضب ولا تضربني ؟

فاسيلي : هات ما عندك ، يا امرأة !

مسيناه : اليوم ، قرأت لى كاتينيتا الفنجال . ورات فيه مالا
قادما ..

فاسيلي : هيه ، حسنا ، وكيف رأت هذا المال ؟ يعنى من
أين ؟

مسيناه : هيه ، إنها راته ، فحسب ...

فاسيلى : مال خالص ، أم مال من عمل .

مسيناه : من عمل طبعا !

فاسيلى : بالله عليك يآيتها المرأة ، دعيني من سخافاتك القدرة

هذه . المال الذى يأتى من عمل فى فناجيل القهوة

يظهر فحسب ، وسرعان ما يتبخر ، ولا حتى رائحته

تدركين ! لو كان هذا المال ثروة حقيقية ، ثروة تأتى

من حيث لا تدري ، لشاطرتك الاهتمام . أجل ،

ولكن .. هذه الدريخمات الهزيلة التى تأتى من العمل

اليومى ، كلا . أنا لا أكرث بها . ولا أريد أن أعيرها

اهتماما . كلا .. تعالى هنا . وقولى لى أنت ، بالله

هل تذكرين شكل الورقة فئة المائة ؟ هل تذكرين شكل

الورقة فئة الخمسمائة ، ومالون ورقة البنكنوت هذه

بالضبط ؟ ولا أسالك بالطبع عن لون الورقة فئة الألف

لأن هذه الورقة ستظهر فى الفئجال بنية اللون ..

مسيناه : وما أدرانى أنا بكل هذا . أقول لك فحسب ما قالت

لى صديقتى ..

فاسيلى : (يلوح بقبضة مشيرا إليها) تعرفين ما هو مكتوب هنا ،

على قبضة يدي ؟

مسيناه : ولكن ...

فاسيلى : كفى الكلام عن هذه المرأة القدرة . وألا هشمت لك

وجهك . ولا تفتحنى فمك بعد الآن بكلمة عن القهوة

أو عن المقهى ، أو عن لعبى الورق ، إلى آخره ، إلى

آخره ، أتفهمين ... ؟

مسيناه : هيه ، أمرك ، يافاسيلى ...
فاسيلى : وماذا بإمكانى أن أفعل ، أيتها المرأة ، غير أن العب الورق . هيه ؟ لماذا يفتحون المقاهى ، فى نظرك ، هيه ؟ أنهم يفتحونها من أجلنا ، نحن العاطلون .
 مثلما ينشئون السجون . فى السجون إما نحن وإما فى المقاهى . أفهمت ؟ الأندال ، هيه ، الأندال ! أهذا يوم أحد ، هذا الذى نقضيه . خبرينى ! وسوف يكون غدا الاثنين ، وعلى أن أعود إلى التجوال فى الشوارع باحثا عن عمل ، عن قوت قومى ..
مسيناه : هون عليك . قلت لك ماذا يجب أن يتم ، ولكنك لا تتركنى إن افعل ذلك .
فاسيلى : ماذا قلت لى ؟ وماذا تقصدين ؟
مسيناه : هيه . أعنى .. قلت لك أن أبحث أنا أيضاً عن عمل .. وسأجد ..
فاسيلى : لا أريد أن أسمع مثل هذا الكلام ...
مسيناه : بالله ، لا تغضب يافاسيلى ! ولماذا لا أخرج للعمل . سوف يكون هذا أمرا طيبا . سوف أفعل أنا دورى شيئا . سأخرج قليلا وأتحدث مع الأخريات .
فاسيلى : اسكتى يا امرأة ! زوجتى أنا لن تخرج للعمل . أفهمت ؟ لن أعرضها لمعاكسات الرجال ! وهذه المتزوجة التى تريدونها لا أريد أن أراها عليك . وإلامزقتها ومزقتك أريا أريا .. هل تسمعين ؟
مسيناه : لماذا ، يا رجل . ألا تعجبك ؟

فاسيلى : وهل تعجبك أنت ؟ هل يعجبك أن ينتصب ردفاك ،
ويكونا نهياً لأنظار الصعاليك ، وتمتد إليهما الأصابع
بالمعاكسات فى الأوتوييسات ، هيه ؟ أهذا ما تقوله لك
صديقتك العزيزة كاتيناكى ، هيه ؟ ! .

مسيناه : دعك الآن من مثل هذا الكلام . . .

فاسيلى : اخرسى ! (يصنع الهواء أمام وجهها) .

مسيناه : (تحنط لنفسها وتحنمى منه) أمرك ، يارجلى ، أمرك !

هراء (يتفجر غيظاً . ويشعل سيجارة) لم أنقلب امرأة بعد ،
حتى أتقبل كلاماً مثل كلامك هذا . اتفهمين ! لم
تلدنى أمى ، لعنه الله عليها ، امرأة حتى يلقى
كلامك هذا عندى قبولا ! وفري أذن على نفسك هذه
السخافات التى لا يرتضيها إلا من كان غير ذى ملة أو
دين .

مسيناه : حسنا ، حسنا . . .

فاسيلى : آواه يا مسكينة . لعنة الله على الذل والاذلاء . لا بد
أن يحدث شئ . لا بد أن أفكر فى شئ . لو اشتغلت
أجيراً لمت قبل أوائى . الأجر عن العمل ، أى عمل ،
لا يقيم الأود . . . !

مسيناه : أتريد أن أسال عما إذا كانوا يريدون سواقا ! هل أقول
لكاتينا ذلك ؟

فاسيلى : اغربى عن وجهى ! سواق ، سواق ! دعك من وجع
الدماغ هذا ! تلك أعمال خاملة ! لن أذهب إلى أى
عمل من هذه الأعمال الرخمة . هل تفهمين ؟ سأظل

هنا حتى أجد صفقة ، خبطة ، هبرة كبيرة . سأعصر
ذهنى ، حتى أجد الحيلة الظريفة ، الحيلة الضخمة !
ألا يقدم الجميع على مثل هذه الخطبات . ألا يفعل
الجميع ذلك ؟ ألا يفعل كل من هم خارج السجون
ذلك ؟ وأنا أيضاً سأفعل ذلك ! أيضاً ! أن تكون
خبطة أو لا تكون ! صفقات ، هبرات هذا ما يريد
الجميع ! لحوم فاسدة يريدون ! سأخرج الموتى من
قبورهم وأبيع لحمهم على أنه لحم ضأن معتبر .
أكلات مفضلة ، وأسعار مرتفعة . هذا هو الحصان
الرابع فى السباق . وجدت الورقة الرابعة ! لن أكون
أول من يبيع الرمم . يريدون أساليب من شيكاغو
فليكن ، سوف نقلد شيكاغو ونقلد عصاباتنا !
يريدوننا على المقاهى ؟ هيا فلنجلس أذن على المقاهى .
وجدت أنا الورقة الرابعة ! خلاص !

مـيناه : فاسيلي ! سيزجون بك فى غياهب السجون !
فاسيلي : (يهجم عليها) إخرسى ، أيتها الفاجرة ، إخرسى .
أقطعى لسانك ، يا امرأة . تريدان الاحتفال بالمناسبة
السعيدة ، عيد زواجنا السعيد ؟ تريدان حلوى ، هيه ؟
دعك من وجع الدماغ هذا ! خلاص ! إنتهى !
ولتذهبى إلى الشيطان ، أيتها القدرة . إغربى عن
وجهى ! إغربى ...

ستار

يورغوس سكورتيس

السلفه

الشخصيات

بروكويو
رئيس المستخدمين
أناستاسيو (الثاني)
أحد العاملين

(غرفة مكتب . بها ثلاثة مكاتب صغيرة . الموظفان الأول والثاني جالسان إلى مكتيبيهما ومنهما كان فى العمل . بعد قليل يدخل السيد بروكويو)

بروكويو : (بلهجة ودود للغاية) صباح الخير ، يا أولاد . كيف الحال ؟

الثانى : (سبطل محتفظا على الدوام بموقف المناق) صباح الخير .

الأول : (عكر المزاج . أميل إلى الهجومية) صباح الخير .

بروكويو : (مستاء من اللهجة التى يحدثه بها كل من زميليه . يتوقف لحظة . ثم يمضى إلى مكبه ناظر إليهما مستاء شاكيا) .

هل أستطيع أن أعرف لماذا تتحدثان إلىّ على هذا النحو ؟

الأول : ماذا تعنى بذلك ؟ وهل نتحدث إليك على نحو غير عادى ؟ ماذا تقول ؟

الثانى : لست أدري ، بالله .

بروكويو : لهجتكما غريبة إلى حد ما ! بالطبع ، قد أكون قد خيل إلى ذلك .

الثانى : هيا ، يا سيد بروكويو . لا تعر الأمر كل هذا الاهتمام .

بروكويو : كلا . إنى أعيره كل الاهتمام ! .

الأول : قلت « صباح الخير » قلنا « صباح الخير » ولم

نقل شيئا غير ذلك استام الأمر الآن ؟

بروكويو : (يغنى استياء) ربما أكون قد خيل إلى شئ آخر وإن كنت

لا أعتقد ذلك . أفهم جيدا كيف يتحدثون إلى

الآخرين ، وعلى الأخص هذه الآونة الأخيرة .

الأول : (ناظرا إلى الآخر نظرة ذات مغزى) ماذا يعنى ؟

بروكويو : تعرف جيدا ماذا أعنى !

الأول : (إلى الثاني) لعلك تفهم أنت ، يا بروسوبارخيس .

الثاني : هيا ، ياسيدى بروكويو ، هيا .. التبس عليك الأمر فحسب ، وأسات الظن .

بروكويو : ياسيد تكتب كلمة واحدة ، لا أحد يستطيع أن يضحك علىّ ! أنا رئيسكم ! (إلى الأول) وأنت ، أسمع جيدا ، إنى أبقي جبينى ناصعا ، وأرفع رأسى على الدوام عاليا . فاهم ؟

الأول : ما الذى جعلك على هذا النحو ثائرا ؟ بالله قل لى . هل لدغك عقرب ، أم ذبابة ، أم نحلة ، أم ماذا ؟

بروكويو : أنتما لدغتمانى ! توشكان أن تفقدانى عقلى وصوابى .. هل لديكما شئ ضدى ؟ أريد أن أعرف ! هل أذيتكما فى شئ قط ؟ إذن ، إذن ، لماذا تعذبانى ؟ هيه ، لماذا ؟

الثاني : حاشى الله ، ياسيد بروكويو ، حاشى الله ..

بروكويو : (مواصلًا) على الدوام ، تهمهمان بالكلام من وراء ظهري ! بعد كل هذه السنين التى عملنا فيها سويا ، لم تتينا حقيقتى ، لم تعرفانى إلا الآن ؟ بعد كل هذه السنين ! كنا على الدوام معا . كنا صحبة واحدة . معا ، نشرب القهوة معا ، نشرثر ونتناقش ، معا نضحك ، ومعا نبكى ، هنا وفى بيتى ، بل وفى بيتكما أيضا . كنا على الدوام صحبة طيبة ! والآن ، أبدو لكما مريبا ؟ تستبد بكما الشكوك فىّ ؟ هل كنت مجرما ، ملوث اليدين ، قدرا ؟

الـثـانـى : (إلى الأول) اعتذر له ، يا أخى . أرجوك أطلب منه

الصفح عما بدر منك نحوه ، ألا ترى كيف يسئ الظن
بكل شئ ، ويأخذ كل كلام على محمل سيئ ..

الأول : لم ييدر منى أى شئ يجعلنى أطلب عنه الصفح . هل

تسمع ؟ وعلى الأخص لم ييدر منى أى شئ أعتذر
عنه إلى هذا الشخص بالذات !

بروكويو : أسمع ، يا صديقى . على أسوأ الفروض ، كل واحد

منا ضالع فى الأمر على نحو أو آخر ، متورط فيه
قليلا أو كثيرا . هل تفهم ؟

الأول : اسمع . ليس كل واحد . هيه ؟ كلا ، الزم الحدود

فى كلامك . الآننا لا نجاهرك بالقول ، تسول لك
نفسك أن تدس بنا فى ذات الزكينة القذرة التى
اندست فيها ، وتضعنا فى ذات الزمرة التى تورطت
معه ؟

بروكويو : ماذا عندكما من اتهام توجهانه إلى ، هيه ؟ هيا إجلبا

ما لديكما . لماذا تحتفظان بما عندكما بينكما ،
ولا تتحدثان عنه إلا من وراء ظهري ! أنا نظيف ،
طاهر اليدين ! لو لم أكن كذلك لما ترددوا فى طردى .
فاهم ؟

الأول : نجحت بكل بساطه فى البقاء . هذا كل ما فى الأمر !

بروكويو : ماذا ؟ أنا ؟ أنا نجحت .. ماذا تقول ؟ أنت كذاب !

الـثـانـى : ياسيد بروكويو ، أرجوك .. اهدأ (إلى الأول) كفى

يا بروسوبارخييس . كفى !

الأول : ألا ترى .. ألا ترى ماذا يقول ؟

بروكويو : كنت من الاوائل ، أنا ، تذكر ذلك جيدا . كنت من
الأوائل الذين خرجوا إلى الشوارع وصرخوا ،
وصرخنا بما فى أعماقنا .

الثانى : أريد أن أدلى بتعليق فى هذا المقام ، ياسيد بروكويو ،
أننا لم نكن نعرف شيئا بالنسبة لكثيرين ، ثم فجأة ...

بروكويو : ثم ماذا ؟ ثم فجأة ماذا ؟

الثانى : هيه ، يعنى ، عرفنا عن البعض هذا وعن البعض
الآخر ذلك .

بروكويو : هذا ما أقوله أنا أيضا . لماذا إذن وجدتما فى
ضالتكما . من ذلك الداعر الذى يشيع هذه القاذورات ؟
لماذا أضحى أنا الهدف الذى يتلقى سياط الستكم
السليطة ؟ أنا أيضا موظف مثلكما . وأنا أيضا كنت
أحنى رأسى مثلما كنتما أنتما تحنيانه . الأثنى حصلت
على سلفة ؟ سلفة صغيرة كى أبنى بدورى بيتا !
سنوات طوال سعيت لذلك ولهت جريا وراءه ! أنتما
شاهدان على أثنى حتى قبل تعديل الأوضاع ، كنت
أطلب سلفة ، ولكن بلا جدوى .

الأول : (بسخرة) تعديل الأوضاع ، هيه ؟

بروكويو : تعرف جيدا ماذا أعنى .

الأول : آه ...

بروكويو : ولو كنت تذكر ، أنت أيضا كنت تقول عنها آنذاك
الحركة المباركة .

الأول : كان الأمر مختلفا آنذاك . . .

بروكوييسو : ولو لم أكن مخطئا ، أنت أيضا قدمت طلبا لى تحصل على سلفة نعم ، أم لا ؟

الأول : نعم ، ولكن طلبى أنا رفض .

بروكوييسو : ذلك لأنك أصغر منى سنا ! ذلك لأنى كنت أخرج منك إلى سلفة . ثم إنهم إذا كانوا قد رفضوا طلبك أنت ، وأجابونى أنا إلى طلبى فأى غضاضة فى ذلك ، هيه ؟

الأول : لا أعرف أنا . وكيف تريدنى أن أعرف ؟

بروكوييسو : هل يعنى ذلك أننى كنت مواليا لهم وأنت لا ؟

الأول : أقول لك دعنى وشائى . . أسمع ؟

بروكوييسو : كلا ، لن أدعك وشأنك ! أنكما قد أحلتما حياتى إلى جحيم ! لم أعد أستطيع أن ، لم أعد أستطيع أن ألتفت إلى عملى ! لم أعد أستطيع أن أضحك ! ماعدت أستطيع أن أبنى بيتى ! تسول لى نفسى أن أهدمه من أساسه ! أصبحت على شفا الجنون !

الثانى : ياسيد بروكوييسو . . ألا تظن أنك قد تجاوزت حدودك ، وتماديت ؟ وأنتك تعذب نفسك سدى ! وأن كل ما تقوله هو من صنع خيالك فحسب ؟

بروكوييسو : أشكرك ياسيد أناستاسيو . تقف إلى جانبنى حقا ، وكنت لى نعم الزميل والصدى ، ولكن نحن أمام افتراءات ، أمام أحداث تفتعل لغرض سقيم . من هم أولئك الذين يروجون هذه الافتراءات ، ولماذا يروجونها ؟ لماذا ؟ لماذا هم إلى هذا الحد يكرهوننى ؟

الثانى : هيا ، هيا دعك من ذلك . لاتعر الأمر اكترأنا .
بروكويو : لا أعير الأمر اكترأنا ؟ ! وكيف أستطيع ألا أعير الأمر
اكترأنا ، مادمت منذ اللحظة التى أعلن فيها اسمى
تمنيت ألا يكون لى على الإطلاق اسم ؟

الأول : ولماذا تأخذ الأمور بهذه الحساسية . أقصد ، لو أنك
نظيف اليدين ، كما تقول ، فلماذا تعذب نفسك
هكذا ؟

بروكويو : لأننى حى ! لأننى نظيف ! وای نظيف طاهر اليدين
أنا ! ولكنكما بالطبع وجدتما الآن ضالتكما ، عثرتما
على الضحية . وجدتم الثور ، وانقضضتم عليه جميعا
كى تدمروه تدميرا . وأنت ماذا فعلت ، ياسيدى ؟
كنت تعمل ، أم أنك لم تكن تعمل ؟ تقاضيت مبلغاً
من هؤلاء أجل أم لا ؟ أجب .

الأول : لست فى صوابك ، على ما يبدو . كنت لا تريدنى أن
أعمل ؟

بروكويو : كلا ! كان يجب أن تعترض ، تناوئ : لوتوقف
الجميع عن العمل ، لو لزم الجميع بيوتهم حتى يوما
واحدا ، كان هؤلاء الناس سوف يسقطون . ودعنى لا
أقول لك أن الأموال التى كنت تتقاضاها كانت أموالهم
هم .

الأول : أنت تخطئ فى ذلك . الأموال كانت للمواطنين دافعى
الضرائب .

بروكويو : والسلفة ، إذن ، أموال من هى ، هيه ؟

الأول : تقصد المنح غير المردودة .

الثانى : دعك من ذلك ، الآن .

بروكويو : لماذا هى منح . ألم أقف بدورى فى الطابور ؟ ألم

أملأ أنا أيضا الطلبات اللازمة؟ ألا أدفع الأقساط ، أنا ؟

أم تظن أننى أخذت أكثر مما هو جائز؟ هيه؟ قل لى . الحق

إنى أخذت أقل . أهى منح لأنها لم تعط لك ، هيه ؟

وماذا فعلت أنت كى تعتبر أنك عارضتهم فأبوا عليك

السلفة ؟ هيه ؟ لا شئ . ظللت تعمل . واصلت

الخضوع للجدد ، كما كنت تخضع للقدامى .

لم يتغير موقفك بعد تعديل الأوضاع . هل تريدنى أن

أقول لك لماذا ؟ لأنك خفت على وظيفتك

الصغيرة .

الأول : أتعى ، أنك أنت لم تكن تخاف .

بروكويو : ومن قال لك شيئا مثل هذا ؟ كنت أخاف طبعاً ، بل

وكنت أخاف كثيراً . . لم أقل قط أننى عارضتهم فى

شئ . ولكننى أيضا ، لم أفعل شيئا يؤيدهم . كل ما

فى الأمر أننى واصلت العمل هنا . مثلكما ، ومثل

الآلاف من غيرنا لا أعرف ماذا سوف كنت أفعل لو لم

تكن لى أسرة أعولها . ولكننى فى مأزقى هذا ،

محاصرا بالتزاماتى قبلها ، لم أكن بقادر أن أفعل شيئا !

إلا أننى كنت فى قرارة نفسى على أى حال أرجو أن

يرحلوا عنا بأسرع وقت . . . وأنت تعرف ذلك . معا

كا نتكلم . وفيما بيننا كنا نقضى ما فى سرائرنا . . أم

أنك تريد أن تقول الآن أننا لم نكن نثرثر بمثل هذا الكلام فيما بيننا ؟ وكيف تستطيع إذن لنفسك الآن أن تلومنى ؟ كيف تنظران إلى مثلما تنظران إلى أبرص ، يفر الناس منه ويتحاشونه ؟ تكلمنا . وفضلا عن ذلك ، فكونى لازلت هنا ، لم أطرده من وظيفتى ، ولم أركل خارجا لهو دليل فى صفى ولصالحى . يعرف أهل القمة كل شئ . هم مطلعون على مجريات الأمور . ولا تغيب عنهم بادرة ! يعرفون أكثر منكما كثيرا من خان ومن لزم الصمت مضطرا . إن ملف خدمتى نظيف ، بل على غاية من النظافة . ناصع !

(يرق جرس التليفون ، على مكتبه ، يرفع الساعة)

آلو .. أجل .. قادم حالا .. (يقفل السكة) ذاهب إلى رئيس المستخدمين . طلبت منه أجازة قصيرة .. أريد أن أريح أعصابى . أن أهدأ قليلا .

الثانى : على الرغم من كل شئ ، اعتبرنا صديقين لك ...

بروكويو : (يومئ له برأسه عزيزا ويخرج)

(يظل الاثنان ساكنين فى العتمة . يأتى رئيس المستخدمين بمنضدته . يضعها

فى الطرف الآخر من المسرح ، ويجلس . يمضى بروكويو إليه)

رئيس

المستخدمين : تعال ، يا سيد بروكويو .. اجلس .

بروكويو : (يلهفه) كل شئ على ما يرام ؟

الرئيس : ياسيد بروكويو ...

بروكويو : إننى بحاجة إليها . . . أرجوك أن تفهم ذلك . لم أعد
أحتمل أكثر من ذلك . سأفقد صوابى !
الرئيس : ياسيد بروكويو . . يؤسفنى ذلك ، لدى أخبار غير
سارة .

بروكويو : (غير لاهم . واجبا) غير سارة ؟
الرئيس : طبيعية ، أجل ، ولكن غير سارة . . تلقينا أمرا بإنهاء
خدمتك .

بروكويو : (مبجوح الصوت . وعلى وشك الانهيار) خدمتى ؟ خدمتى ؟ أنا؟
هذا غير ممكن ! مستحيل ! لا بد أن ثمة لبسا فى
الأمر . سيدى رئيس المستخدمين ، لا بد أنك مخطئ .
لم أحصل سوى على سلفة بعد أن استوفيت كل
الإجراءات المطلوبة . . سلفة من أجل بيتى ! أفنيت
عمرا بأكمله من أجل هذا البيت الملعون !

الرئيس : يؤسفنى ذلك ، لكن بصراحة . . القرار صدر
نهائيا . .

بروكويو : (بغضب مكثوم وشكوى) وأنت ، ماذا قلت ، ياسيدى
رئيس المستخدمين ؟ ألم تدافع عنى ، ياسيدى ؟

الرئيس : وماذا أقول ؟ أنت تفهم . . .

بروكويو : (يتفجر) وأنت ماذا قلت لهم ياسيدى ؟ ألم تقل لهم أن
الحصول على سلفة لا يعنى بذاته شيئا ؟ ألم تقل لهم
إن مثل هذه السلفة حصل عليها كثيرون ؟ أنت نفسك
حصلت على مثل هذه السلفة .

الرئيس : (مرتعبا) هس . هس . من فضلك لاتجأ بالصباح .
أخفت صوتك !

بروكويو : ولكن اسمك أنت لم يدرجوه ! لم يعثروا عليك .
أنت ، لم يتوصلوا إليك ، قط ! كيف حدث ذلك
ياسيدى رئيس المستخدمين ؟ كيف نجحت فى إخفاء
نفسك ، فلم يظهر اسمك فى أى قائمة من القوائم ؟
الرئيس : ياسيد بروكويو ! أنك تهدمنى بذلك . تقضى على !
(يسقط بروكويو على أحد المقاعد منهارا)

(تعلقوا الأضواء فى الناحية الأخرى فيبين الأول والثانى)

الثانى : أعتقد أنهم سيفصلونه ؟

الأول : ومن أدرانى أنا ؟ إنى اشفق عليه ، المسكين . .

الثانى : آه ، بالطبع !

الأول : وددت أن أعرف من هو النذل الذى يروج تلك
الأقاويل ضده . أنا أردد فحسب ما أسمع !

الثانى : دب العطن فىنا كلنا . المجتمع فسد . قضى الأمر .
انتهى . . .

الأول : خذ هذه الأوراق للإمضاء .

الثانى : حاضر .

(يأخذ معه بعض الأوراق)

(عود إلى رئيس المستخدمين ، الآن)

بروكويو : لاتخف ، ياسيدى رئيس المستخدمين . لن أقول شيئا
لأحد أبدا . ثم من الذى سوف يصدقنى ، حتى
لو فتحت فمى بكلمة . لارال بإمكانك أن تقاضينى
بتهمة التشهير ! هل أنجزت بناء البيت ؟

الرئيس : تقريرا . أزوج ابنتي بعد بضعة أيام . إنه هدية رواجها . أرجوك أن تفهم ذلك .

بروكويو : اطمئن ، ياسيدى . إنى فاهم . لدى أنا ثلاث بنات .

الرئيس : انى آسف ، حقا . ليس باستطاعتى أن أفعل لك شيئا . كثرت الشائعات ، وألقت بظلالها على الوظيفة . فاهم ؟

(يقترب منها الثانى)

الرئيس : (مغيرالهجته) لابد أن تفهم ، ياسيد بروكويو . البعض يشقون فى السجون وآخرون يبنون بيوتا ! (إلى الثانى) نعم ، ياسيد نيكاندرية .

الثانى : بعض الأوراق للإمضاء ..

الرئيس : هات ما عندك (يوقع . يهم الثانى بالانصراف) هيا ، ياسيد نيكاندرية . انتظر .

الثانى : تحت أمرك . . .

الرئيس : لو لم أكن مخطئا ، سيادتك هو التالى فى الأقدمية بعد السيد بروكويو .

الثانى : أجل . بالطبع .

الرئيس : اعتبارا من اليوم ، ستحل فى رئاسة القسم محل السيد بروكويو بعد أن انتهت خدمته . . .

الثانى : شكرا ! (إلى بروكويو) بصراحة ، يؤسفنى ذلك ، يا صديقى ، غاية الأسف !

(يربت على كتفه . يمسك بروكويو يبلده ، وهو على وشك البكاء . يمضى

رئيس المستخدمين ينقر بأصبعه على مكتبه بعصية . وقد اكتسى وجهه بمسحة من القوة والصرامة) .

ستار

يورغوس سكورتيس

الصراع

الشخصيات

- الأب
- الأم
- الابن

(يجلس الأب فى مقعده ، يدخن بعصية .. تأتى الأم من الغرفة الداخلية وقد بدا عليها الحزن الشديد ...
وهى من الترع المطواع سلس القياد من النساء .. لحق فى الأب) .

الأب : ماذا يفعل ؟ ...

الأم : يجهز حقيبتة (برهة صمت .. يستدير الأب فى جلسته جانباً) ألن
تقول له شيئاً ؟ .

الأب : ما عاد عندى ما أقوله له .. ولا تنزعجى ... سوف يعود ..

الابن : (ما أن يدخل ، ولعله يبحث عن شئ) لن أعود ، يا أبى .

الأب : (لا يكلمه . بشيح بوجهه عنه غاضباً) .

الأم : هل تبحث عن شئ ؟ .

الابن : عن بعض الأوراق ..

الأب : يبحث عن حثالاته .

الأم : دعك الآن من هذا ! ما حدث حدث .. لا يجب أن

... نفترق متخاصمين . (تحبس دموعها)

الأب : متخاصمين ؟ .. هاه .. لا يا شيخه ! وما الجدوى من أن

أتشاجر معه فضلاً عن ذلك مثل هذه الأمور تحدث

... نحن معتادون عليها ! نعرفها جيداً ، ونتوقعها !

ثم لا نلبث أن نغفرها !

الابن : ما الذى تغفرونه ! ... صراع الطبقات ؟ .

الأب : (غاضباً) هاه .. تفضلى ! نفس الكلمات على لسانه

دائماً ! يلوك الدرس المعتاد !

الابن : وأنتم تفعلون المثل أيضاً .

الأب : صراع الطبقات ! هاه .. لم يخرج بعد من البيضة ،

ويعرف هو أيضاً صراع الطبقات ، هاه . يا أيها

المسكين ! أخرج أولاً إلى الحياة ، وأدخل فى

صراعاتها ثم تعال حدثنا عن صراع الطبقات .

الابن : (يواصل الكلام ، وهو منصرف إلى البحث بفتور) العديد من السنين

أتصارع .. أتصارع معك أنت .

الأب : (متغلا) هل تسمعيه ؟ يتصارع معي . هذا ما يقوله .

ومن يكون هذا الذي يتصارع معي ؟ ابني ! ابني أنا ثم

تلقين اللوم على . هيه ؟

الأم : اخفض صوتك ، لاتصح !

الأب : هل أنا الملموم في شيء ، إذن ؟

الابن : ملموم أنت مادمت تؤيد وتشجع بالقوة نظاما اجتماعياً

جائراً وغير إنسانى .

الأب : هاه ، حسنا ، إذن ! هذا النظام هو الذى جعل منك

ابنا لمدير مصنع به ألف عامل ، وليس إينا لواحد من

هؤلاء الألف ! ويتيح لك هذا النظام الآن أن تقول

«إنى أرحل» وتستطيع أن ترحل . لأنك لو كنت إينا

لواحد من أولئك الذين تدافع عنهم ، لما استطعت أن

تسكع هنا وهناك ! كنت ستعمل مثل كلب ! أم أنك

تعتقد أنهم فى ظل أنظمة أخرى كانوا سيسمحون لك

بالحركة والتنقل كما تشاء . هاه ! أيها الولد الطائش

.. سوف كانوا يذهبون بك إلى منفى بعيد !

(يعود الابن إلى الغرفة الداخلية)

الأم : أرجوك ، ياخريستو .. إهدأ قليلا ! تمالك

أعصابك . !

الأب : إنى متمالك لأعصابى ، يا امرأة . متمالك لأعصابى

لأنى رجل هادئ . وأنا هادئ لأن ضميرى مرتاح .

لست الملموم ، بل هو . أنا السيد فى هذا البيت ، ومن

اختلف مع السيد ، يجب أن يرحل !

الابن : (يدخل) أهذه هي الاخلاق التي علمها لك القساوسة ؟

الأب : كفاك تجديفا !

الأم : لاتتحدث إليه هكذا ، يا بنى . أنه أبوك !

الابن : وماذا يعنى هذا ، إلهى هو ؟ وأنا الخاطئ الذى قضم

قضمة من تفاحة المعرفة ! كفى ، يا أماه .. كفى ،

يا أماه (يتصرف إلى الداخل) .

الأب : (يواسيها ، وقد طفرت الدموع من عينيها) لاتبكى .. صدقيني

إذ أقول لك : إنه عاجلا أو آجلا سيعود ، وسأصفح

عنه انا ..

الابن : (من الداخل ، مشاغبا) هاه ! وددت أن أعرف ماذا ستفعلون

عندما لن يصبح لكم فرصة الصفح والغفران ،

ستهاوون إذن مثل قلعة من ورق !

الأب : سيكون بإمكاننا على الدوام أن نصفح .. ! دهورا

الآن بإمكاننا ذلك ، وسيظل الحال على هذا المنوال

طويلا ! أجل ! ونحن نصفح عنكم لأنكم لازلتم

تنقصكم المعرفة . سيأتى يوما تقول فيه بدورك « كنت

أنا بدورى مارقا » سيروق لك أن تتذكر ذلك . ولكن

سيروق لك أكثر أنك ما عدت كذلك . ذكرى ، مثل

كل الذكريات الأخرى ، ستدخل الراحة إلى معدتك

الملتثة ! ولكن كى تقول ذلك أنت بحاجة أولا إلى

غفرانا ! ونحن نعرف كيف نغفر .

الابن : (من الداخل) طوبى للنادمين المستغفرين ، هيه ؟ يالك

من رجل ظريف .

الأب : إخرس !

الابن : (يأتى إلى الباب الموارب) عندما أعطيك فرصة أن تصفح
عنى ، عندئذ فحسب يمكنك أن تأمرنى . أما
فى الوقت الحاضر فاحتفظ بأوامرك لزوجتك وللعاملين
فى خدمتك . . . إلى أن يمكنهم بدورهم أن يسدوا
فمك ، حتى تستريح !
(يتصرف)

الأم : بيتروا !

الأب : (تنفجر أعصابه) أسمعين هذا الولد قليل الأدب ، هيه ؟
يدعو من أجل خرابى ! يدعو من أجل موت أبيه ! من ؟
ابنى أنا ، ابنى !

الأم : (منعطفه معه) لاترهق أعصابك ، إلى هذا الحد !
لاتحمل الأمور أكثر مما تحمل ! أنه يقول هذا الكلام
فحسب ، لكنه لا يصدق ما يقول . أنه يحبك . بيترو
يحبك . لازال ولدا صغيرا .

الأب : أجل . لازال ولدا صغيرا . . خرج فى مظاهرة .
سامحناه . خرج فى مظاهرة أخرى قبلنا الأمر على
مضض . قبضت عليه الشرطه ، عملوا اعتبارا لاسمى ،
أفرجوا عنه . انضم إلى منظمة ، قلنا « معلهش » .
انضم إلى منظمة أخرى قلنا لازال صغيرا . أضحى
خارجا على النظام ، قلنا إنه ولد صغير . ولكن إلى
متى ؟ لا يستطيع هذا الفتى أن يمضى يسب رفاقى
ومعاونى . إنه على أى حال ابنى ! ابن المدير ! هذا

أمر غير مقبول ! غير مسموح لى أن أتركه يفعل ذلك !
تجاوز كل الحدود ! لا أستطيع أن أتركه يزلزل الأرض
من تحت قدمى . إنى ملتزم ! طفح بى الكيل ! شقينا
جميعا من أجل هذا البلد ! ضحينا بشبابنا وبذلنا دماءنا !
فى سبيل هذا البلد ، الذى لا يمكننا أن نتركه تحت
رحمة هذا الشباب المارق الطائش ! من واجبنا أن
نهزمهم ، وأن نرددهم صرعى !

الأم : خل عنك ذلك ! هيا ، اسكت ، حتى لا يسمعك !

الأب : وماذا لو سمعنى ، يعنى ؟

الأم : دعه .. ليس من اللائق أن تتبادلا مثل هذا الكلام
المريز . سوف تندمان !

الأب : أعرف ذلك ! أعرف أنى سأندم ، ولكن ذلك سوف
يكون من أجل مصلحته . من أجل مصلحة الجميع !
(يصبح موجه خطابه إلى الداخل) من أجل من شقيت أنا !
من أجل من حاربت ! من أجله هو !

الابن : (قادمًا) خطأ ! فى مجتمع الأنانية هذا الذى وصلت
إليه ، لا أحد يشقى من أجل غيره ، قاتلاً أو مقتولاً
كنت ، فمن أجل نفسك . كل يهمله نفسه فحسب .

الأب : كلا ، يا سيد . كلا ! لنا قيم تربط بيتنا ! لنا مبادئ
توحد بيتنا ! نحن أسرة واحدة !

الابن : (بسخرية) أسرة .. هاه .

الأب : (إلى الأم) قولى له أن يكف عن ذلك ! قولى له أن
يسكت !

- الأم : هيا ، يابنى .. أتوسل إليك .
- الابن : هيه، يا أماه، جعلت من نفسك جارية له عمرك كله .
- الأب : أمك ، سيدة بارة !
- الأم : كفا عن ذلك !
- الابن : طيبعى أن يجد السيد أتباعا بررة يسبحون بحمده .
- الأم : اسكت .
- الأب : الخطأ خطاه هو !
- الابن : منذ متى كفت عن أن تحب أمى ؟
- الأم : أنا لا أسمع لك !
- الابن : تلعب فى مكتبك مع الصبايا وتأتى إلى زوجتك آخر النهار فاترا ، مدعيا الإجهاد ، الوعكة ، وتتحدث بعد ذلك عن الأسرة . عن حياة أسرية تتحدث
- الأم : اسكت !
- الابن : أتعرف ماذا قالت لى ماريا ، الأنسة ماريا التى تعمل طرفك بالمكتب ؟ صاحبته أنا بدورى . لم أتعُد على مالك من حقوق السيادة ، على أى حال . أتعرف ، إذن ماذا قالت ...
- الأم : لاأريد أن أسمع ! .
- الأب : (اسقط فى يده من فرط المفاجأة) لاتعتمد إلى المزيد !
- الابن : (بغير رحمة) هذا أمر أم أنه استسلام واعتراف بالهزيمة ؟
- الأب : (لا يتكلم ويحاول أن يشعل سيجارته مرتعشا ... تبكى الأم . يلقي الابن عليهما نظرة انتظار برمة . ثم ينسحب إلى الغرفة الداخلية . يشعل الأب سيجارته) أنه قادر أن يقول وأن يأتى أشد الاقوال

والأفعال بذاءة وقذارة .. وذلك كي يصدمنى . ابنى
للأسف يحاربنى ! لكننى لن أتركه ! وأنت ،
حذارى ! لاتصدقى أى شئ قاله ! أو يزعم أن يقوله .
تسلحى بالثقة ! .. لاتصغى إليه ، ولاتصدقى شيئا ! .
الأم : (تبكى متشنجة) لا أريد أن أسمع شيئا ! لا أريد . كفى ،
كفى ، أوقفوا هذه الحرب . كفى ! لا أريد ..
لا أستطيع .. لا أستطيع !
(توشك على الإغماء بمسك بها الأب مرتعبا) .

الأب : مارغاريتا ! كلا ! أستحلفك بالله ، تماسكى ! انفضى
عنك الانفعالات العنيفة ! إنه يكذب .. أفيقى ،
يامارغاريتا ، أفيقى . سيدمرنا هذا الولد تدميرا ! ..
(ينادى ابنه) أحضر قليلا من الماء ! أمك تموت يا ولد !
الابن : (يجرى خارجا إليها . ويقرب منها بهدوء) أماه ، هيا اهدئى .

الأب : سوف تقضى عليها ، أيها القاتل !
الابن : قتلتها أنت منذ أمد طويل من قبل . أجهزت عليها ،
بصفقاتك ، ومكاسبك ، ومنافساتك القذرة ، مع
سائر الأندال من طغمتك الخسيسة !

الأب : أحضر قليلا من الماء ، يا ولد ! (يمضى الابن إلى الداخل)
تعالى ، يا حبيبتى ، تعالى . أحبك أكثر من أى
شخص فى الدنيا .. أنت زوجتى ، وأنا زوجك ،
حتى الموت ! نحن عندنا مبادئ . لن نتنكر لها
ونهدمها ، مثلهم ، ولن نتركهم يهدمونها ...

الابن : (يدخل ممسكا كوبا من الماء) قضى الأمر الآن . حطمت كل شئ ورحتم تلملمون الحطام وتلصقونه بصوالح الأنانية !

الأب : (يتاول الأم جرعه من الماء) نحن نفعل ذلك ؟

الابن : أجل بكذبكم ، وأخلاقياتكم المصطنعة ، وشعاراتكم المزيفة وتدينكم المخضب بالدماء . ! وثرواتكم العطنة !

الأب : (وقد أفادت الأم) بغير مال ، لا وجود لك ! هذا أول شئ كان يجب أن تعلمه إياكم الإيديولوجية التي تشدقون بها !

الابن : لعلمك ، هذا صحيح ، ولكن المال الذى نقدره نحن ليس ذلك الذى تعنيه أنت ، وليس ذلك المستعبد إلى الأبد .

الأب : أنكم مضحكون . لا تستطيعون أن تعرفوا كم نحن أقوياء بثرواتنا ! إذا أوصدت الأبواب فى وجوهنا ، تسللنا من النوافذ وجعلنا منها أرحب الأبواب ، فى النهاية . أما أنتم ، فقد رحتم تتعلقون بالمعجزات . يالكم من مضحكين حقا ، ماديون واقعيون أنتم ، أو هكذا عن أنفسكم تزعمون ، ثم لا تلبثون أن تتشبثوا بأهداب المعجزات !

الابن : نؤمن المعجزات التى تصنعها الأيدى التى تعمل حرة طليقة من القيود ، بلا سياط تهوى على الظهور ، ولا

مقود تقاد منه مثل الجياد ! ولولم تكن ضيق الأفق
متطرفا إلى هذا الحد ، لكنت استطعت أن تتبين أن
المعجزة شرقا وغربا تتحقق .

الأب : (متلمزا) أنت مجنون ! ملتو ! خدعتم جميعا !
الوحيدون الذين لن يخدعوكم هم نحن ! وذلك لأننا
أنجبناكم . نحن صنعنا هذا العالم . نحن علمناكم
كيف تفكرون ، وبالتالي نحن أيضا الذين أعطيناكم
الأسلحة التي تحاربونها بها ! لكننا لن نترككم تحاربونها
إلا بالحد الذي يحقق مخططاتنا . نحن فى نظركم
نضع فى أيديكم وأقدامكم أغلالا ، ولكننا فى الواقع
لن نخون أبدا أحلامكم مثلما يفعل الآخرون . نحن
نحبكم . نحن بحاجة إليكم !

الابن : تفخم كثيرا من طبقتك ، وتعتر بانتماذك إليها .
الأب : إنها طبقتك أنت أيضا (إلى الام) لا تقلقى ، يا
مارغاريتا . . الزمى الهدوء . إننا نتبادل أطراف
الحديث ، فحسب .

الابن : (يرمقه بسخرية) على أى حال ، إننى راحل .
(ينصرف إلى الغرفة الداخلية . تضطرب الأم . كما يضطرب الأب بدوره .
أضحيا الآن يواجهان خاتمة المصير . يحوطها الأب بذراعه ويأخذها فى
حضنه ، وقد ثبت أنظاره على فتحة الباب الموارب)

الأم : خريستو . . ما عدت أستطيع . . سوف يرحل !
الأب : الزمى الهدوء .

الأم : أفعل شيئاً . . أطلب منه أن يغفر لك . . إنه ابنك

على أى حال . وليس فى أن تطلب منه ذلك ما يشين !

الأب : (يواصل التطلع إلى انفراجة الباب الموارب وقد استقر عزمه على قرار)

(يقبل الابن حاملاً حقييته . لحظات يتبادل فيها الجميع الانظار واجمين .

وفجأة ، تمضى الأم لتحتضن الابن ، إلا أن الأب يصددها عن ذلك بصرامة)

الأب : مارغاريتا !

(تتوقف الأم فى منتصف الطريق ، مرتبكة ، لا تدرى ماذا تفعل)

الابن : استبدادك ليس له حدود !

(يخطو خطوتين ، ويأخذ أمه التى تنخرط فى البكاء بين أحضانها)

لو كان باستطاعتى لأخذتك معى ، وأخرجتك من هنا .

الأب : (وقد استقر عزمه على الهجوم) ولماذا لاتستطيع ؟

الأم : خريستو !

الأب : لماذا لا تستطيع . لنفترض أننى أسمع لها بالرحيل . .

أين ستذهب بها . . ماذا لديك كى تعطيه لها ؟

الابن : سوف يكون بإمكانها على الأقل أن تستنشق هواء نقيا !

سوف يكون بإمكانها أن تحيا فى النهاية !

الأب : هواء ، إذن ! هذا ما لديك كى تعطيه لأهلك . هواء

مدقوقا ! أما هى فسوف تحيا عاملة فى مصنع أو خادمة

تشتغل فى البيوت ، وذلك كى يتمكن ابنها المرفه

الغندور أن يظل طالبا يتناقش فى أمور السياسة ! لأنك

بالطبع قد تكون منحازا إلى الغلبة الكادحين ، ولكن

ليس باستطاعتك أن تضحى تماما منهم . لاتستطيع أن

تكون بدورك غلبانا كادحا ، لأنه من ذا الذى سيقم

حينذاك أودك ؟ من ذا الذى سيوفر لك الدعم كى
تثرثر بآرائك فى الهجوم على طبقتنا ، ويساندك ماديا
فى تجريحنا ؟ هيه ؟ هذا ما كان بمقدورك إذن أن تقدمه
لأمك لو أنك أخذتها من هنا ! قليل من الهواء النقى ،
هيه ! ثم بعد ذلك تتبجح وتسالنى ولم لا أستطيع ؟
سوف أجيبك أنا لماذا لا أستطيع . لأنك خارج هذا
البيت ، لاوجود لك . لا مال لك ، لاوجود لك !

الأبـن : اطمئن ، سوف يكون لى بغيرك وجود . لا تشغل
بالك سوف يكون لى وجود ، وأفضل من وجودك
بكثير أيضا !

الأب : أين ؟ ومع من ؟ مع المفلسين ، عميان القلب ؟ وإلى
متى ، تظن أن وجودك هذا سيستمر ؟ هل تريدنى أن
أقول لك أنا من جديد إلى متى ؟ إلى أن تنفذ
نقودك ، التى هى نقودى أنا .

الأبـن : إنى ابصق على نقودك . فاهم ؟ إنى راحل .

الأب : كلا . لن ترحل ، لم يحن وقت رحيلك بعد ! يجب
إن تيجبنى أولا .. يجب أن تخبرنى من ذا الذى قال
لك إن أمك إلى جوارى لاثميا .. أو أنها لاثمب أن
تمثيا ... وأن حياتها هنا فراغ .. وأن الملل يطبق على
خناقها . أجبنى ! إن حياتها معى على مايرام . والآن
إسألها ! ستجيب عليك بنفسها ! أجيبه ، يا
مارغاريتا ! أريد أن أسمع الإجابة ! هل سترحلين من

جانبى ، كى تذهبى معه؟ هل سترحلين أبدا ؟ أجيبى !

الأم : (وقد اسقط لى يدعا . ولا ترى لنفسها مخرجا) كلا . .

الابن : أيها الدكتاتور المستبد !

الأب : أنت مخطئ . أنا مجرد سيد أمسك بالزمام . وددت

أن أعرف الآن من أنت ؟

الابن : كف عن هذه اللعبة الغبية .

الأب : أغلب الظن أنك مجرد واحد من جيل المشاغبين

الساخطين . وهؤلاء لا يستحقون منا سوى السخرية

والازدراء . ها ، ها .

الابن : الزم حدودك . حذار ! (تدخل الأم بينهما)

الأب : دعك منه يامارغاريتا . أنا لا أخشاه ! لست انت من

أخشاه . لستم أنتم من نخشى ! لقد خدعناكم ،

وغررنا بكم . ألصقنا بكم صفة البطولة المزيفة ،

وانتهينا منكم ! انظر إلى أنا . كنت رجلا من رجال

الصناعة ولازلت . وأجزم لك أننى الآن أكسب أضعاف

ما كنت أكسبه من قبل ، وفى العام القادم ، سيصل عدد

عمالى إلى ثلاثة آلاف عامل فى المصنع الجديد ، أما

أنتم ، فما الذى حققتموه ؟ ما الذى تعتقد أنت أنكم

حققتموه ، ضدنا ؟ !

الابن : تعرف جيدا ماذا باستطاعتنا أن نفعل . تعرفون جيدا ماذا

باستطاعتنا أن نفعل ، وترتعد لهذه المعرفة أوصالكم !

الأب : هذا خطأ ! إننا لانخشاكم أنتم . يامعشر الشباب

المتلى بالحماسة ، يا من تتشددون بالكثير من الكلام
الأجوف ، بل نخشى ماردا ضخما لازل لحسن الحظ ،
حتى الآن فى سباته غارقا .

الابن : يوما ما ، سوف يصحو ذلك الوحش الكاسر ! وهذا
اليوم أيضا ليس ببعيد ، وعندئذ سوف يفتح فاه
ويبتلعكم .

الأب : وهل أنتم الذين ستوقظونه ؟ أنتم عاجزون حتى أن
تحرروا أنفسكم ، فهل ستحررون تلك الجموع
الضخمة ؟ أنتم إنما تعملون لحسابنا ! تنتزعون المبادء
من هؤلاء وتسلمونها إلينا !

الابن : حسنا .. سنرى ذلك .. لاشئ انتهى بعد . المعركة
مستمرة ! (يحمل حقيته ، ويهم بالرحيل) .

الأب : أما عن ماريا . (يتهم الابن مصنيا) الأنسة ماريا ، فأريد
أن أقول لك إننى أنا الذى دفعتها إلى أن تصادقك ،
بل وأيضاً نقدتها أجرا على ذلك . كلفتى ماريا خمسة
آلاف دراخمة .

الابن : يالها من عاهرة !

الأب : أما أنا فما كنت أسميها عاهرة قط .. إنها بالنسبة لى
عميلة أدت صفقه ، عهدت اليها بمهمه فنقدتها ،
وقبضت الثمن .

الابن : تفكير خسيس ! طوال حياتك تعودت على الصفقات ،
على البيع والشراء ، أن تباع للغير وتشتري !

الأب : هذا قانون السوق . نحن نحيا في سوق ضخم !
عرض وطلب ! حتى أنتم يمكن أن نشترك
ونستخدمكم !

الابن : هذه إملاءات الفاشية القبيحة . (بهم بالانصراف من جديد) .
الأب : ألن تسألني لماذا أنقذتها أجرا ؟ ألا تريد أن تعرف ؟
يكل سرور ، سوف أخبرك فعلت ذلك ، لأنني
لاحظت أنك تتعثر في علاقتك مع النساء . لديك
عقدة نقص منهن مثل كل رفاقك الذين استبدت بهم
المثالية المفرطة . ووأدت في أعماقهم القدرة على
التسديد . استأجرتها إذن ، كي تتلاقى معك . لأنني
أردت ابني أن يكون رجلا ، لا يخشى النساء ،
ولا يضعف أمامهن . استخدمتها إذن ودفعت لها أجرا
كي توقظ فيك رجولة راعى أنها أضحت عنك ،
مثلما عن أبناء جيلك ، غائبة ! أردت بذلك أن تكون
سيدا مطاعا لا سلس القياد مسودا !

الابن : (مزجرا، يضرب الأرض بحقيقته تمسك الأم به)

خريستو ! كف عن ذلك ، يا خريستو ! .

الأب : ما الذي أثارك من كلامي وعكر صفو مزاجك ؟ ألم
تكن أنت نفسك تقول لي ذات مرة عن أحد رفاقك إنه
كان ينعتكم بالعجز وانعدام الفعالية ؟ ألم تقل لي ذلك
أنت نفسك ؟ قلت لي أنت ذلك ، ورثيت لك ، دون
أن أنبس بكلمة . بش المثالية المفرطة . إنها تقضى إلى
العجز وعدم القدرة على التعامل مع الواقع . وقد

أردت أن أعيدك إلى الواقع الذى أنت منه ، أن أبعث
فيك الإحساس بأن تسود وتتسيد . ولكن إلى متى
أنفخ فى قربة مقطوعة ؟ إلى متى ؟ تريد أن ترحل ،
هيه ؟ ارحل إذن ، ولكنك لن تجد من يدفع من أجلك
أجرا لماريا أخرى !

الابن : هذه خسة منك ، وقذارة ! اعتدت البيع والشراء ،
اعتدت مثل نخاس حتى تجارة الناس والأعراض .

الأب : أخبرتنى ماريا بكل شئ ! ولهذا فقد أجزلت لها
الأجر ! قالت لى إنك تعاني من كوابيس ومخاوف !
ممتلئ أنت بالعقد النفسية . وتعاني إزاء النساء أزمات
من الرهبة الشديدة !

الابن : أيها الخسيس ، أنت الذى جعلنى هكذا ! أنت
ومجتمعك الذى يتاجر بالأعراض مجتمع مصاصى
الدماء . أيها الأوغاد الذين تنهشون البشر !

الأب : بالطبع نحن ! نحرمكم وأنتم صغار من رغباتكم حتى
نضمن أن تكونوا فيما بعد طوع بنائنا . أجل ، نحن
الذين صنعناكم ، ولدينا المقدرة أن نجعل منكم عجينة
طيبة . لستم أنتم بأى حال الذين تصنعوننا . بإمكاننا
أن نكسركم كأعواد حطب جسافة ، وإلى الجحيم نلقى
بكم . أنتم أقزام ، صغار النفوس ، شكلا ومضمونا .
يجب أن تفهم ذلك ! وفى لحظة يزعم القزم الضئيل ،
وماذا تكون النتيجة ؟ ذات يوم تكونون حزبا واحدا ،
ثم تتكاثر أحزابكم . قد تضحون ثلاثين حزبا ، ولكن

ماذا تكون النتيجة ؟ يتعارك كل طغمة منكم مع
الأخرى ، وبينما تبادون تمضي مسيرتنا نحن عبر
التاريخ ، أحرارا ، متحدين ، تسودنا السكينة . نعمل
التحطيم فيكم ، ونهد قواكم ! وماذا تظن ، أثمرت
هنا وهناك تحركاتكم ؟ تحقق النصر للأقزام ، لهؤلاء
الصغار ! هيا ، أذن ، إرحل ، اذهب لتجد عزاء لدى
هؤلاء الأقزام ضيلى القدر !

الابن : (وقد رفع شيتا ليفضيه به) اخرس !

الأم : خريستو ، أستحلفك بالله ! الرحمة !

الأب : الرحمة ليست لأجل الحمقى ، يامارغاريتا . دعك من

طلب الرحمة لمثل هذا الولد العاق ! (إلى الابن) اضربنى
إذن ! من ورائى تقف آلاف القبضات الحديدية التى
ستكسر ذراعيك ! هاه ! اذهب إلى طغمة الأشرار التى
تتنمى إليها . أحد رجالى ، كان يتعقبك ، ويعرف
تحركاتك وسكناتك كلها . أعرف ما الذى كان يجعلك
تهجر كل طغمة تنضم إليها . ميل إلى الاستقلالية !
رغبة فى تأكيد الذات ، تمسك بوجهة نظرتك الخاصة
للأمور ، ولكن على الدوام كانت وجهة نظرك تلك
مجلوبة إليك من آخر أكثر اقتدارا منك ، فإذا أفلت
منها فإلى وجهه نظر أخرى مجلوبة بدورها من غيرك ،
وهكذا ، وهكذا ، وهكذا ! قرأت أنا أيضا أوراقك !
كنت آخذها منك خلسة وأقرأها ، كى أعرف أحوال
عدوى ! أنت لا تتكلم ، هيه ؟ هيا ، ارحل إذن .
وكون لنفسك طغمة خاصة بك ، أنت أيضا . إرفع

علمك ، واخرج لتخطب عبر مكبرات الصوت في
جماهير الشعب اليوناني اهيه ! . . ولكن الشعب سوف
يصرخ فيك « لا تريدك . لا تعرفك » لأن الجموع ،
الملايين ، الآخرين ، الجماهير ، لاتأبه بك ،
لا تعرفك . أنت بالنسبة لهم نكرة . الجماهير ملكنا
سنوات وسنوات ، الآن ، هي لنا . دهورا تلو دهور ،
والى الأبد ، تتبعنا ! هاه ، هذا الذى تفعله حسن ،
ومنذا الذى لا يريد أن يخالف ، ويظهر بمظهر المتفرد .
خالف تعرف يا أخى ، هكذا يقولون ، ولكن هذه
أمور حسنة عندما يكون المرء فى شبابه ، وقبل أن
تفجعه الأيام ، وتخيب ظنه فى الناس إذهب ، الآن ،
إرحل ، بحقيبة أيبك ، والملابس التى اشتراها لك
أبوك ، والتعليم الذى أتاحه لك مجتمع أيبك ، ولغة
أيبك ، ونقائص أيبك ، ونقود أيبك ، كى تطبع
منشورات ضده . اذهب . وعندما ستجد نفسك بلا
قرش واحد ، وتعرف أنك فى هذا المجتمع لا وجود
لك بغير المال ، وبغير قرش لاتساوى أكثر من صفر
كبير ، إذهب والتحق بعمل فى مصنع ، وسوف تذوق
حلاوة الفقر ، سوف تعرف ماذا يعنى أن تشقى عشر
ساعات وخمس عشرة ساعة فى عمل يمتص وجودك ،
ولا يترك لك فى النهاية شيئا ، سوف تنسى إذن
أحلامك . ولعك تتزوج أيضا عاملة فى مصنع تكدح
ليل نهار مثلك . وتنجب أولادا ، وتمضى فى الحياة
تتظر أن يأتى فرج ، لايجئ وتغلا سمعك بالأكاذيب

العمامة وأنباء الخيانة والخذلان والجرائم ، ومفاسد
البيروقراطية ، وتجاوزات الدولة البوليسية ، وعصابات
المرتشين وحشالة القوم ، والعاشرات والقوادين
والامعات والمرتزقة . ويظل المكسب على الدوام هو
الأساس الذى يقوم عليه السوق . اذهب . . ارحل
.. ولكن إذا ما أردت أن تبقى ، فأنا ، أنا أبوك ،
أطلب منك الصفح والمعذرة !

(تنفجر الأم فى نوبة من البكاء ، يهجم عليه الابن مهتاجا . ثم لا يلبث أن
يجرى إلى الغرفة الداخلية . بينما يتهد الأب جالسا)

الأم : (دون أن يبدو على الأب أنه يتوى اللعاب فى أصفاب ابنه) حذار ،
يا خريستو . حذار . لا تذهب إليه ! لا تنخرط فى
شجار معه . كفى ! اصفح عنه !

الأب : إنى أصفح عنه (يسمع من الداخل ، صوت الباب وهو يفلق بشدة)

الأم : (تقبل يديه) أشكرك ! أشكرك !

الأب : أديت واجبى . مادام لازال بإمكاننا أن نضرب ،
فسنضرب ، حتى أولادنا لن يفلتوا من ضرباتنا !

(برهتين . يستدير الأب فجأة ليرى حقية ابنه واقعة على الأرض . ثم يذهب
نحو الباب الموارب) .

الأم : حذار ! حذار ! لا تذهب إلى الغرفة بالداخل هناك !
اجلس واهدا سأتى به أنا بنفسى .

(يستدير الأب هائلا . تلعب الأم إلى الداخل . ثم تعود وقد ألجم لسانها) .

الأم : خريستو ، إنه رحل ! (تبكى فى صمت) رحل !

الأب : (بعد برهتين ، دون أن يفقد هدوء أعصابه) حسنا ، إذن لازالت
المعركة مستمرة !

ستار

ديمتري بساتاس

مجانين العصر

الشخصيات

الطبيب

السيدة

اغسيلاوس فوكاراس (يبلغ من العمر خمسين عاما)
سنة مجانيين (من أنماط مختلفة)

(تجرى أحداث المسرحية فى العيادة . يجلس الطبيب على مكتبه بينما يجلس السيدة قبالته)

الطبيب : والآن ماهى الأعراض التى تظهر على زوجك ؟
السيدة : قبل كل شئ ، يظهر عليه القلق والاكتئاب ، ياسيدى
الطبيب .

الطبيب : وماذا يظهر عليه غير ذلك .
السيدة : ثم هو عصبى عصبية مفرطة .
الطبيب : أهو يتفجر فى الصباح ؟ يشتم ويلعن .
السيدة : إنه لايفعل ذلك على الدوام . لكنه ، ياسيدى الطبيب
يأتى إلى البيت فى بعض الأحيان شارد اللب ،
شاحب الوجه . وإذا به يضرب نفسه ويهلوس ،
ويطلق السباب وتتناه النوبات .

الطبيب : ومتى يحدث له ذلك ؟ أعنى متى تتناه النوبات ؟
السيدة : عندما يقبض مرتبه .
الطبيب : وهل يتقاضى الكثير ؟
السيدة : ماذا تنتظر أن يتقاضاه موظف حكومى ، ياسيدى ؟
الطبيب : آه ، أجل ، موظف حكومى . فهمت . هل تستبد به
فكرة واحدة لا تتغير ؟

السيدة : أجل . يفكر دائما فى العلاوة فى ميعادها . متى
ستصرف . هل سيخصص منها شئ . وكلما تأخر
حصوله عليها ، كلما ساءت حاله .

الطبيب : هل هو يلعن الحكومة . ويشتم المسئولين ؟
السيدة : طوال النهار يتمتم متذمرا . وهو بالليل على الأخص
شديد الانزعاج . يهب أحيانا من نومه كالمجنون ويصيح
فى ماريا أريد أن أكل الوزير أريد أن أكل الوزير .

الطبيب : هل يصب نغمته على الوزير فحسب ؟
السيدة : أجل ، عادة ، لكنه يصبح فى بعض الأحيان قائلاً :
أريد أن اكل رئيس الوزارة .
الطبيب : ما هى الوظيفة التى يشغلها .
السيدة : صراف بالخزينة .
الطبيب : آه ، هو صراف بالخزينة ، إذن . .
السيدة : أهذه بادرة سيئة ، ياسيدى الطبيب ؟
الطبيب : آيه بالطبع . إنها تزيد من صعوبة سوقه . . ملايين
الجنيهات تنساب من بين يديه كل يوم ياسيدتى ،
ولا يدخل جيبه منها شئ . .
السيدة : ولاحتى ثمن السجائر . .
الطبيب : أليس ثمة أعراض أخرى مميزة ، تستلفت اهتمامك
على وجه الخصوص ياسيدتى ؟
السيدة : الأعراض عديدة ، ياسيدى الطبيب . فى كثير من
الأحيان يقول إنه ذاهب إلى السوق . ثم لايلبث أن
يعود كما لو كان يسير نائماً ، ويمد إلى يده قائلاً . .
ماريا خذى هذه الدجاجة التى اشتريتها لك .
الطبيب : وما الذى يزعجك فى هذا ؟
السيدة : إنه يقول ذلك ياسيدى لكنه لا يحمل شيئاً مما يقول .
يصيح فى : ماريا خذى هذا الجنبى . . لكن يديه
خاويتان على الدوام . . ماريا خذى هذا السمك
الباريون - خذى هذا الديك الرومى . هذه الشرائح من
اللحم . .

الطبيب : ولا يحمل شيئاً من هذا كله ؟

السيدة : لاشئ على الإطلاق ، ياسيدى الطبيب .

الطبيب : وأنت ، ماذا تفعلين عندما يمد إليك يديه خاويتين ؟

السيدة : ماذا تريدنى أن أفعل ؟ اتظاهر بأننى آخذ منه يا يجلبه لأننى إذا لم آخذها تثور ثائرتة ، ويصيح قائلاً إن حملة ثقيل ، وقد تعب مما يحمل .. على إن الأزمة تصل إلى أسوأ صورها ساعة الظهيرة ، عندما يجلس إلى مائدة الغذاء ، ويسألنى : ماريا ، هل قليت السمك الباربيون ؟ هل شويت شرائح اللحم ؟ وأجيبه قائلة : إننى قليت السمك الباربيون وشويت شرائح اللحم . وعندئذ يتظاهر بأنه يأكل . ثم يطلب كوباً من « الصودا » أجل كوباً من « الصودا » لتساعده على الهضم .

الطبيب : آوه .. آوه .. آوه ..

السيدة : هل الأمر جسيم ، يادكتور ؟

الطبيب : جداً ، لكن بالنسبة لغير ذلك من التصرفات .. أهو طيب القلب ، طاهر السريرة ؟

السيدة : مثل حمل غرير ، ياسيدى .

الطبيب : حساس ، رقيق الشعور ؟

السيدة : إلى أقصى حد ..

الطبيب : إلى أقصى حد ..

الطبيب : أهو يكذب ؟

السيدة : أبدا ..
الطبيب : أهو يسرق ؟
السيدة : أبدا .
الطبيب : ألم ينصرف إلى التجارة قط ؟ لبيع شيئا ؟
السيدة : أنه يدأب على البيع ، ياسيد .
الطبيب : ماذا يبيع بالضبط ؟
السيدة : قطع أثاثنا .
الطبيب : آه .. فهمت ..
السيدة : الأمر خطير ، أذن ، يا سيدى ؟
الطبيب : خطير للغاية .
السيدة : ما هو المرض الذى يشكو منه ؟
الطبيب : أزمة إفراط فى الشرف .
السيدة : كنت دائبة النصح له ، ياسيدى الطبيب . كنت أقول له : أسرق ، يا أخى . ألسن صرافا ؟ . إختلس أنت أيضا . اخطف بدورك شيئا . كثيرون آخرون من الشخصيات اللامعة يخطفون ويقضون حياة ممتعة . ما الذى سيفيك ؟ فى أسوأ الأحوال ، ستمضى ستين أو ثلاث سنوات فى السجن ثم تخرج وتصبح غنيا عظيما .
الطبيب : ونم كان يجيك ؟
السيدة : كان يثور فى وجهى ، ويهجم على ، يريد أن يمزقنى إربا .. لهذا جئت به إليك ياسيدى الطبيب ، وأنى لأشكرك مقدما . وإذا قدر لك أن تشفيه فانى سأعترف

لك بالجميل طول العمر . (ترفع عينها وتثبت نظراتها على
عينه) وسأرد لك هذا الجميل ، يادكتور .

الطبيب : حسنا ، حسنا .

السيدة : (ممسكة) وسأرد لك الجميل . .

الطبيب : مفهوم ، مفهوم . .

السيدة : (بمعنى) لأتني أعرف كيف أرد الجميل ، إلى اللقاء ،
ياسيدى الطبيب . .

الطبيب : (يتعقبا بنظراته وهى تنصرف) الحق ، أنك أنت أيضا بحاجة

إلى علاج . (تخرج السيدة ، وبعد هينة يدخل زوجها اغسيلاوس ، وهو

رجل نحيل شاحب . يلبس نظارة و ثيابا قديمة . يبدو عليه الخوار والتردد .

يجعل حولة نظرات خائفة ، يتقدم بخطوات وثيدة نحو الطبيب ويرمقه بنظرة

قلقة ، ثم يومئ له فى بطاء بالتحية ، كما لو كان قد استبد به الجزع)

اغسيلاوس : طا . . طا . . (يلدل جهدا خيرا) طاب يومك .

الطبيب : (يقترب منه) تفضل ، تفضل . .

اغسيلاوس : (يتراجع خائفا)

الطبيب : لا تخف . اقترب منى .

اغسيلاوس : ولم أقرب منك ؟

الطبيب : هل تخاف منى ؟ أنا لا أكل البشر . .

اغسيلاوس : هذا غريب . (كما لو كان يسترد شجاعته) أنت بذلك
استثناء شاذ .

الطبيب : (يشير إلى المقعد) أجل . لا تخف .

اغسيلاوس : شكراً (يجلس وجلا على حافة المقعد) .

الطبيب : (ينظر إليه عن قرب . يتفحص عينيه . . ويضرب ركبته فجأة بيده . يقفز

اغسيلاوس واقفا) .

اغسيلاوس : آه .
 الطبيب : اجلس . . اجلس . (يعاود اغسيلاوس الجلوس) ما اسمك ؟
 اغسيلاوس : اغسيلاوس .
 الطبيب : اسم الوالد ؟
 اغسيلاوس : فوكاراس . (ينظر اغسيلاوس إلى الطبيب يلهة بمعاناة) هل أنا
 مجنون ، يا دكتور ؟
 الطبيب : لم تجن بعد .
 اغسيلاوس : وهل سأجن ، يا دكتور ؟
 الطبيب : لا أدري . . هل يشغلك أمر جنونك كثيرا ؟
 اغسيلاوس : أجل ، ما دام الناس قد وصلوا إلى هذه الحال . لقد
 أصبح الناس على غاية من الفضول ، هذه الأيام .
 ياسيدى الطبيب . كثيرا ما أفكر قائلا إن كنت أنا
 مجنونا ، فكل هؤلاء المحيطين بى عقلاء . لكن إن
 كنت عاقلا ، فكل من حولى مجانين . .
 الطبيب : هل تدخن ؟
 اغسيلاوس : (يتهد) أقلعت عن التدخين .
 الطبيب : هل تشرب ؟
 اغسيلاوس : (يتهد) أقلعت عن الشراب .
 الطبيب : هل أطلب لك قدحا من القهوة ؟
 اغسيلاوس : (يتهد) حتى قدح القهوة أقلعت عنه . . !
 الطبيب : علاقات . . جنسية ؟
 اغسيلاوس : آوه ، قاطعت النساء من العديد من السنين . لم أعد
 أقربهن ، حتى زوجتى .

الطبيب : هل تذهب إلى المسرح ؟ ألا تذهب إلى المحلات العامة لتروح عن نفسك ؟

اغسيلاوس : محلات عامة ؟ (يفكر) آه ، أجل ، أذهب إلى محلات الجزارة ، أشاهد الذبائح المدلاة. كما أتردد على محلات السمك، حيث يفد إلى خايطى كثيرا المثل القائل « أيتها العينان كلا سمكا ، أما أنت يا بطنى ، فابقى فابق على خوائك» على أن محلات الجزارة هى محلاتى المفضلة . بل أننى أقف أمام أصناف اللحوم ناظدا ، فأقول : هذا الصنف فيه دهن كثير .. أما هذا الصنف فهزيل .

الطبيب : هل تشتري حاجياتك بنفسك من السوق ؟
اغسيلاوس : لما كان مرتبى الذى اتقاضاه من الحكومة لا يمكننى من أن اشترى الاشياء فعلا فأننى اشتريها شراء خياليا .
أنى اسأل : كم ثمن السمك الباريون ؟ فيقولون لى ثمن الأقة أربعون دراخمة. فأشتريها مجازا . وأقربها مجازا .
وأكلها فى خيالى . وهذا ما أفعله أيضا بالنسبة لكل المأكولات الشهية . وهكذا أشبع شبعاً خياليا . أليس ذلك حلاً يادكتور ؟

الطبيب : أجل . بالطبع .

اغسيلاوس : بل ، إننى لأجزم لك انه حل رائع .

الطبيب : هل أنت متأكد من ذلك ؟

اغسيلاوس : كل التأكيد . بهذه الطريقة والفضل فيها يرجع إلى حكومتنا - معدتى خفيفه على الدوام ، ومن ثم لا.

أعاني من أى عسر هضم ، ويحتفظ جسمى برشايقته
على الدوام . أعنى أننى من الناحية الصحية على خير
مايرام .

الطبيب : لكن قل لى . هل كل غذائك هكذا ، خيالى .
ألا تمضغ أسنانك أطعمة فعلية أحيانا ؟

اغسيلاوس : كيف ؟ بالطبع .

الطبيب : ماذا تأكل إذن ؟

اغسيلاوس : فعليا أكل عدسا .

الطبيب : كثيرا ؟

اغسيلاوس : ست مرات فى الأسبوع ، وفى المرة السابعة أكل
فاصوليا .

الطبيب : بالزيت ؟

اغسيلاوس : بقليل جدا من الزيت . بضع نقط فحسب .

الطبيب : متى أكلت لحما آخر مرة .

اغسيلاوس : (يستغرق فى التفكير) مثل هذه الأحداث القديمة سيصعب
على أن أذكرها .

الطبيب : لا بد أن وزنك يتناقص ألا تعرف كم نقص وزنك ؟

اغسيلاوس : أقلعت عن متابعة وزنى . لكن على ما أفهم لم يعد
وزنى ثقيلا .

الطبيب : قالت لى السيدة زوجتك أنك تعاني من ثوبات بالليل
فى السرير .

اغسيلاوس : لاتنقطع ثوباتى ياسيدى . إننى أنتفض عندما أذكر
أسعار المأكولات .

الطبيب : هل ترى فى نومك أحلاما ؟
اغسيلاوس : أجل . أرى فى العادة دجاجا . وفى بعض اللحظات
الرائعة أرى شرائح من اللحم المشوى ، لكننى أرى فى
أحلامي أيضا أننى أكل الوزراء وألتهمهم (بمعاناة) هل
أكون مصابا بمرض عصيب ، يا دكتور . ؟
الطبيب : بالضبط ، هذا ما أنت مصاب به ، لكن مرضك على
أى حال مازال قابلا للعلاج ، بخلاف كثير من المرضى
الآخرين الذين يستعصى شفاؤهم .
اغسيلاوس : أهناك من هم أسوأ حالا منى ؟
الطبيب : بكل تأكيد . إن العصر الذى نعيش فيه هو عصر
الشدوذ والمعاناة . ولهذا فقد ولد هذا العصر أصنافا
عديدة من مرضى الأعصاب والمجانين . عندى هنا فى
المصحفة بعض من مجانين العصر . سترى توا نفرا
منهم ، فهذا هو الوقت الذى يخرجون فيه للترويح
عن أنفسهم . هاهو واحد منهم (يشير إلى اليمين)
اغسيلاوس : من هذا .
الطبيب : تأمله وستعرف .
اغسيلاوس : (يدخل من اليمين المجنون الأول . أشعث الشعر جاحظ العينين . ما أن يظهر
حتى يتحنى فى مكر وحذر . يثقلت بمنة ويسرة . يقفز عدة قفزات . ثم يندفع
إلى الأمام فى نوبة فجائية ، وهوى كما لو كان قد ركبه الشياطين)
المجنون ١ : ثروة ، ثروة ، كيف سنجمع ثروة ، ثروة كبيرة ، ثروة
كبيرة ! كيف سنجمع ثروة ؟ مال ، مال ، ثروة كبيرة .
مال ، مال ، ثروة كبيرة .

اغسيلاوس : مما يشكو هذا الرجل ؟

الطبيب : جنون المال يطارده .

(بقفزة واحدة يجيئ المجنون أمام اغسيلاوس . يحملق في عينيه ويسأله)

المجننون : كيف تجمع ثروة ؟ هيه قل لى كيف سنجمع ثروة .
ثروة كبيرة .

اغسيلاوس : (ينكمش فى مقعده ملعورا وينظر إليه بعينين يستبد بهما الرعب والقلق)
سيادتك تسألنى أنا ؟

المجننون : كلهم جمعوا ثروات ما عداى أنا لم أجمع ثروة ، وأنت
ألم تجمع ثروة ؟

اغسيلاوس : لقد بعت كل شئ حتى حذائى .

المجننون : (ينظر إلى اغسيلاوس ويضحك ضحكة ملئوها السخرية . يمد يده إليه ملوفا

بإشارات الاحتقار . ثم يقفز مبتعدا عن اغسيلاوس ، ويعاود صيحاته السابقة

« ثروة ثروة . كيف سنجمع ثروة ؟ ثروة كبيرة . كيف سنجمع ثروة » يردد هذه

العبارات ، ويقفز هنا وهناك . ثم يمضى إلى اليسار منصرفا . بينما تظل نظرات

اغسيلاوس معلقة بالبواب الذى خرج منه المجنون . وقد استبد به حزن عميق)

اغسيلاوس : (بعد برهة من الصمت يلتفت إلى الطبيب) ياله من رجل تعس .
إنه أسوأ حالا منى

الطبيب : من فرط اللهفة على المال اختلت عقول كثير من
الناس . هاهو مريض ثان من صنف آخر .

(يلتفت اغسيلاوس نحو اليسار ويتابع بدهشة المجنون الثانى الذى يدخل

بخطوات وثيدة ويأتى الحركات الست التالية بانتظام : يميل إلى الأمام كما لو

كان يرى أحدا . ويسأله بتمتمات من شفثيه ثم يعلو الوجوم وجهه كما

لو كان قد تلقى على سؤاله إجابة مخيفة . وحتى يعبر عن جزعه ودهشته
تعبيرا أقوى يرفع يديه إلى رأسه . قائلا «ساتر ياساتر ، ياساتر استر» ويكرر
هذه العبارة مرتين أو ثلاثة وهو فى طريقة إلى اغسيلاوس والطبيب (

اغسيلاوس : (إلى الطبيب) بالله ، قل لى من هذا أيضا .
الطبيب : مذعور من الصعود الجنونى فى الأسعار .
اغسيلاوس : وماذا يفعل ؟ ما هى أعراض مرضه ؟
الطبيب : أنه يسأل عن أسعار المأكولات والحاجيات المختلفة .
ولما كان دائب السؤال وغير قادر على الشراء وصل به
الأمر إلى هذا الحال .

المجننون ٢ : (بعد ظهوره الصامت . يشرع فى الحديث مكملًا ما سبق من حركات صامته
بما يلى من كلام) كم سعر اللحم (متدهشا ومذهورا) ياساتر .
ياساتر استر . كم سعر الأحذية ياساتر . ياساتر استر
.(فى كل مرة يقول هذه العبارة الأخيرة وهو فى طريقة إلى اليسار
يقولها بصوت على عما سبق ، حتى ينتهى به الأمر إلى أن يشد شعره
مولولا) ياساتر . ياساتر . استر ياساتر استر . استر .
اغسيلاوس : (بعد برهة صمت ، وقد داخله الحزن) هذا الرجل يفكرنى
بنفسى .

الطبيب : أعتقد ذلك ؟
اغسيلاوس : الصعود الجنونى فى الأسعار أمر مخيف ، يادكتور
الأسعار لا تكف عن الارتفاع . كل شئ يرتفع سعره
ويصبح بعيد المثال . وهذا ما أطاح بعقولنا نحن
المساكين .

الطبيب : ليس الصعود الجنونى فى الأسعار هو الذى أطاح
بالعقول فحسب ، بل هناك اسباب أخرى عديدة تودى
بصواب الناس هذه الأيام . دعنى أقدم لك الدليل
على ذلك . انظر . أنظر إلى هذا الرجل (يشير إلى المجنون
الثالث الذى يدخل من اليمين . إنه رجل طويل نحيف يتقدم بخطوات
بطيئة ينظر أمامه ويمسك بزهرة وهمية ينزع أوراقها ورقة ورقة . يمسك فى يد
بالزهره وينزع بالآخرى أوراقها الوهمية ويقول بصوت منغم) .

المجنون ٣ : ستقوم ؟ لن تقوم ؟ ستقوم ؟ لن تقوم ؟ سنقوم ؟ لن
تقوم ؟

اغسيلاوس : (يحملق فى المجنون ثم يسأل الطبيب) عما يسأل هذا الرجل ؟
ما هذه التى ستقوم أولن تقوم .

الطبيب : الحرب .

اغسيلاوس : الحرب ؟ وهل تعرف الزهرة التى فى يده ما إذا كانت
الحرب ستقوم أم لا ؟

الطبيب : ألم أقل لك هذا المسكين مجنون . وهذا هو ما اطاح
بعقله على وجه التحديد أنه دائب القلق بما إذا كانت
حرب جديدة ستقوم . ومن فرط القلق ضاع صوابه .

المجنون ٣ : (يمضى فى التقدم وفى اتيان الحركات ذاتها) ستقع . لن تقع .
ستقع . لن تقع . ستقوم . لن تقوم (يستبد به كرب شديد)
ستقوم ؟

اغسيلاوس : (إلى المجنون) لن تقوم .

المجنون : وإن قامت ؟

اغسيلاوس : وماذا يهم ؟ فلتقم .
 المجنون : وإن لم تقم ؟
 اغسيلاوس : هذا أفضل . دعها لاتقوم .
 المجنون : لكن إن قامت رغم ذلك ؟
 اغسيلاوس : فليحدث ما يحدث .
 المجنون : ستقع . ؟
 اغسيلاوس : لن تقع .
 المجنون : وإن وقعت ؟
 اغسيلاوس : ما هذه التى ستقع ؟
 الطبيب : (إلى اغسيلاوس) القنبلة الذرية . هذه يعنى .
 اغسيلاوس : تقع أو لاتقع ، هذا شأنها وحدها .
 المجنون : (تتسع حدقتاه فجأة ويسط ذراعيه ، كما لو كان يحدث انفجارا مخيفاً .
 ويصيح بأعلى صوته) بوم .
 اغسيلاوس : (يقفز مدحوراً ، ويختبئ خلف مقعده . راکعاً على ركبتيه ويحمى رأسه بين
 يديه أما المجنون فيفر بعد الانفجار خارجاً من البسار وقد استبد به الهلع .
 برهة صمت . يال اغسيلاوس برأسه من مخبئه بعد قليل) وقعت ؟
 الطبيب : وقعت ، كما رأيت .
 اغسيلاوس : هل كانت قبله ذرية أم هيدروجينية ؟
 الطبيب : الاحتمال الأكبر أنها قبله ذرية ، لأنه عندما يلقي
 بالهيدروجينية يصم هذا اللقاء آذاننا جميعاً .
 (يدخل للمجنون الرابع . يمشى بخطوات وثيدة جداً ويبدو عليه التعب .
 يخطو ثلاث خطوات ويقف كما كان ثمة شخص أمامه يعوقه عن المسير)
 اغسيلاوس : عجباً ، وإذا ما الذى يجعله يسير بهذه الخطوات
 البطيئة ؟

الطبيب : أصيب بذلك من طول وقوفه فى الصف انتظارا لعربات الأوتوبيس والترام (إلى المجنون) تقدم يا عزيزى . تقدم .
المجنون ٤ : (يخطو خطوات قصيرة مثل الأطفال) خطوة . خطوة . خط العتبة . تاته . تاته . خطوة . خطوة . خط العتبة . تاته . تاته . الصبر . الصبر . الصبر (يتوقف ويشتد) انتظار . انتظار . انتظار (يقدم) طوال الصباح . طوال الصباح . طوال الصباح . عند الظهر . عند الظهر . عند الظهر . انتظار . انتظار . انتظار . (كلما نطق بكلمة انتظار) .
(يتوقف عن السير)

اغسيلاوس : لكنه فى غاية الهدوء .

الطبيب : ليس هذا حاله على الدوام . تتابعه أيضا نوبات .
(يصيح للمجنون فجأة بصوت شرس فى شخص وهمى) أنت ، يا قليل الأدب . أمامنا تتسلل إلى الصف يا صعلوك . من تظننا نحن الذين فى الانتظار ؟ بهائم ؟ حيوانات ؟ اغرب عن وجهى حالا ، يا عديم التربية ، يا غبى ، يا بغل ، يا خسيس ، لماذا تتخطى دورك ؟ (يعاود خطواته القصيرة كالأطفال) خطوة . خطوة . تاته . تاته . خطوة . خطوة (يصيح فى شخص وهمى آخر) أنت أيها البدين ، أجل إليك أتحدث ، أنت يا صاحب البطن المنبعجة ، ألم تكن فى آخر الصف ؟ كيف أجسك الآن فى أوله ؟ (فجأة يغير لهجته) امش من أمامى اغرب

عن وجهى يا حقيير خطوة. خطوة. تاته. تاته. خطوة.
خطوة . تاته . تاته . (يردد هذه الكلمات حتى يخرج) .

اغسيلاوس : وهذا الرجل أيضا يذكرني بنفسى . ياللعنة . كاد
عقلى يطير من فرط الوقوف فى الصفوف والطواير .
طواير على محطات الأوتوبيس . طواير فى
الوزارات . طواير فى مكاتب الحكومة . تكاثر عددنا
نحن البشر فى هذه الدنيا (يدخل للجنون الخامس من اليمين وقد
ارتسمت على شفتيه ابتسامة مهلبة . يتقدم قليلا ثم يقف وينحنى كما لو كان
يواجه شخصا وهما ويعرفه بنفسه) .

المجنون ٥ : - أمانويل زكريا جورجياديس . (ينحنى) أمانويل زكريا
جور جياديس . . (ينحنى ويستدير إلى جهة أخرى) أمانويل
زكريا جورجياديس . . (ينحنى ويتقدم يضع خطوات ثم ينحنى
مرة أخرى) أمانويل زكريا جورجياديس . .

اغسيلاوس : (إلى الطبيب) ماذا يقول هذا الرجل ، يادكتور ؟
الطبيب : يقول لك اسمه .

اغسيلاوس : وما الداعى ؟

الطبيب : أصيب بلوثة هذه من جراء العديد من المرات التى سئل
فيها عن اسمه منذ أيام الحرب فى أقسام البوليس ، وفى
مكاتب التأمينات واستخراج البطاقات . . والتموين
والإحصاء . . إلى آخره . . إلى آخره . .

المجنون ٥ : (يواصل التقدم والانحناء بعصبية ورجفة) أمانويل زكريا
جورجياديس (يصل إلى اغسيلاوس وينحنى أمامه) أمانويل
زكريا جورجياديس . .

اغسيلاوس : (يتهدد وينحنى له بدوره) وأنا اغسيلاوس بنى فوكاراس . .

المجننون ٥ : بطاقتك من فضلك .

اغسبلاوس : ليست معي .

المجننون ٥ : مر باكر . مر بعد باكر . . مر بعد ثلاث أيام . (ينحن)

أمانويل زكريا جورجياديس . . أمانويل زكريا

جورجياديس . (ينحن ويتسم . ويمضي هكذا منصرفا) .

اغسبلاوس : أوه ، ياله من مسكين . .

(يدخل من اليمين المجنون السادس . . وهو رجل ركب اليأس والضيق .

ويأتي بالحركات التالية على نحو آلى . . يضع يده في جيب سترته الأيمن

ويخرج نقوداً وهمية ينقلها لشخص وهمي أمامه . ثم يضع يده في جيب

سترته الأيسر ويفعل المثل . ثم يمس يده في جيب سرواله على التوالي

وجيب سترته الداخلي وفي كل مرة يتصرف كما لو كان يسند حساباً لأحد .

وكلما أخرج يده من جيبه يقول)

المجننون ٦ : تفضل ، ياسيدى المحصل . . خذ يا حضرة المحصل

(يدفع) تفضل ياسيدى ، المحصل . خذ يا حضرة

المحصل ، (يدفع) تفضل ياسيدى المحصل . . خذ

يا حضرة المحصل (يدفع) تفضل ياسيدى المحصل . .

خذ يا حضرة المحصل (ينطق بهذه العبارة في كل مرة بلوعة ،

وإصرار وصوت منغم ، ويلهجة تعلونيرتها وتزايد رنة الفيظ والغضب في

ثناياها)

اغسبلاوس : (ينظر إليه متعجباً ، ثم يدير بصره إلى الطبيب متسائلاً) وهذا ما

خطبه ؟

الطبيب : مصاب بانفجار ضريبي . . فقد صوابه من كثرة

الضرائب التي يدفعها للحكومة ، ضرائب متنوعة

ولاحصر لها تطلب منه يوماً بعد يوماً ويدفعها

صاغراً . ما أن ينتهى من ضريبة حتى يدفع ضريبة
أخرى . وهكذا أصابته هذه اللوثة . .

(يلزم المجنون خشبة المسرح مرددا الكلمات ذاتها ويزيد صوته لوعة وشدة
حتى إذا ما وصل إلى حافة المسرح اليسرى يكون قد بلغ انفعاله مداه فيخلع
ربطة عنقه صائحا) « تفضل ياسيدى المحصل ، خذ ربطة
عنقى » ثم يخلع سترته ويرميها صائحا خذ ، يا حضرة
المحصل خذ سترتى أيضا (ثم بفك جزاه ويشرع فى خلع سرواله)
تفضل ياسيدى المحصل . خذ سروالى . . حتى
سروالى خذنه ياسيدى المحصل ها أنا أخلعه
لك . . وسأمشى بين الناس عربانا ياسيدى المحصل
(يهرع إليه الطبيب ويثبه عن حزمه) .

الطبيب : (إلى المجنون) ايه . . . ايه مهلك . . هيا ، هيا انصرف
(يدفع به خارجا . وبعد أن يصرف المجنون يعود إلى اغسلاوس) والآن
كيف تبدو لك كل هذه الأمور ؟

اغسلاوس : هذا فظيع . . فظيع . . .

الطبيب : هل تريد أن تصير مثل هؤلاء ؟ هل تريد أن تصير
واحداً منهم ؟

اغسلاوس : (وقد تملكه الرعب) كلا ، يادكتور . . أرجوك ،
انقذنى . . خلصنى . لا أشعر أتنى على ما
يرام . يخيل إلى أتنى مصاب بهذه الأعراض
جميعا . إن فى بنور هذه الأمراض العصبية كلها

(يقلد كلام من للجانبين الذين رآهم على التوالي)

الطبيب : حسنا ، إهدأ ، من فضلك ، يجب أن نبذل الجهد الآن ، حتى تشفى . يجب أن نبدأ العلاج .

أغسيلاوس : بم تأمر ياسيدى الطبيب ؟ كيف سيكون العلاج ؟

الطبيب : ساعالجك هنا فى مصحتى على طريقتى الخاصة . ستبعب منهجا خاصا سأصفه لك . كل هؤلاء الذين رأيتهم فقدوا عقولهم . أتعرف لماذا ؟ لانهم كانوا مرهفى الحس ، متيقظى الضمير ، وعلى قدر كبير من الحياء . ولهذا فقد سحقهم هذا المجتمع الرأسمالى بوطأته الثقيلة . عليك أذن أن تتعاطى علاجا أكيدا . ناجع المفعول . . عليك أن توطد نفسك على أن تكون عديم الإحساس . ميت الضمير ، جلفا . . صفقا .

أغسيلاوس : وكيف يتأتى لى ذلك وسأبدأ ياسيدى ؟

الطبيب : قبل كل شى . يجب أن تغير طريقتك فى التفكير . يجب أن تستبدل عقلك بعقل آخر . . أكثر عصرية وسأبدأ معك العلاج حالا . . عليك أن لا تعارضنى فيما سأمليه عليك . . والان ، ردد معى : تسقط الفاصوليا .

أغسيلاوس : (بإصرار) تسقط الفاصوليا .

الطبيب : يسقط الفول النابت .

أغسيلاوس : يسقط الفول النابت .

- الطبيب : يسقط الخجل .
أغسيلاوس : (مرتباً) إيه ؟
الطبيب : يسقط الخجل
أغسيلاوس : (بخوف وتردد) يسقط ..
الطبيب : ردد ما سأقوله : أقسم بالله العظيم أن أتبع العلاج الذى
سيوصف لى بكل دقة . أن أكل وان أشرب ، وألا أعير
شيئا من حولى أدنى اهتمام ..
أغسيلاوس : ادنى اهتمام .
الطبيب : أن أضرب الدنيا صرمة .
أغسيلاوس : أضربها .
الطبيب : أقسم بالله أن أكون كذاباً ، سارقاً نهائياً
أغسيلاوس : (يغالب البكاء) أقسم بالله أن أكون
الطبيب : كذاباً .
أغسيلاوس : كذاباً ؟
الطبيب : (بلهجة أمرة) كذاباً .
أغسيلاوس : (يتلع لعابه ويوافق بصعوبة) كذاباً .
الطبيب : لصاً .
أغسيلاوس : (بقلق) لصاً ؟
الطبيب : لصاً نهائياً
أغسيلاوس : (بقلق وجزم) لصاً ، نهائياً ؟ (يتفجر فجأة) لا . لا
أستطيع - الأفضل أن أكون مجنوناً . الأفضل أن أكون
مجنوناً مثل هؤلاء من أن أكون مثل الآخرين .
(عندما يقول « مثل هؤلاء » يشير الى كل المجانين الذين هموا الى المسرح
وانخرط كل منهم فى أداء حركات جنونه بينما يسدل الستار) .

ديمتري بساثاس

السحفاة الزرقاء

الشخصيات

- السيدة زوزو من المفتونات بالأدب
 - السيدة ليلي صديقتها
 - فيفي ابنة السيدة زوزو
 - الأستاذ زعيم السيراليين ، شديد الهوس
 - لوليس لوبيس من أتباعه ، وعلى شاكلته
 - فلوراس زوج زوزو
 - الطبيب
 - الخادمة
-

(غرفة استقبال عميرية . لوحات سيربالية . يسود تمثيل الجميع طابع هزلى
متطرف ، هذا فلوراس الذى يفترض فيه أنه العاقل الوحيد فى بيت المجانين
هذا . عندما يفتح الستار نرى زوزو تنسق الزهور فى أحد الأنية وهى غارقة
فى التشوة) .

زوزو : يا للجمال . يا للزهور الجميلة .

ليلى : (تدخل من اليمين) أنت هنا ، يا زوزو ؟

زوزو : لم تسألين ؟ هل طلبنى الأستاذ ؟

ليلى : كلا ، افتقدتك فى غرفة الطعام .

زوزو : جئت أعد الجول للأستاذ . . باستطاعته أن يقرأ علينا

قصيدته الرائعة هنا . ترى ما الذى يحتاج إليه أيضا ؟ ما

الذى يحتاج إليه أيضا ؟ ما الذى يحتاج إليه أيضا .

آه ، أجل . شكسبير . آخ ، يا للكارثة إنها لخسارة كبيرة

ألا يكون شكسبير معنا فى هذا البيت .

ليلى : صدقت . كان وجوده أمرا ضروريا . .

زوزو : هل رأيت ؟ هل رأيت عينيه ، يا عزيزتى ليلى ؟

ليلى : عيني من ؟ شكسبير ؟

زوزو : كلا ، عيني الأستاذ ، يا ليلى ، عيني الأستاذ .

ليلى : آخ ، أجل . ما أجمل الحول الذى بهما .

زوزو : ذلك الحول من إشعاعات الحكمة المفرطة ، ياعزيزتى
ليلى . تتم عيناه عما يجيش فى أعماقه من أحاسيس
ولهذا فما بهما من حول لا يخلو من العظمة . . أما
جبينه فيفصح عن متاهات أفكاره . وعندما يزم فمه فى
غموض يعبر عن منتهى السخرية من كوميديا الوضع
الإنسانى . .

ليلى : لا ارى زوجك هذا المساء . أين هو ؟
زوزو : آه ، لا تذكرينى به . لا تفسدى على أحلامى إنه
رجل فظيع ، لا يطاق . . .

ليلى : آخ ، كم أرثى لحالك .
زوزو : يا حبيبتى . (تعانقها) .

ليلى : عزيزتى زوزو (يتبادلان القبيل) كم أنت تعسة . . كم
أحس بمأساتك .

زوزو : أخ ، يا صديقتى الحلوة . كم هى مخيفة مذهلة مأساة
المرأة المثقفة التى تتزوج من رجل جلف . . عديم
الإحساس . . لا تعنيه الموسيقى . . لا يستهويه الفن
والفنانين . ولا يكثر بشيكسير وإيسن .

ليلى : هذا ما يجعلنى أدهش كيف سمح لك أن تقيمى هذه
الأمسية الأدبية .

زوزو : حمد الله ، سافر أول أمس الى « باتره » سيتغيب هناك
خمسة أو ستة أيام . انتهزت الفرصة ودعوت الأستاذ
وأعضاء جماعتنا البارزين . .
(يدخل لويس وهو من مهم الشعر بجنونه)

لوبيس : مدام زوزو
زوزو : آخ ، السيد لوليس لويس . . كيف حال الأستاذ ؟
لوبيس : يأكل ، ياسيدتى ، يأكل . . .
زوزو : آخ ، يأكل ، أسمعت ياليلى ؟ يأكل .
ليلى : آخ ، ياعزىزتى زوزو (تعانقها) .
زوزو : حبيبتى الغالية . (يتبادلان القبل) ويشرب ؟ أهو يشرب
ياسيد لويس ؟

لوبيس : إنه يشرب ، يشرب ، ياسيدتى .
زوزو : أسمعين ياليلى ؟ أنه يشرب .
ليلى : عزىزتى زوزو .
زوزو : حبيبتى الغالية (يتبادلان القبل) إنه أمر يفوق التصديق . .
رجل موهوب عبقرى . مثله . . يأكل ويشرب فى بيتى
(إلى لويس) وهل أعجبته المأكولات ؟
لوبيس : بالطبع ، ياسيدتى . كلما قضم قضمة أو تناول جرعة
صباح : آه ، آه ، آه . (يزمجر) .

زوزو : كيف ؟ كيف ؟

لوبييس : آه ، آه ، آه . (يزجر من جديد) .

زوزو : (باعجاب) ياإلهى هذا رائع !

ليلى : هذا مدهش !

زوزو : ياسيد لوبييس ، ترى ، هل طلبنى الأستاذ ؟

لوبييس : أفصح الأستاذ عن رغبته فى أن يصب عليكما بركته .

زوزو : أن يصب على بركته .

لوبييس : أن يصب عليكما بركته .

زوزو : آه ، ياللى ، أفصح الأستاذ عن رغبته فى أن يصب

على بركته . هيا بنا أذن ، ندخل حتى يصب علينا

بركته . . . (يمضى ثلاثهم . ومن الباب الرئيسى يدخل فلوراس يحمل

حقيته عائدا من السفر) .

فلوراس : أوف . عدت الى بيتى . .

الخادمة : (تدخل وتراه ، فتسلكها الدعة) الله !

فلوراس : الله ؟ ماذا تعنين ؟

الخادمة : لا شئ ، ياسيدى . . لكن . .

فلوراس : لا شئ ؟ لكن ؟ ما معنى كل هذا ؟ أسمع جلبة فى

الداخل . أين سيدتك ؟

الخادمة : فى الداخل ، ياسيدى . لديها زوار .

فلوراس : من ؟

الخادمة : (بإعجاب) السيد شكسير .

فلوراس : السيد شكسير . (يرسم علامة الصليب) أجننت ؟ إغربي
عن وجهي . . خذي الحقيبة .

الخادمة : (تحمل الحقيبة) منذ الصباح ، وهم يبحثون عنه . (تخرج) .

فلوراس : كلام فارغ . السيد شكسير مدعو هنا .

(تدخل زوزو وترى زوجها فتصق)

زوزو : الله !

فلوراس : الله . وأنت أيضا تقولين هذا ؟

زوزو : عدت ، يا فلوراس بهذه السرعة ؟

فلوراس : ماذا كنت تنتظرين ؟ أن أسافر إلى غير عودة ؟

زوزو : لكن كيف أعود فالقاك هنا بهذه السرعة ؟

فلوراس : أرى أنك لا تتمالكين نفسك من فرط السعادة بلقائي .

ماذا حدث ؟ من بالدار ؟

زوزو : (بحماسة) آه ، يا فلوراس .

فلوراس : ماذا تعنين ؟

زوزو : شئ واحد أقوله لك فحسب . الليلة يشرف مائدتنا علم

من أعلام اليونان .

فلوراس : لم يكن عندى شك فى ذلك . كل أعلام اليونان يأتون

إلى مائدتى ويملاون بطونهم .

زوزو : آخ « يملأون بطونهم » ياله من تعبير سوقى .

فلوراس : خبرينى من هذا المبجل صاحب الأمجاد ؟

زوزو : إنه الأستاذ .

فلوراس : أى أستاذ ؟ ما اسمه ؟

زوزو : ذيسياس سينيقياس .

فلوراس : ما أسخف هذا الاسم .

زوزو : رجل عصرى ، عميق ، سيريالى .

فلوراس : أيتها المخبولة ، قدعين إلى بيتى هذا الصنف من الناس

الذين كانوا سببا فى أن فسخت ابنتنا خطبتها ..

وطردت خطيبها ؟

زوزو : أساء الحديث عن الفن .

فلوراس : حسنا فعل . خريستو شاب جاد . ليس مثل هؤلاء

المجانين والسيرياليين الذين تحضرينهم هنا .

زوزو : مجانين ؟

فلوراس : فارغى الرؤوس .

زوزو : فارغى الرؤوس ؟ ياله من أسلوب ! ياللهى !

فلوراس : هذا أسلوبى . وافتحى أذنك جيدا لما سأقول . . إما أن
تتناولى التليفون حالا وتعتذرى لخريستو وتوجهى له
الدعوة للحضور الينا الليلة . .

زوزو : هذا مستحيل . .

فلوراس : وإما . .

زوزو : وإما ؟

فلوراس : وإما سأنهال على الأستاذ ركلا وصفعا ، وألقى به إلى
عرض الطريق .

زوزو : فلوراس ، لا أجرؤ على تخيل هذه الإهانة البالغة التى
ينطوى عليها كلامك . آخ ، أشعر أنى لست على ما
يرام . إنى على وشك الإغماء .

فلوراس : فليغم عليك . . ولتخر قواك تماما . . سيرى الأستاذ
النجوم فى الظهيرة . . إنى ذاهب اليه . .
(يهجم على الباب الأيسر)

زوزو : (تهب وافقة) كلا . . إنتظر .

فلوراس : هل أرجأت الأغماء ؟

زوزو : ليس لدى وقت الآن .

فلوراس : يمكنك الإغماء غدا . . خذى التليفون الآن وكلمى
خريستو .

زوزو : (تناول السماعة) ألو ، الدكتور موجود ؟ طاب يومك ،

ياسيد خريستو . أنا حرم السيد فلوراس . أجل ،
أجل ، أنا شخصيا .

فلوراس : وجهى له الدعوة .

زوزو : (إلى فلوراس) لكنه ..

فلوراس : سألقى بالأستاذ الى الشارع .

زوزو : حسنا . حسنا (فى السماعة) زوجى يدعوك ..

فلوراس : أنت التى تدعيه .

زوزو : (فى السماعة) وأنا أيضا أدعوك .. تفضل بالمرور علينا

فى البيت الليلة ، إن شئت . سيسر زوجى بزيارتك .

فلوراس : وأنت أيضا ستسرين بذلك .

زوزو : (فى السماعة) وأنا أيضا سأسر .

فلوراس : وفيفى أيضا ستسر .

زوزو : (فى السماعة) وفيفى أيضا ستسر (فى السماعة) لن أغفر

لك ذلك أبدا . (تدخل فى) .

فيفى : ماما أين أنت ؟ (ترى فلوراس) الله !

فلوراس : وأنت أيضا تدهشين ؟ ستقتلنى دهشتكم هذه .

فيفى : أنت هنا ، يابابا ؟ كيف كان ذلك ؟

فلوراس : لم يمزقنى القطار للأسف .

فـيـفـى : لكن لماذا ؟

فلوراس : لماذا لم يمزقنى ؟

فـيـفـى : أقول لماذا تتحدث بهذه اللهجة ؟

زوزو : دعى أباك وشأنه يابتنى . أنه جن .

فـيـفـى : لكن ، ياماما ..

فلوراس : دعى أمك وشأنها يابتنى . إنها مختلة العقل جدا .

فـيـفـى : لكن لماذا تتشاجران من جديد ؟

زوزو : فيفى يابتنى ، فعل أبوك الليلة شيئا لا يتصوره العقل ..

شيئا فظا . أجبرنى بالقوة أن أدعو خريستو للحضور هنا الليلة .

فـيـفـى : بابا هل فعلت ذلك ؟

فلوراس : فعلت يا ابتنى ، لأننى أرى أن أمك ستتقل إليك عدوى

جنونها .. خريستو شاب ممتاز ويحبك ..

زوزو : فلوراس متى ستضع فى رأسك ذرة من العقل ؟ ألا ترى

عدم التكافئ فى هذا الزواج ؟ فيفى فتاة رقيقة مثقفة لها

عواملها الروحية .

فلوراس : ما الذى لها ؟

فـيـفـى : (بحماسة) لى عوامل الروحية ، يابابا .

فلوراس : ياه ، خسارة . ضاعت البنت .

فيـفى : لا أريد خريستو .
فلوراس : هلا قلت لى السبب ؟
زوزو : لأنه يافلوراس ينقصه ما يلزم لفيـفى .
فلوراس : بل كل شئ عنده .
فيـفى : كلا ، ليس عنده يابابا .
فلوراس : عنده ، أيتها الحمقاء .. اسمعا ما أقوله لكما .. إنه
طيب القلب مهذب ومن أحسن الأطباء .
فيـفى : (بتأكيد) ليس لديه أهم شئ ..
فلوراس : بل لديه أهم شئ ايضا ..
زوزو : لكنه لم يره لنا ..
فلوراس : (ينظر اليها ساخطا) ماذا تقولين ؟ (يرسم علامة الصليب)
هذا ما كان ينقصنا . رحماك ربى .. ما الذى تقصدينه
بذلك ؟
فيـفى : ليس لديه هموم ، يا أبى ..
فلوراس : ولماذا تكون لديه هموم ؟ إirاده حسن ، وظيفته طيبة ،
وشبابه موفور .
فيـفى : أعنى هموم روحية .
فلوراس : وما معنى هذا ايضا ؟

زوزو : اصبر قليلا . سوف تتعرف بأولئك الذين يعانون فى

سبيل المشكلات الكبيرة السامية فى هذه الحياة .

(يدخل لويس لويس صاحبا كالمعتاد) .

لوبيس : مدام زوزو .

زوزو : ليك ياسيد لويس .

لوبيس : أتيت إليك بخبر عظيم . سيقرا الأستاذ علينا الليلة

« السلحفاة الزرقاء » .

زوزو : آخ ، لا تقل هذا .

لوبيس : أقسم بشرفى .. أحضرها معه .

فيفى : بديع ، بديع .

فلوراس : معذرة ياسيدى هل أحضر معه سلحفاة زرقاء ؟

لوبيس : بالطبع ، أعلن ذلك بشكل حاسم .

فلوراس : وأين وجد السلحفاة الزرقاء ؟

زوزو : إنها قصيدة ، يافلوراس .

فيفى : رائعة ، يابابا .

لوبيس : سيدى ، لهذه السلحفاة الزرقاء قصة طويلة .

(متأثرا للحدث الكبير)

اختفى الأستاذ ستة أشهر ثم .. آه لا أستطيع أن أقول

ما حدث .. قولى له أنت يامدام زوزو .

زوزو : طوال سته أشهر لم يكن أحد يعرف أين الأستاذ .

ثم .. آخ لا أستطيع .. تكلمى أنت ، يافيفى .

فـيـفـى : انزعج كل الناس من هذا الاختفاء و .. آخ .. لا

أستطيع . قل أنت ياسيد لوبيس .

لوبيس : وفجأة ، ها هو يظهر .

فلوراس : أين كان ؟

فـيـفـى : أين كان ؟

لوبيس : هذا لغز .

زوزو : لغز ، يا فلوراس .

فلوراس : أى لغز تعنين ؟

لوبيس : لغز الألغاز .

فلوراس : أسكت ، ثم ماذا حدث ؟

لوبيس : وعندما ظهر لنا من جديد . جاء إلينا من ملاذه المجهول

الغامض برائعته الجديدة هذه .. « السلحفاة الزرقاء » .

فلوراس : ماذا تقول ياأخى ؟ أهو عمل عظيم هذا الذى قام به ؟

زوزو : صمتا . الأستاذ قادم .

(يدخل الأستاذ فيسياس سينيقياس من اليمين أنه مجنون مبعجل ، وقور رزين

وقاتم . ينظر الى الناس كأنهم نمل ضئيل ، هيئته هيئة رجل يشرف البيت الذى

يستضيفه والناس الذين يمن عليهم بحديثه تشريفا كبيرا . وهو يتأزل على أى

حال ويجيب على المحيطين به الذى يتطلعون اليه كما لو كان الهيم . تدخل

ليلى فى صحبة الأستاذ) .

الأستاذ : كان الطعام لذيذا ، ياسيدتى .

زوزو : أعجبكم ، ياأستاذ ؟

الأستاذ : جدا . جدا .

فلوراس : (محدثا نفسه) ألم أقل أنه جاء يملا بطنه ؟

زوزو : تفضل بالجلوس يااستاذ . .

الأستاذ : شكرا . (يجلس الى جوار زوزو) .

فلوراس : أرجو أن تكون قد تناولت وجبه شهية .

الأستاذ : (ناظرا الى فلوراس) من هذا ؟

زوزو : أقدم لك زوجى . . عاد توا من السفر . (الى زوجها)

فلوراس ، هذا الأستاذ ذيسياس سينيقياس .

الأستاذ : (ينهض) إننى سعيد جدا بلقائك .

فلوراس : وأنا أيضا سعيد جدا .

لوبيس : الأفضل أن تجلس هنا يااستاذ . سيناسبك هذا المقعد

الوثير ويريح بدنك .

الأستاذ : أشكرك يا لوبيس . (يجلس فى صدر المرح) .

لوبيس : أبادلك الشكر ، ياأستاذ .

الأستاذ : (الى فلوراس الذى ظل واقفا) يمكنك الجلوس .

فلوراس : شكرا ، أنت تغمرنى بفضلك . (يجلس) .

لوبيس : أليس لديك مقعد وثير غير هذا أجلس عليه أنا ؟

فلوراس : للأسف ، ليس لدينا مقعد آخر .

« يجلس الجميع » (الأستاذ فى صدر المسرح كآلة تحيط به زوزو وفيفى

وليلى ولوليس لوبيس... تتعلق أنظارهم جميعها بشفتيه وهم على استعداد أن

يلبوا كل طلباته وعلى مبعدة جلس فلوراس يرقب مندهشا ذلك للجنون الذى

جلس وسط الحمقى) .

الأستاذ : أخفتوا الأضواء .

فلوراس : لماذا ؟

لوبيس : هذه الإضاءة لاتناسب الأستاذ ، ياسيدى . الضوء يقف

فى وجه التفسير ، ويناوى قصيدته العصماء .

فلوراس : آه ، فهمت .

فيفى : (تستدير وتقاطعه) أيناسيك الضوء هكذا ، ياأستاذ ؟

الأستاذ : (بجفاء) كلا .

ليلى : ياإلهى ماذا ستفعل إذن .

لوبيس : أليس لديكم مصباح أزرق أسود ؟

زوزو : للأسف ليس لدينا . يالللخسارة .

فلوراس : للأسف الشديد ، ياسيدى المهزار السميج .

لوبيس : هس .

فلوراس : معذرة .

الجميع : هس .

فلوراس : (منفردا بنفسه) لعنه الله عليكم .

الأستاذ : (يعمل ثم يتخذ هيئة غامضة ، ويخرج من جيبه مخطوطا) أيها

الأصدقاء والمعجبون بالرغم من هذا الضوء الذي لا

أوافق عليه إطلاقا سأقرأ عليكم مقطعا من « سلحفاتي

الزرقاء » وأميط لكم اللثام بذلك عن السر وراء

احتجابي عن أوساطكم الادبية ، سته أشهر كاملة .

فلوراس : (يخرج سيجارة) أمضيت سته أشهر كاملة في كتابتها ؟

الأستاذ : سيجارتك ، ياسيدى .

فلوراس : ماذا ؟

الأستاذ : أطفأها .

فلوراس : لماذا ؟

زوزو : فلوراس ، من المستحيل أن يلقي الأستاذ قصيدته ،

وثمة من يدخنون حوله .

فلوراس : لكن

لويس : (بصرامة) ألق بها ، ياسيدى . إلق بها .

فلوراس : معذرة (يحدث نفسه) يبدو أنني سأطبق على عنق هذا

الرجل .

الأستاذ : (مواصلا) مقطوعتى الغنائية هذه استلهمتها لحظة اختفاء
فتاتى ستة أشهر مصحوبة بكل معاناة الوجود (يخرج
سجارة) .

لوبيس : تفضل (يشعلها له) .

الأستاذ : شكرا ، يالوبيس .

لوبيس : ابادلك الشكر ، ياأستاذ .

فلوراس : (يرى سينيافاس ينثف الدخان فيصبح مستاء) ها هو يدخن .

فيفى : (بصوت خفيض) إنه الأستاذ ، يابابا .

فلوراس : وأنا من أكون ، على اللعنه ؟

لوبيس : هس .

فلوراس : أيها الملاحين ، من رب هذا البيت ؟

الجميع : هس .

(يلعب فلوراس لعبه بنيقط ويرمقهم بنظرات شذراء بينما ينهض الأستاذ

ويشرع وسط تنهدات المعجبين فى القاء رائحته فى حماسة واعتزاز ، بلهجة

خطابية رزينة عميقة مصحوبة بالإيماءات) .

الأستاذ : « هبت الأرواح ، واندفعت فى صخب وعجيج الى

الغابة العذراء ، ودوت السماء الرحبية بالاصداء ..

صحا الاله « بان » فرأى جديانا تتناطح صاح فيها: ايتها

الأرواح الأزلية ياأرواح الأرض الضائعة ، يافكرة

القدر، أيتها الفكرة الرائعة .. على قرنى يتدلى جذلا

كل ما كان وكل ما هو كائن وكل ما سيكون » .

(تثير آيات ذسياس سينينياس الحيرة فى قلوب مستمعيه ، فيعترفهم الوجوم
وييقون فاعرى الأفواه أزاء المعانى التى تنطوى عليها القصيدة . وما أن ينتهى
الاستاذ من لقائه حتى ترى تعليقات الإعجاب من الجمع المبهور بما سمع ما
عدا فلوراس الذى يتابع الأمور مندعشا) .

زوزو : آه . عظيم .

فلوراس : إيه ؟

ليلي : مدهش .

فلوراس : ماذا تقولين ؟

فيفي : شئ يسبى العقول ، يايايا ، يسبى العقول .

فلوراس : إنه شئ يسبى العقول حقا ، فالجنون ركب عقولكم .

لوبيس : (ينهض) يالها من شحنه رمزية ضخمة ، وراء هذا

السطور ، وعلى الأنحص السطر الأخير (يشرع فى الإلقاء)

« على قرنى يتدلى جذلا كل ما هو كائن وكل ما كان

وكل ما سيكون » .

زوزو : ياله من عمق .

ليلي : يالها من رفعة .

فيفي : يالها من رحابة

فلوراس : رفعة ، عمق ، رحابة ؟

زوزو : إنها فى الحق لمعجزة (تشرع فى الإلقاء) على قرنى يتدلى

جذلا ما كان وما هو كائن وما سيكون .

لوبيس : ياله من نظر بعيد !

فيسفى : ياله من تغلغل إلى أعماق النفس البشرية !

لسلى : يالها من قدرة على الإحساس والتعبير . (تشرع فى الإلقاء)

على قرنى يتدلى جذلا ما كان وما هو كائن . . آخ . .

وما سيكون .

فلوراس : ياله من اعجاب مفرط بالقرون . . معذرة ياأستاذ . .

إنى أحترم قرنيك جدا . . لكن . . اسمح لى بأن أقول

. . إنى . .

الأستاذ : إنك لم تفهم ؟

فلوراس : أجل ، كيف فهمت أنى لم أفهم ؟

لوبيس : ياللمسكين . . ياللتعس . . ياللرجل الشقى .

لسلى : ياله من فقير .

زوزو : أنه غير مدرب ، ياأستاذ . . لايعرف . . سامحه .

الأستاذ : (الى فلوراس) من أجل ما لايفهم من «سلحفاتي الزرقاء»

كتبت لها مقدمة مثل كل الشعراء الكبار . وهذا المقدمة

ستعمل آثارها الفعالة فى الجهلاء غير المدربين شاءوا أم

أبوا . . ستقع على رؤوسهم وقع الصاعقة . . وستدق

أعناقهم .

فلوراس : ستدق أعناقهم . باللكارثة .
الأستاذ : اسمع . سأشرح لك المعنى الدفين فى أعماق قصيدتى
التي القيتها .

فلوراس : الحمد لله . ها أنا فى النهاية سأفهم ما يقال .
الأستاذ : (بشرع فى الشرح بحماسة واستلاء) فى مهب الريح ، غارقا
فى الأحلام ، تاركاً نفسى تهيم فى سماوات رحبية
غريبة « سحيقة » . تبلورت الأفكار . . تجمعت
الكلمات مثل السحب المدلهمة . . وتساقطت الأمطار
على القفار . فاغرورقت عيناى بالدموع . . وكتبت . .
فلوراس : آه ، كأنك تتلکم الفارسية ، هلا تفضلت وأخبرتني
أهذا شرح لقصيدتك ؟

الأستاذ : أجل . هل فهمت ؟

فلوراس : إمض من فضلك فى الشرح ، فربما فتح الله على بشئ .
أفهمه .

الأستاذ : وجرفتني سوره الفكر والعاطفة الى حيث تتراقص
الأرواح المعذبة . واصطخبت الغرائز الجياشة فى
أعماق اصطخاب الموج الحبيس فى البئر السحيق
.. والتحمت ذاتى الممزقة بروح الوجود الطليق . .
الغريق .

فلوراس : آه ، كيف قلت ذلك ؟
 الأستاذ : بدأت تفهم ، بالطبع .
 فلوراس : إمض فى الشرح ، من فضلك .
 الأستاذ : إزاء عذابات حياتى تدور دوامة ذاتى . وترتطم بحجارة
 الأعماق . وتقفز متخبطة مفتونة بصور عنائى . أواه ،
 يا من لك رأس جدى وحوافره ستعزف لك أناملى على
 قيثارتى همسات روحى .. وفى السماوات الملبدة
 الرجراجة سيشق منخارى طريقه .. سافتح منخارى
 مثل بئر .. وأملأ خياشيمى .. وأملأ خياشيمى .
 فلوراس : لابد أن هذا الرجل مخبول . لاحول ولا قوة إلا بالله .
 معذرة يا أستاذ .
 (تدخل الخادمة) .
 الخادمة : السيد خريستو تسيمباس حضر .
 الأستاذ : (بخوف) من ؟
 فلوراس : ليتفضل .
 الأستاذ : (وقد تملكه الذعر) كلا ، ليق محله لا تدخلوه ..
 فلوراس : لماذا لاتريده أن يدخل ؟
 زوزو : قال الأستاذ لايدخل .. يعنى لا يدخل .
 فلوراس : فليقل الأستاذ ما يحلو له . القرون والخياشيم قبلتها ..
 لكننى لا أستطيع ألا أستقبل خطيب ابنتى ..
 (يدخل خريستو) .

خريستو : أسعدتم مساء .
 فلوراس : مرحبا بالدكتور .
 الأستاذ : (وقد نقد صوابه) لا .. لا أريد حمامات باردة .. لا
 أريد صدمات كهربية . إنى خارج .
 (ينفلت خارجا) .
 لوييس : وأنا خارج (ينفلت خارجا) .
 ليلى : وأنا أيضا خارجه (تخرج) .
 فلوراس : مع السلامة .
 زوزو : (مضطربة) وأنا يغمى على (تخرمنشيا عليها) .
 فيفى : وأنا أيضا يغمى على (تخرمنشيا عليها) .
 خريستو : ما الذى جرى ؟ ما هذا ؟
 فلوراس : قل لى يادكتور ، هل تعرف الأستاذ ؟
 خريستو : بالطبع . أشرفت على علاجه ستة أشهر فى مستشفى
 الأمراض العقلية .
 زوزو وفيفى : (ما أن سمعا هذا القول حتى تقوما متلفضتين) فى مستشفى
 الأمراض العقلية ؟
 خريستو : أجل . لكن لم السؤال عنه ؟
 فلوراس : (وقد نقد صوابه) أدخل هاتين المرأتين أيضا مستشفى
 الأمراض العقلية ، يادكتور ، أدخلهما المستشفى . أنهما
 مخبولتان ، مهوستان . وجودهما خارجها من قبيل
 الخطأ .. الخطأ فحسب .

ستار

ديمتري بساثاس

نقطة جبر

الشخصيات

كسينوفون في الخامسة والأربعين (استاذ جامعي)
ماريا في الثامنة والعشرين (زوجة)
خارميديس في الثلاثين (صديق لهما)
هيلينيتسا في الثانية والعشرين
يسبيتسا في الخامسة والعشرين (صديقة لها)
خريستاكي في الثلاثين (صديق هيلينيتسا)

الزمن الحاضر ، في أثينا .

(المشهد فى الشارع ، خارج الستار ، نمر هيلينيتسا مسرعة . وهى فتاة عاملة ،
تفيض حيوية ، ثرثرة ، أنيقة ، من أولئك اللاتى يتفقدن المرتب كله على الملابس .
ترتدى لستانا ناصع الياض جديدا مبتكرا ، مما يجعلها بطبيعة الحال تختال
فخورة سعيدة به . عندما تدخل الى خشبة المسرح ، تمضى قدما مسرعة ،
فتلتقى بصديقة لها ، هى بيتسا التى تدخل من الجانب المقابل . تقف بيتسا
وتبادل التحية مع هيلينيتسا بحرارة) .

بيبيتسا : مرحبا ، يا هيلينيتسا .

هيلينيتسا : صباح الخير ، يا بيتسا .

بيبيتسا : الى أين تسرعين ؟

هيلينيتسا : عندى موعد مع خريستاكى . اعدرينى ، يا بيتسا ،
إلى اللقاء .

(تشد على يدها مصافحة وتتصرف) .

بيبيتسا : جملك الله بعقلك ! (تتصرف)

هيلينيتسا : (عائدة) بيتسا ، بيتسا !

بيبيتسا : (عائدة) ما الذى جرى لك ؟

هيلينيتسا : إلاترين ، يا بيتسا ؟ أليس عندك نظر ؟ (تربها لستانها ،
مزهوة به) .

بيبيتسا : لماذا ؟

هيلينيتسا : ولا حتى تقولين « مبروك ، فستانك الجديد » ؟
بيبيتسا : ماذا بإمكانى أن أقول ، وأنت تمرين مثل إعصار
عاصف ، يابنيتى ! وهل تدعين لى فرصة كى أحدثك؟
(تأمل فستانها) .

هيلينيتسا : (معجبة بنفسها) إيه ، كيف يبدو لك ؟
بيبيتسا : جميل جدا ..
هيلينيتسا : ماذا تقولين ؟ جميل جدا ! ألم تجدى من كلمات
الإطراء سوى هاتين الكلمتين الفاترتين ، بينما أنا أريك
تحفة عظيمة ، يابنيتى ؟ ألم تجدى غير « جميل جدا » ؟
أهذا فستان ؟ إنه رائعة من الروائع ، قصيدة من
الشعر ، ربد ، زنبقة ناصعة البياض ، عذراء لم يمسه
سوء . أتعرفين كم كلفنى ؟

بيبيتسا : كم ؟
هيلينيتسا : الفين !
بيبيتسا : الفين ؟
هيلينيتسا : الله ؟ ! وهل كنت تعتقدين انه كلفنى اقل من ذلك ؟
بيبيتسا : اسكتى ، غير معقول !

هيلينيتسا : تقولين « اسكتى » لماذا ؟ ألا يبدو عليه ذلك ؟ الفنان .

الفنان اثنان ، أجل ! لكن انظرى ، كلا ، انظرى جيدا . الاتستحقهما مصمته ؟ أنت غيور بعض الشيء ولكن لا يهم . انظرى اى تصميم ، انظرى البراعة فى استخدام المقص . انظرى الخياطة المحكمة . إنه على قدى تمام . انظرى ؟ (تدور حول نفسها) انظرى ، انظرى ، انظرى كيف يلتف بقوامى . انظرى . إننى سعيدة اليوم ، ياعزيزتى بيبيتسا . سعيدة إلى حد يفوق التصور !

بيبيتسا : احترسى ، ألا تصيبنه بالبقع ، يامجنونة !

هيلينيتسا : تقى من بقلك ! أتعرفين كم أحرص عليه ؟ الترام لا اركبه . على كرسى لا أجلس . لا ذرة تراب ، ولاذباية ، ولابعوضة ، أتركها تقترب منى (تاتى حركة كما لو كانت تطرد ذباية) هل طرت يوما ؟

بيبيتسا : لم يحدث لى ذلك ..

هيلينيتسا : ولا أنا ، ولكنتى بهذا الفستان أظير ياعزيزتى بيبيتسا ، أنا لا أمشى ، ولا تلمس قدمائى الأرض . أنا أظير . إلى اللقاء (تهم بالاتصراف . ثم تعود فجأة) كلا ، تقى فى وجهى .

ييبيتسا : لماذا ؟
 هيلينيتسا : إنك حسود ...
 ييبيتسا : أنا ، يا هيلينيتسا ؟
 هيلينيتسا : ليس هذا وقته . ليس هذا وقته . تفى فى وجهى .
 عينك شريرة . فى المرة السابقة أيضا ، كنت أنت من
 رأيت فى الشارع . هل تذكرين تلك المرة التى عضنى
 فيها الكلب ، ومزق جوربى . تفى فى وجهى ، من
 فضلك ...
 ييبيتسا : (تبصق فى وجهها) حسنا . إنى أنف فى وجهك ، حتى
 لا أحسدك !
 هيلينيتسا : شكرا . إلى اللقاء . (تشد على يدها من جديد وتتصرف)
 ييبيتسا : يالك من مجنونة ! (تتصرف)
 هيلينيتسا : (تعود فجأة) ييبيتسا ، ييبيتسا ، ييبيتسا !
 ييبيتسا : (تعود) ماذا تريد من جديد ؟
 هيلينيتسا : هل تعرفين من حائكة الثياب التى حاكته لى ؟
 ييبيتسا : من ؟
 هيلينيتسا : ليونور !
 ييبيتسا : غير معقول ! قولى كلاما غير هذا !
 هيلينيتسا : تقولين (غير معقول) لماذا ؟ ألا يبدو عليه ؟ ألا يبدو أنه
 من تصميم ليونور ... إنه يصرخ معلنا اسمها !

يصرخ ليونور ا إنى أسير وفى كل خطوة أخطوها
أسمع صوتا يقول : ليونور ، ليونور ا ليونور ا إنى
لم أرتد تحفة مثل هذه من قبل . سوف يرانى
خريستاكى ويجن ، يا عزيزتى بييتسا .

بييتسا : هيا ، وإلا ضاع منك ميعادك .

هيلينيتسا : أجل . إنى ذاهبة . آه . لو ترين كيفه يفعل عندما
يرانى فى فستان جديد . عندما تعارفنا ، كنت ألبس
الفستان المخطط . لم أترك فيه انطبعا . بعد ذلك
ارتديت الوردى ، استلطفنى . حكى الأسود ، وقع
فى غرامى . ثم حكى ذلك الرمادى جن بى ، وقلب
الدنيا رأسا على عقب كى يخطبنى . والآن ، وقد
جلبت قصيدة القصائد هذه ، فلا شك أنه سيطلب منى
أن نتزوج حالا .

بييتسا : هيا ، رافقتك السلامة . .

هيلينيتسا : تفى على مرة أخرى ا

بييتسا : رقيتك بتفتى من عين الحساد .

هيلينيتسا : شكرا جزىلا ، إلى اللقاء (تنصرف، محدثة نفسها) لسنا فى

مقام الهزل ا إن عينها لا تخيب هذه الشريرة ا

(تنصرف بييتسا وهيلينيتسا واحدة من اليمين والأخرى من اليسار . يفتح

الستار ، ويدو مكتب العلامة الأستاذ الجامعى كسينولون . مكبات ، أريكة ،

مقاعد ، وغير ذلك . بالجانب الأيمن ، باب للخروج . وبالجانب الأيسر باب آخر . فى المواجهة تبين نافذة مفتوحة تطل عل الشارع . يجلس الأستاذ العلامة إلى مكتبه ، وهو رجل فى منتصف العمر ، مهذب ، لبق الكلام ، حكيم ، شاخ قبل الألوان . تقف أمامه ماريا ، وهى امرأة شابة رشيقة ، على أمة الخروج . بينما يفتح الستار يواصلان حديثهما .

كسينوفون : اذهبى ، ياماريا .

ماريا : إنى ذاهبة ، ياعزيزى . ذاهبة (تراودها بعض الشكوك) ولكنى لا أستطيع أن أفهم لماذا تهتم بإرسالى مرتين فى الأسبوع إلى ماما .

لماذا تعتمد البقاء وحدك فى البيت ؟ لو كنت أصغر سنا بقليل لارتبت فى سلوكك . .

كسينوفون : (يضحك بطيبة ، ولكن يبدو أن المديح قد أطربته أيضا)

ماريا : (التى تعامله معاملة إلى معاملة الأطفال اقرب) لماذا تضحك ؟

كسينوفون : (يكاد يكون مسرورا لأن زوجته ترتاب فيه) ماريا . . تخشين أن أخونك ؟

ماريا : (دون أن تصدق ذلك ، بطبيعة الحال) من أين لى أن أدرى ؟ تبدو لى محاطا بالشكوك . . .

كسينوفون : (يضحك ضحكة هادئة تصدر عن رجل تروق له مثل هذه المناقشة) ماريا ، يابنيتى . أن ارتيابك هذا يملأنى زهوا بنفسى ،

ولكن الواقع للأسف يكذبه . تعرفين جيدا أننى يجب
أن أنجز هذه الدراسة عن يورويديس . عندما تغيبين
أكتب مائة صفحة فى اليوم . وعندما تكونين بالبيت لا
أكتب شيئا (برقة) تدخلين ، تخرجين ، تغنين ،
تثرثرين ، تتحدثين إلى القطه ، تتشاجرين مع الكلب،
وفى كلمتين فإنك تخلقين من الضجيج ما تعطل إزاءه
أفكارى كلها .

ماريا : تقصد أننى مزعجة .

كسينوفون : لا أقول ذلك .

ماريا : وإنما ؟

كسينوفون : تعوقين عملى . هذا كل ما فى الأمر .

ماريا : (تسخف من عمله بلهجة ودود) ماذا تقول ! ياله من عمل !

تشقى خمس سنوات بأكملها ، ليل نهار ، من أجل

خصوصيات يورويديس العائلية ! وتحاول أن تثبت أن

زوجته لم تكن تخونه . ما شأنك أنت إن كانت تخونه

أو لا تخونه ! ما شأنك لو كان لها عشيق اسمه . .

ماذا كان اسمه ؟

كسينوفون : كيفيسيفون !

ماريا : من ؟

كسينوفون : (مكررا بطريقة نربوية) كيفيسيفون !

ماريا : (بلا اكترات) ما علينا !

كسينوفون : لا تقولى « ماعلينا » تفعلين ذلك على الدوام ، فلا تتعلمين شيئا . كررى النطق ، حتى تتعلمى على الأقل اسمه . الصحيح (تهضر)

ماريا : لست بحاجة إلى ذلك . يكفى أن تعرفه أنت . عالم كبير مثلك يدرس ويشقى . يكتب ويتصيب عرقا كي يكتشف ما إذا كان لزوجته يورويديس عشيق أو لم يكن لها . وتعتبر هذا عملا جادا . إنه مجرد ثروة فضولية ، عادية تماما .

كسينوفون : (مندمشا) ثروة فضولية ؟

ماريا : أم ماذا يكون ذلك ! مجرد نبش عن فضائح قديمة !

كسينوفون : جهودى التاريخية ؟

ماريا : يالها من جهود !

كسينوفون : (بتأيب رقيق) ماريا ، لا أسمح لك أن تسيئ إلى بحوثى التاريخية ، وعلى الأخص أن تتدخل فى مسائل لا تفهمينها . ثروة فضولية هيه ، خمس سنوات من الدراسة ، وأندر التحريات العلمية عن حياة يورويديس تسمينها ثروة فضولية ! نبشا عن فضائح ! باحث فى بطون التاريخ ، ترقى به أبحاثه إلى قمة المجد الأدبى ، ليس بالنسبة لماريا سوى ثرثار تافه .

(يستدير ويأخذ كمية من أوراقه) أتعرفين ، يا حبيبتي ، ما الهدف من دراستي هذه ؟ لو كان قد حظى التاريخ وأدبنا القديم ببعض من اهتمامك لعرفت أن يورويديس قد تعرض لتجريح بعض من السنة السوء في عصره ، ووجهت إليه اتهامات ظالمة . قالوا عنه كاره نساء ، وقالوا عن أمه بائعة خضر . قالوا عن زوجته امرأة خبيثة . قالوا عن كيفيسيفون أنه عشيقها !

ماريا : (بغير اكترات) وما شأنك أنت ؟

كسينوفون : (دحشا) ماشأني ! !

ماريا : أكان قريبا لك يورويديس ؟

كسينوفون : (يأس) لست في كامل قواك العقلية ، يا بِنِيتي ! إن النحو الذي تواجهين به علم التاريخ يضحى مشيرا للثرثاء ! ولكن هل تبينين ذلك ؟ ليس الأمر امر الافتراءات التي ادعاها أرسطوفانيس على يورويديس فحسب ، فقد وجدت هذه الافتراءات حتى في يومنا هذا من يرددها ، ولأزال بعض الثقة من رجال التاريخ يؤكدون أن زوجة يورويديس كانت تخونه . . .

ماريا : (بمناء) حسنا فعلت به !

كسينوفون : (غاضبا) لكنها لم تكن تخونه !

ماريا : (باللهجة ذاتها) كانت تخونه . دعك من الإصرار . .

كسينوفون : كلا ، ياماريا . .

ماريا : إسمع ما أقوله لك .

كسينوفون : لكن ما الذى بإمكانك أن تعرفيه أنت فى أمور تاريخية
مثل هذه !

ماريا : إنى امرأة ، وأفهمها حق الفهم . لوكان السيد

يورويديس يخلق على نفسه الباب ، ويكتب

تراجيدياته ، وكان دائب التدمير ، ما الذى كنت تريد

من زوجته أن تفعل ؟ من وراء ظهره تلعب به ، وترفه

عن نفسها . تنسى همومها قليلا . . .

كسينوفون : (يأس) كلا ، ياعزيزتى ماريا ! (بطريقة تربوية) كان

كيفيسيفون . . .

ماريا : كان كيفيسيفون يقضى وقتا طيبا ! إسمع كلامى !

صدقنى !

كسينوفون : كان كيفيسيفون يقضى وقتا طيبا ؟ ! سأطرح جانبا

ياماريا ، تعيراتك التى تخلو من كل رصانة علمية ،

وأجزم لك أنك تخطئين خطأ فاحشا ! وإنى لذلك

أرثى لك . كانت زوجة يورويديس ، كما أثبتته فى

بحثى ، أشرف امرأة فى الوجود . وكان كيفيسيفون

بريئا مما نسب إليه ! أعود فأؤكد لك ، أننى بكتابى

هذا ألقى ضوءاً غزيراً على أسرار الحياة الزوجية لكاتبنا
التراجيدي الكبير . اجلسي ، ياماريا ، كلا ،
اجلسي ، لا تنصرفي . اجلسي كي أقرأ لك
بعض الصفحات (بضع نظارته على عينيه ، ويتأهب ليقراها
مسوداته) .

ماريا : ماذا ستفعل ؟ ستقرأ ؟
كسينوفون : خمسين صفحة فحسب !
ماريا : فقدت عقلك ، ياكسينوفون ! إنني خارجة . إلى اللقاء
(تمضي إلى الباب) .

كسينوفون : (يتهمز) تنصرفين ؟
ماريا : لا رغبة لي في أن أصدع رأسي ..
كسينوفون : كما تشائين . من حسن الحظ ، أن خارميديس سيأتي
اليوم بعد الظهر .

ماريا : (تقفل راجعة باهتمام) سيأتي ؟
كسينوفون : أجل ، رأيته هذا الصباح ، وقال لي إنه سيمر بعد
الظهر . سوف أقرأ عليه هذه الصفحات ، فهو يستمع
إلى راضيا .

ماريا : (ما إن سمعت عن خارميديس ، تبدى اهتماما أكبر ، وتوجه إلى مكتب
زوجها ، متحدثه بركة غير مباشرة عن هذا الشخص) ياللمسكين !
كسينوفون : لماذا ... لماذا هو مسكين !

ماريا : (ساخرة) موضوع جميل ذلك الذى اخترت أن تقرأه عليه . أول أمس ، انفطر قلبى اشفاقا عليه ، وقد مضيت تصدع دماغه ثلاث ساعات طوال . تناول خمسة أقراص من الأسبيرين كى يفيق ، وكان على وشك أن يصاب بنوبة قلبية ، هذا المسكين !

كسينوفون : هيا الآن ، انصرفى .

ماريا : سلاما ، واحرص على ألا تترك النور مضاء من جديد، عندما تهجع فى الليل إلى فراشك . وضعت لك خفيك تحت السرير .

كسينوفون : وضعهما فى أغوار الأغوار ، تحت السرير ؟

ماريا : لا أعرف . حينما أضعها دوما .

كسينوفون : ماريا ، عزيزتى . موضوع الحفنين هو أحد الأسباب التى تجعلنى أدرى ، ما متعتك فى أن تدسيها فى أغوار، أغوار ، الأغوار تحت السرير . اضطر إلى أن انحنى مثل ذوات الأربع ، وأمد ذراعى بمعاناة ، بحثا عنهما ... لو رأتى أحد أعضاء الأكاديمية من زملائى ، وأنا فى هذا الوضع المورث للجنون وغير اللائق ، فإنهم لن يسمحوا بدخولى الأكاديمية أبدا .

ماريا : إلى اللقاء . (تبعث إليه بقبلة وهى تتصرف) . يجلس كسينوفون إلى مكتبه ، متأهبا للكتابة ، لكنه يرى أن

محبرته خلت من الحبر . ينهض . يفتح الدولاب ،
ويتناول منه رجاجة كبيرة . ثم يأخذ محبرته ، وكى
يحسن الرؤية ، يمضى إلى جوار النافذة ليملاها حبرا .
وأثناء قيامه بهذه الحركات يحدث نفسه قائلا
« كيفيسيفون ! كيفيسيفون أعز أصدقاء يورويديس ،
لزوجته عشيق ! خل عنك ، يا صديقي العزيز . لو
اقتضاني اثبات برائتك أن استخدم عشر رجاجات من
الحبر ، فلن اتردد فى ذلك . » وبينما يدها ممدودتان
خارج النافذة تعبانا بحرص الحبر من الزجاجة الكبيرة
فى محبرته ، تنزلق الزجاجة من يده وتهوى ساقطة
إلى الشارع . ويسقط الزجاجة يتعالى صوت
هيلينيتسا مولولا . ويبدو أنها كانت ترم فى تلك
اللحظة تحت النافذة ، فاغرقها الحبر المنسكب .

صوت هيلينيتسا: آه ! يوه ، يوه ، فستانى ، فستانى !
كسينوفون : (يتسمر فى مكانه مصموقا بسبب فعلته . يظل تحت فى الشارع ، من حيث
تفد ولولات هيلينيتسا . وقد تلبذ ذهنه) أوه ، أوه ، أوه ،

يا للمصيبة التى حاقت بى !

الصوت : فستانى ، فستانى !
كسينوفون : (ييلادة ذهن كبيرة ، ينحنى مطلا من النافذة ، ويوجه خطابه إلى هيلينيتسا
التي لا يراها بطبيعة الحال) سيدتى . . انزلقت منى .

الصوت : ياه ، ياه ، أيها الشرير ، المجرم ، القاتل ! وامصيتاه !

واحسرتاه ! ياه ، ياه ، يالهول الذى حدث لفستانى !

كسينوفون : سيدتى ، معذرة ، ولكن ...

الصوت : ياطريد الليمان ، يامن لاضمير لك ، يايهوذا ، أيها

القرد ، أيها السفاح ، ياقاطع الطريق ، يادب ، أيها

النائم على نفسك ، أيها الغيبى ، يامن أتلفت

فستانى ! ماذا أفعل الآن ؟ ياه ، ياه ، كل هذه البقع

من الحبر ! ...

كسينوفون : (بلهجة امرأة) سيدتى ، أرجوك .

الصوت : بقعة هنا ، وهنا بقعة أخرى . ماذا أفعل الآن ؟

كسينوفون : تفضلى عندى ، أرجوك . تفضلى .

الصوت : وهنا ، وهنا ، وهنا ، جعل فستانى مثل وجهه !

كسينوفون : (ماضيا فى الإطلال من النافذة) تفضلى ، كى أرى ماذا

بإمكانى أن أفعل من أجلك . إنى آسف شديد

الأسف ، ياسيدتى . أرجوك ، تعالى ، ادخلى .

الباب من هناك . (يذهب ليفتح الباب مضطربا ، ويتحدث وهو

يهوول إليه) تفضلى ، كى أرى كيف يمكننى أن أصحح

ما وقع من خطأ فاحش .

(يفتح كسينوفون الباب ، وبعد هنيهة تدخل هيلينيتسا فى حالة يرثى لها .

عندما وقعت الزجاجاة على رأسها لطخها الحبر ، وامتلا فستانها ببقع سوداء

تأثرت عليه كله . تدخل محدقة إليه بيأس وحقد ، بينما يعاين كسينوفون

جزءا ما أوقعه من دمار)

هيلينيتسا : أيها الشرير !

كسينوفون : أطلب منك المَعذرة !

هيلينيتسا : الأزال لديك من الجسارة والوقاحة ما يسول لك أن

تطلب مني المَعذرة ، هيه ؟ أين كانت عيناك ، أين ؟

كسينوفون : ما كنت أقصد ذلك ، ياسيدتى .

هيلينيتسا : (ناظرة إلى البقع) يوه ، يوه ، يوه .

كسينوفون : اجلسى ، ياسيدتى ، اجلسى ...

هيلينيتسا : آخ ، يابيينيتسا ، لعنة الله على عينك الحسود ! كنت

أعرف أن ثمة مصيبة كبيرة ستقع على رأسى . ماذا

أفعل الآن ؟

كسينوفون : هذه البقع ، ألا تنظفها المصبغة ؟

هيلينيتسا : أى مصبغة تنظف كل هذه البقع . يا أعمى العينين !

كيف أذهب بهذه الحال السيئة لمقابلة خريستاكى

العزیز ؟

كسينوفون : خريستاكى العزيز ؟

هيلينيتسا : كيف يرانى ؟ ماذا أقول له ؟

كسينوفون : سأشرح له أنا ، ياسيدتى . آخذ على عاتقى هذه

المسئولية !

هيلينيتسا : كلفنى هذا القستان ثلاثة آلاف دراختمة . هذه أول مرة البسه . ولم أدفع بعد أجر الخياطة . (تبكى) فستانى ، فستانى الصغير ! أما كان يجدر بك أن تنظر أمامك ، أيها التائه ، النائم ، الهمجى ! أين كان عقلك ؟

كسينوفون : عند كيفيسيفون ..

هيلينيتسا : فليقتلع هذا الكيفيسيفون عينيك !

كسينوفون : سيدتى ، أقدر المأساة التى ألحقها بك . يكلف القستان اليوم ثروة هائلة .

هيلينيتسا : ثلاثة آلاف ! وقد صممت ليونور !

كسينوفون : لم يحدث لى الشرف أن أتعرف بالسيدة الجليلة ليونور لأننى لا أعرف إلا سيدات من التاريخ القديم . وأيا كان الأمر ، فسأجتهد أن أجبر الضرر الذى وقع . إن زوجتى وشيقة القوام مثلك ولديها فساتين كثيرة . سأعطيك لتلبسى مؤقتا القستان الذى يروق لك كى تذهبى لمقابلة عزيزك خريستاكى ، وسأدفع التعويض بالكامل ، لو أجريت لى بعض التخفيض ..

هيلينيتسا : شرير !

كسينوفون : لست شريرا ، ياسيدتى . إنى عالم ساذج . هل تريدن أن أحضر لك الفساتين كى تختارى ؟

هيلينيتسا : أحضر . أرنى . هيا . أحضر ..

كسينوفون : حالا ، ياسيدتى . (يخرج من جهة اليسار)
هيلينيتسا : (تنظر يأس إلى فستانها) آخ ، ، يابيينيتسا ، عينك بالسوء
تقدح ! وفى المرة السابقة ، التى سقطت فيها من الترام
وانكسر كعب حذائى ، كانت هى أيضا التى رأيتها .
هذه الغيور ، عيناها واسعتان ، تكاد تبستلعك بهما !
ضاع على الميعاد أيضا ! (تفتح حقيبة يدما وتنظر إلى مرآتها)
وجهى فحسب نجا من الكارثة ! (تنادى بصوت عال) ياسيد
كيفيسيفون ! ...

كسينوفون : (من الداخل) حالا . قادم إليك ، ياسيدتى .
هيلينيتسا : اخطف رجلك ، وتعال !
كسينوفون : لحظة واحدة ، ياسيدتى .
هيلينيتسا : وانتق فستانا عليه القيمة .
كسينوفون : ليس واحدا فحسب . سأحضر لك فساتين كثيرة . .
هيلينيتسا : احضر . أرنى ماعندك ! من يدرى أى امرأة طائشة هى
زوجتك ، وأى أزياء قديمة ترتدى . يوه ، يوه ، يوه ،
ترى أى دمية فى متحف أثرى ، سيجعل منى هذا
المجرم ...

كسينوفون : (يدخل حاملاً اثواباً كثيرة يناولها واحدا) هل يعجبك هذا ؟
هيلينيتسا : لا بد أنك قد فقدت عقلك . أمن قماش التنجيد هذا
البس ؟ (تلقى به على رأسه)

كسينوفون : معذرة ، لا تفعلنى ، ياسيدتى (يربها ثوبا آخر) ما رأيك
فى هذا القستان ؟

هيلينيتسا : بهذا أذهب للقاء خريستاكى ؟ سوف يطلقنى ، ياسيد.
من المؤكد أنه سيطلقنى ، لو رآنى (تبكى)
كسينوفون : لا تيك ياسيدتى ، اتوسل إليك أنك بذلك تجعلين
مركزى أكثر حرجا . (يربها كل مامعه) انظرى هذا،
كلفنى ألف دراخمة .

هيلينيتسا : ربما كلفك عشرة آلاف ، ياسيدى ، ولكنه لا يعجبنى!
خرق بالية ، أثريات ، مثل زوجتك ومثلك . أليس
هناك فساتين أخرى ؟

كسينوفون : زوجتى شابة حسنة ، ياسيدتى ، وقد عرفتُ بأنها من
أكثر النساء أناقة . قد تكون لها عيوب أخرى أجهلها
ولكن ليس بإمكانك انتقاد ذوقها فى اختيار فساتينها إن
كل معارفى التاريخية وجهودى تتحول إلى فساتين
وقبعات وأحذية ...

هيلينيتسا : هات فستانا آخر !

كسينوفون : حسنا ياسيدتى . ولكن انتظرى كى أصعد لحظة إلى
الدور العلوى وأحضر لك شيئا من فاخر ثيابها .
(يتصرف)

هيلينيتسا : (نظل وحدها على المسرح وتنايل الفساتين) فساتين قبيحة ، تافهة .. (تتقى احدها) هذا لا بأس به إلى حد ما . فلأرتديه مؤقتا . (تلقى بالفساتين الأخرى ، وتبقى أمامها على أحد المقاعد الفستان الذى اختارته) لعنة الله على هذه الغرفة ، ما من مرآة هنا ! (تخلع فستانها الملطخ ببقع الحبر كى ترتدى الآخر ، وتظل نصف عارية ، بقميصها الداخلى ، وبينما تهم بارتداء الفستان الآخر تدخل ماريا من الباب الخارجى ، فتراها شبه عارية فى بيتها ، فتصاب بالدهول) .

ماريا : أووه !

هيلينيتسا : (بلا تفكير) أووه !

ماريا : ياللوغد ! شئ لا يصدقه عقل ، لا يتصوره خيال ، لم يخطر على بال ولا على سمع !

هيلينيتسا : هـ ... هذا غير ... صحيح ! .

ماريا : (نائرة) وتسخرين منى ، يا عديمة الحياء ! (تهجم عليها غاضبة)

هيلينيتسا : (تجبرى جزعة ، محاولة فى الوقت ذاته أن تكمل ارتداء الفستان الذى يصعب عليها أن تمرره على جسمها بعد رقبته) .

ماريا : ياله من منافق وراء . المهرج . ماء من تحت تبين ! وأنت ، يا وقحة تجرئين على الدخول هنا ، وتتعرين من ثيابك فى بيتى ذاته . هيه ؟

هيلينيتسا : (تتهرب مخفية بالمقاعد) سيدتى ، دعينى أشرح لك .

ماريا : (تهجم عليها) ماذا ستشرحين لى ، أيتها السفاجرة ! لا أريد منك شرحا ولا إيضاحا . اخرجى ، حالا ، وإلا خنقتك ، وأرهقت روحك !

هيلينيتسا : سيدتى ، إن الزجاجة (تهم بالانصراف ثم تعود)

ماريا : اخرجى ! (تطاردها)

هيلينيتسا : سيدتى ، إن الفستان

ماريا : خذى أيضا فستانى ، الذى نجسته ، واغربى عن وجهى ، حتى لا أراك ، يا عديمة الحياء !

هيلينيتسا : ف . . فستانى سقط على زجاجته ! (فى هذه الأثناء تنجح فى ارتداء الثوب) .

ماريا : ماذا تقولين ؟

هيلينيتسا : كلا ، . . معذرة . كنت فى طريقى إلى خريستاكى . فدلِق روجك فستانا من الخبر على الزجاجاة . كلا ، معذرة . ليس الأمر كذلك .

ماريا : (تنفض عليها) اخرجى ، يا عديمة الحياء !

(تنصرف هيلينيتسا من الباب الرئيسى ، قاتلة)

هيلينيتسا : آخ ، يا بيبيتسا ، أنت السبب . لعنة الله على عينك الحسود !

(تبقى ماريا وحدها على المسرح ، وقد انقلب كيانها النفسى رأسا على عقب تحيل بصرها من حولها محبطة . من الداخل بالجانب الأيسر ، يسمع صوت كسينوفون) .

الصوت : ها أنا احضر إليك أفضل ما لدى زوجتى من فساتين ..

ماريا : آه ياله من وغد ! كان سيعطيها كل فساتينى لو لم اسارع بالمجيئ والحق به !

(يدخل كسينوفون من جهة اليمين محسكا بفستانين او ثلاثة فساتين اخرى .
تبسم اساريره ، ولكنه ما ان يرى زوجته بدلا من هيلينيسا يتأبه للدمول)

كسينوفون : اوه ! إنها ماريا !

ماريا : أجل ، ياسيد .

كسينوفون : لماذا عدت ؟

ماريا : لماذا ؟ حمداً لله أننى عدت ، ذهبت ماما إلى كيفيسيا .

كسينوفون : أين الصبية ؟

ماريا : الصبية ! لارلت تطلب الصبية ! ما هذه الوقاحة

ياأستاذ للتاريخ ! تحضر فساتينى لتهديتها إليها كلها ،

ياقليل الأدب ! وقد كنت أتسائل عما يحدث لفساتينى

التي كانت تختفى من حين لآخر .

كسينوفون : ماريا ..

ماريا : ياالص !

كسينوفون : لعلك تعتقدين أننى ...

ماريا : اخرس ، لهذا تبعث بى من وقت لآخر إلى ماما .

هيه ؟ كى تبعث ، أيها المهرج ، الذى لا تكفيك

زوجة واحدة ، فتريد لنفسك عشيقة ! لكن مادم
هكذا ، فاعلم بدورك ياسيد أن ماريا ليست امرأة من
تلك اللاتي تتخيلهن . أنا أيضا لى عشيق !

كسينوفون : (وقد أذهلته المفاجأة) ماذا ؟

ماريا : (بنضب وعناء) أجل ، أجل ، أجل ! ولو كان يخطر
ببالك أنك تضحك علىّ ، فأنت مخدوع ! لأننى كنت
بدورى أضحك عليك ، وعلى نحو أبرع منك بكثير ،
ألا تخجل من نفسك ، وأنت فى سنك هذه . أيها
الإنسان المثقف ، الباحث فى بطون التاريخ !

كسينوفون : أكان لك عشيق ..

ماريا : عشيق ! صديقك خارميديس .

كسينوفون : خار ...

ماريا : ... ميديس ! ميديس ! ميديس ! أجل ، صديقك
خارميديس !

كسينوفون : أوه ، يورويديس ، عزيزى .

ماريا : يقول : يورويديس ! عزيزه يورويديس . لا زال
يذكر يورويديس . ليس لديه كلام آخر يقوله . أوه ،
كان يجب أن أعرف هذا ، أنا الغيبة ، البلهاء ،
الساذجة ، فلا ينهشنى كل ذلك الخوف ، والعناء ،
والوخزات ، أجل ، ياسيد ، الوخزات (بنبرات باكية)

لا يمكنك أن تعرف كم كلفتني أنا هذه الحكاية . كنت
أعذب نفسي ، أتخذ مالا يحصى من الاحتياطات ،
وأرتعد فرقا وأشقى ، أنا المسكينة ، جاهدة بكل
الوسائل الممكنة ألا أعرض سمعتك للخطر . يفقد
المرء عقله إزاء سذاجتي وبلاهتي . أتعرف ياسيد ،
ماذا كلفتني هذه المعاناة ؟ فقدت خمسة كيلوجرامات
من وزني في مدة شهرين . . .

كسينوفون : وأنا المستول !

ماريا : ومن غيرك ؟

كسينوفون : عن الوخزات التي نالتك ، في حين ما كان يجب أن
تنالك لو انتظمت الأمور في سيرها .

ماريا : بكل تأكيد . .

كسينوفون : وتسأليني لماذا لم أقل لك : ماريا ، يابيتي ، لا
تخافى ، فى سيلك .

ماريا : تقريبا . .

كسينوفون : (ناترا) أوه ، هذا يتعدى كل حدود الصفاقة !

ماريا : ما أظرف هذا ! يتكلم السيد عن الصفاقة ! وهو الذى

بلغت به الصفاقة إلى حد إحضار عشيقته إلى بيتي

ذاته ! ولكن بالله ماذا وجدت فيها فأعجبتك ، كلا ،

قل لى ماذا وجدت فيها ، ياسيد ، يامن ضحيت من

أجل هذه المرأة باحترام الناس ويسعادتك العائلية ؟
امرأة مقززة هي ، ولا شئ غير ذلك . أنفها طويل ،
فمها واسع ، عيناها متهرئتان ، ساقاها معوجتان .
لقد عنت بتأملها . ولكن هذا مستوى ذوقكم ،
ياجنس الرجال ، أمثال هذه الخثالات تروق لكم !

كسينوفون : (وقد أذهلته الفكرة التي انضحت له ، يحدث نفسه) خارميذيس !

ماريا : ياأيها الجنس الصفق . !

كسينوفون : صديقي !

ماريا : ذراع المقشة هذه ، استهوتك !

كسينوفون : هذا شئ غير معقول !

ماريا : بطبيعة الحال ، هو شئ غير معقول . هدامة البيوت

هذه ، مفرقة الأزواج . لا بد أن نفسها قد سولت لها

أن تزوجك ، ولكنها لا تعرف أى صنف من الأزواج

أنت ، ولا يخطر ببالها أنني كى أعود عليك ، وآلف

نزواتك وكتبك وخفك المنزلى والسعال المخفض الذى

يتتابك فى منتصف الليل ، أمضيت من عمرى خمس

سنوات سوداء . ياناكر الجميل ، ياخائن العشرة !

يامن ضحيت بالكثير كى أعينك فى أبحاثك العلمية .

كفاك جحودا .

كسينوفون : أشكر على المعاونة التى قدمتها لى ، لكننى كنت

أفضل لو لم تكونى قد قدمتها .

ماريا : لماذا لاتفهم ا إنك لا تفهمنى أبدا ، أنا التى حتى لا أعوقك عن أبحاثك فعلت كل ما كان بوسعى (تبكى) حتى خيانتك أقدمت عليها من أجلك ا

كسينوفون : إنى شاكر لك جزيل الشكر تضحيتك الهائلة ا

ماريا : أيها الكافر بالنعمة .

كسينوفون : أنت مجنونة ، مجنونة ا

ماريا : أجل ، أجل ، مجنونة ا من صالحك أن تقول عنى ذلك . ولكنى أنا المسكينة اضطررت أن أقيم علاقة مع خارميديس ، ليس من أجل شئ سوى أن أجد متنفسا لحيويتى . مائة مرة قال لى الرجل ما الذى يجعلك تريدن هذا الكهل المهلهل . تعالى نرحل ، ونتزوج ، ولكنى أنا الحمقاء البلهاء كنت أحب ، كما ترى ، هذا الكهل المهلهل ا ولم يخطر ببالى قط أن أطلق منه . أما الآن ، فلانى سأرحل ا سأرحل ، ياسيد ، عن البيت الدنس هذا . وحذار أن تتجاسر وتنس بكلمة أخرى ، لأننى سأهوى بالصفعة على وجهك .

كسينوفون : ماريا ا

ماريا : أيها المتهتك ا

كسينوفون : أفيقى ، وثوبى إلى رشدك .

ماريا : أفقت ، وثبت إلى رشدى . ستعود ماما الليلة من

كيفيسيا . ولذلك ، سأذهب حالا ، حالا ، أجمع

بعض حاجياتي ، وأرحل . ولو سولت لك نفسك أن
تصعد إلى وتعاود الحديث إلى ، سأضربك !
(تهم بالانصراف)

كسينوفون : اسمعى ياماريا . . .

ماريا : لا أسمع شيئا (تصرف . ثم تعود) ما اسمها ؟

كسينوفون : لا أعرف .

ماريا : ولماذا أصدع رأسي بالسؤال عن اسمها ! ليس هذا من

شئونى ، ولا يعنينى

(تخرج ناحية اليسار)

(يبقى كسينوفون وحيدا على المسرح . وقد شرد بصره فى الاتجاه الذى

خرجت منه ماريا . من الباب الخارجى يدخل خارميديس . وهو شاب لا

يزيد عمره عن الثلاثين . خفيف الظل . يشوش) .

خارميديس : أوه ، سلام عليك ، يا استاذ كسينوفون . . .

كسينوفون : (ينظر إليه . يزدرد لعابه . متمالكا نفسه) وعليك السلام ، ياسيد

خارميديس . .

خارميديس : لم أفرغ من أعمالى إلا قوا ، وجئت لأنعم بصحبتك

قليلا .

كسينوفون : جئت فى الوقت المناسب . .

خارميديس : والمدام ؟ أين المدام ؟

كسينوفون : (يسلط نظراته فى هيئه) إجلس . . .

خارميديس : (يجلس) شكراً. أرجو أن أسعد اليوم بالاستماع إلى
تكملة الفصل الذى قرأته لى يوم الثلاثاء الماضى .
استهوانى كثيرا كيفيسفون هذا على حسب رسمك
لشخصيته .

كسينوفون : (ينظر إليه) طبعاً ! طبعاً !

خارميديس : كما تبدو زوجة يورويديس فضلاً عن ذلك امرأة على
غاية من الشرف والفضيلة . وأنتك لتستحق التهنئة على
ردك الاعتبار إليها ، بعد كل هذه العصور من الافتراء
عليها .

كسينوفون : هل تعتقد ذلك ؟

خارميديس : لا أشك فى ذلك (ينظر إليه دماً) لكن ما بك ؟ تبدو
مضطرباً بعض الشيء .

كسينوفون : أجل ، بعض الشيء .

خارميديس : ماذا حدث ، ياسيدى الأستاذ ؟

كسينوفون : حدث لى شئ غريب ، ياعزيزى . (يباحائية) وبدأت
أشك جدياً فى إخلاص زوجة يورويديس . .

خارميديس : أوه ، وكيف يحدث ذلك ؟

كسينوفون : يحدث ! يحدث . .

خارميديس : لكنك ياسيدى الأستاذ ، أهرقت مداداً كثيراً لإثبات ما
هو عكس ذلك تماماً .

كسينوفون : أجل ، ولكن يبدو أن أفضل السبل ليس أن يهرق المرء
الحبر على هذا النحو . يتعلم المرء أكثر لو دلق زجاجة
حبر من النافذة . .

خارميديس : (دهشا) كيف ؟

كسينوفون : على فستان امرأة .

خارميديس : لا أفهمك . . .

كسينوفون : سأشرح لك . (ينظر في عينه) أواجه بعض المشاكل ،
وأريد أن أسألك النصيحة . ماذا تعتقد أنت ،
يا صديقي ؟ ماذا كان على يورويديس أن يفعل لو نما
إلى علمه أن صديقه كيفيسيفون عشيق زوجته ؟ أما كان
يجدر أن يخبره بذلك ، ياسيد كيفيسيفون ؟ يامن لا
ضمير لك ، ما دمت تدخل إلى بيتي ، تتظاهر بأنك
صديقي ، وتغوى زوجتي ؟

خارميديس : (يعمل متضايقا) . . .

كسينوفون : أما كان يجب أن يخبره ؟

خارميديس : (مضطربا) وكيف لا ، أجل ، كان يجب . .

كسينوفون : (يزداد اقترابا منه ، ويصوب نظراته إلى أعماق عينيه) أما كان يجب
أن يخبره يا سيد كيفيسيفون ؟ أنت رجل مخادع
وأعجب كيف تواتيك الجرأة أن تواجهني ، بل وأيضا
أن تنظر إلى عيني ، وذلك بدل أن تخفض عينيك
خجلا . .

خارميديس : (يخفض عينيه بطريقة آلية) . .

كسينوفون : أما كان يجب ذلك ؟

خارميديس : (وقد ارتبك تماما) كيف ، لا بالطبع . كان يجب . .

كسينوفون : (يزداد اقتربا منه بينما يتكلم خارميديس في مقعده) أما كان يجب

أن يخبره ؟ ياميد كيفيسيفون ، يعطينى العالم كله

الحق أن أطبق على عنقك وأزهق روحك ، مادمت قد

سرت منى زوجتى ، ونخت أشرف ما فى الوجود ،

نخت الصداقة !

خارميديس : (يزدرد لعابه وقد جف حلقه ، واستبد به الخوف)

كسينوفون : أما كان يجب ذلك . ؟

خارميديس : كيف لا ، بالطبع ، كان يجب .

كسينوفون : (تراجع قليلا) ولكن إذا لم يكن يوروبيديس يريد إثارة

الفضيحة لأنه كان لازال قادرا على حب امرأته ، فهى

على الرغم من رلتها أغلى ما فى الوجود بالنسبة له ،

هى أهزوجة فرح فى زخم كتبه البليدة ، ونغمة مرح

ربيعى فى شتاء روحه الملبدة . ولهذا فهو مستعد أن

يغفر لها كل شئ ، لمجرد الاحتفاظ بها إلى جواره -

إذا كان هذا ما حدث . . .

خارميديس : (بذات لهجة الحائرة) إذا . . .

كسينوفون : أما كان يجب أن يقول لكيفيسيفون . . . (فجأة يغير لهجته

الرقيقة ، وينقلب على خارميديس شرس العبارة ، مواصلا كلامه غاضبا)

أيها الحقير القدر ! أيها الوغد الحمار ! وقعت في أسوأ
ما يمكن أن يوقع فيه إنسان لا ضمير له ! ولكنني لن
أخثلك ، أيها المخلوق التافه المضحك ، لأنني لا
أريد أن أثير الفضائح . (بصوت ضار) اخرج من هنا ،
إلى الجحيم فلتذهب ، ولا تضع قدمك في بيتي ،
لأنك إن فعلت ، فسأقطع ساقيك ! (بينما يقول كسينوفون
هذا الكلام لخارميديس ، يتضاءل هذا الأخير منكشاً في مقعده وقد ثلكه
الخوف . بعد ذلك يغير كسينوفون من لهجته رويدا رويدا . يتراجع ، ويقول
بصوت أكثر رقة ، كما لو كان يتكلم عن شخص غيره) هذا ما كان
سوف يقوله يورويديس !

خارميديس : أ . . . أج . . . أجل . . .

كسينوفون : (تدخل ماريا ثائرة ، وقد ارتدت قبعة ، متأهبة للخروج . ما أن ترى
خارميديس حتى توجه إليه خطابها بألفة ، وإصرار)

ماريا : آه ، أنت هنا يا خارميديس . . هيا ، فلنذهب !

خارميديس : (دهشاً من لهجتها . يتهض من المقعد وينظر إليها) ماذا ؟

ماريا : فلنذهب . فلنذهب !

خارميديس : (لازال دهشاً) سيدتي . .

ماريا : فلنذهب . ودعك من مناداتي بياسيدتي . إنه يعرف
كل شيء !

كسينوفون : (إلى ماريا) اهدئي قليلا ، ياماريا . اهدئي . .

ماريا : لن اهدأ أبدا ! (إلى خارميديس) هل تتصور ذلك ؟
وجدته هنا مع عشيقته . كانت عارية . كما ولدتها
أمها ! ولشدة خوفها عندما سمعتنى قادمة ارتبكت
فارتدت أحد فساتينى !

خارميديس : (دمعا) صحيح !

ماريا : أجل . هذا ! هذا القديس ! (تشير إلى زوجها)
خارميديس : (بشجع) آه هكذا ؟ تهانى ، ياسيدى الأستاذ ! فى هذه
الحالة ، لا تصبح الأمور بالتعقيد الذى بدت عليه .
كان بإمكان كيفيسيفون أن يلتفت إلى يورويديس
بشكل رائع ويقول : ياسيد يورويديس ، ما أردته
لغيرك ترديت فيه أنت .

(من الباب الخارجى ، تدخل هيلينيتسا بصحبة خريستاكى . هيلينيتسا نائرة
على الدوام وعصية ، ترتدى فستانا من فساتينها هذه المرة وتحمل لفافة . ما
أن يدخلها تشير إلى كسينوفون وتومئ لخريستاكى)

هيلينيتسا : ها هو ! هذا هو !
خريستاكى : (إلى كسينوفون) ياسيد ، يحزننى كثيرا إهمالك وعدم
تحورك ، ولكنك ستدفع لنا التعويض بالكامل .

كسينوفون : سأدفع لكما التعويض ، ياسيد . .

خريستاكى : أين فستان الأنسة ؟

كسينوفون : (يتناوله من أحد المقاعد ويعطيه له ، بينما يتابع ماريا وخارميديس ما يحدث
مندهشين) تفضل ، تفضل ، ياسيد ، هامو .

هيلينيتسا : (تأخذ الفستان ، وتبسطه . فيبين كل ما علاه من بقع الحبر) انظر كيف
أحاله ! كنت قادمة بفرحة لألقاك ، وفجأة أثناء مروري
من تحت نافلته ارتطم رأسي بشئ . المحبرة كلها سقطت
على . (مشيرة إلى الإصابة) انظر ! أحدث بي كدمة ! (تشير
لخريستاكي وإلى ماريا) وهذه الذكية هناك كادت تزهق روحي
معتقدة أنني صديقه ! (إلى ماريا) ومن ترضى بكهلك
الوخم ! (تقذف إليها بالفستان) خذي قفطانك القديم .
(إلى كسينوفون) وأنت عليك بتجهيز النقود . غدا ، سيمر
عليك خريستاكي ليأخذها كلها ! (إلى خريستاكي) هيه ،
أليس كذلك ، يا خريستاكي ؟

خريستاكي : (إلى كسينوفون) غدا صباحا .

هيلينيتسا : (إلى كسينوفون) ثلاثة آلاف عن الفستان ، وألفان عن
الأضرار النفسية ، وثلاثة عن الكدمة بالرأس !

كسينوفون : اتفقنا ..

هيلينيتسا : هيا ، ننصرف ، يا خريستاكي ؟

خريستاكي : هيا ، ننصرف .

هيلينيتسا : (تقذف إلى كسينوفون الفستان الملطخ ببقع الحبر) وهذا خذه كي

تدعك به رأسك الصلعاء ! (إلى خريستاكي) انظر أي

رجل تصورت المدام أنني اشتهيته (إلى ماريا) احتفظي

به ، ياسيدتي ، حتى تجرى عليه سحباً في اليناصيب

يوم الأحد !

خريستاكى : هيا ، ننصرف ، ياهيلينيتسا ...

هيلينيتسا : هيا (تتأبط ذراع خريستاكى ، وينصرفان)

(ماريا خجلة بسبب كل هذا ، وتبدو نائهة)

ماريا : ياه ، ياه ... ياله من مقلب !

كسينوفون : (ينظر إليها برقة) هل تصرين على الرحيل ، ياماريا ؟

ماريا : (بلهجة اختلطت فيها نوبة المجذبة ببراعة طفلة) سامحنى ،

ياكسينوفون .. لكن لا ذنب لى ، أيضا ! يورويديس ،

كيفيسيفون .. كيفيسيفون ، يورويديس .. بهما

جنتنى سنوات طوال ! لا نزهة ، ولا مسرح ، ولا

سينما ، ولا لحظة تكرسها للتفكير فى زوجتك ، لا

تفكر إلا فى زوجة يورويديس !

خارميديس : إذن ، ياماريا ...

ماريا : (بعصية) دعنى وشأنى أنت أيضا ! رجوتك رجاء

وحيدا ، ألا تضع قدمك فى بيتى ، ولكنك على

الدوام هنا ، هنا ، هنا ! جرفك الاهتمام الشديد

بكيفيسيفون !

خارميديس : (بالية) إذن ، اسمحوا لى الآن بالانصراف .

ماريا : هيا ، مع السلامة ...

خارميديس : (إلى كسينوفون خجلا) ياسيدى الأستاذ ...

كسينوفون : (بلهجة هادئة) أدخل البيت ، اغرب عنا ...

(ينصرف خارميديس ، يلتفت كسينوفون إلى ماريا ، ويقول بلهجة رقيقة)

كسينوفون : ماريا ، عزيزتى .

ماريا : (بدلا من طفلة) أجل ، الآن فحسب استيقظت
عواطفك !

كسينوفون : أنت رائعة الجمال ! ..

ماريا : مبروك ، عادت إليك عيناك . الآن فحسب تنبّهت إلى
وجودى .

(تخرج من جهة اليسار) .

(يبقى كسينوفون وحيدا على المسرح ، مستغرقا فى التفكير . يتنهد ثم يمضى
إلى مكتبه . يتناول مسوداته ، يتأملها ويقول محادثا نفسه) .

كسينوفون : التاريخ ! أيها المسكين كسينوفون ! لم تكن تعلم ماذا
يجرى فى بيتك ، وتعتقد أنك تعرف ماذا كان يجرى
فى بيت يورويديس . . . منذ ثلاثة آلاف سنة ! . .
مزق مسوداتك ، مزق ! (يمزق مسوداته على مهل ، بينما يسدل
الستار .)

الفهرس

صفحة

5	- اتجاهات المسرح اليونانى الحديث
27	١ - لقاء فى الليل
69	٢ - المدينة
111	٣ - الاستعراض
149	٤ - السيد المطاع
199	٥ - آدم وفانيسا
223	٦ - هموم الآخرين
245	٧ - العواطف
265	٨ - السلفرة
281	٩ - الصراع
303	١٠ - مجانين العصر
327	١١ - السلحفاة الزرقاء
353	١٢ - نقطة حبر

الإشراف اللغوى: حسام عبد العزيز
الإشراف الفنى: حسن كامل

عرف المسرح اليونانى بعد الحرب العالمية الثانية جيلا اعتبر كتابه أنه ليس من الصواب الاعتقاد بأن التجربة الوحيدة التى يجب أن يعتد بها كاتب المسرح اليونانى الحديث هى المسرح الإغريقى بتقليده وانشغالاته وطقوسه بالغة القدم، وقرروا ألا يجعلوا ذلك المسرح بكل عظمته يشكل عبئا جسيما يقف فى وجه الإبداع المسرحى، ذلك أنه عندما تشحن الحركة المسرحية قواها الإبداعية قد تبلغ عظمة مماثلة لعظمة ذلك المسرح العريق. أما البدء بتقليده والتبعية له فليس من شأنه إلا التردى فى العقم والفضل.

كانت جرأة بالغة غير مأمونة العواقب أن قرر طليعيو المسرح فى اليونان أن يديروا ظهورهم لمسرحهم الإغريقى ويسيروا فى مغامرة إبداعية شاركوا بها فى الحركة الأوروبية، ليس كمتفرجين فحسب، بل بدوا فى كثير من الأحيان أكثر إقداما وثقة بما يفعلون من رفاقهم الطليعيين فى المسرح الغربى.

Bibliotheca Alexandrina



0750537

